The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossoul El-Deen
Master of Interpretation & Sciences of Quran



الجامعـــــــة الإســـلاميـة بغــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــــة أصـــــــول الديـــن
ماجستير التفســير وعلــوم القـــرآن

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة غافر
"دراسة موضوعية خاصة"

Educational Guidelines and Methods Deduced from Surat Ghafir
A Special Objective Study

إِعدَادُ البَاحِثِ
أحمد ياسر حمدي أبو ريا
120182035

إِشرَافُ
الأُستاذ الدُكتُور
عصام العبد زهـد

قُدمَت هَذه الرِّسالةُ إِستِكمَالًا لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الماجستير
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

ذو القعدة/1442هـ – يوليو/ 2021م

إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرِّسالة التي تحمل العنوان:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة غافر "دراسة موضوعية خاصة"

Educational Guidelines and Methods Deduced from Surat Ghafir A Special Objective Study

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرّسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرّسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name	أحمد ياسر حمدي أبو ريا	اسم الطالب:
Signature	أحمد ياسر حمدي أبو ريا	التوقيع:
Date	2021/06/25م	التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا • هاتف داخلي: 1150

الرقم س غ/35/ Ref
التاريخ 2021/07/07م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **أحمد ياسر حمدي ابو ريا** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة غافر
دراسة موضوعية خاصة

Educational Directives and Methods Derived from Surat Ghafer
An Objective Quranic Study

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **الاربعاء 27 ذو القعدة 1442**هـ الموافق **2021/07/07**م الساعة **الثانية عشرة والنصف مساءً**، في **قاعة اجتماعات كلية أصول الدين** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. عصام العبد زهد	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. جمال محمود الهوبي	**مناقشاً داخلياً**	....
د. محمد كمال سالم ديب	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف: Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس: ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

ملخص الدراسة

هدف الرسالة: لقد هدف الباحث في هذه الرسالة إلى معرفة التوجيهات القرآنية العقدية والدعوية والتعبدية وأساليبها المستنبطة من سورة غافر وتوظيفها في خدمة الفرد والمجتمع وعلاج المشكلات الواقعية.

منهج الدراسة: الطريقة الاستنباطية (المنهج الاستنباطي) حسب منهجية التفسير الموضوعي.

وقد اشتملت هذه الرسالة على فصلٍ تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة، فجاء الفصل الأول بعنوان: التوجيهات التربوية العقدية وأساليبها المستنبطة من سورة غافر، وجاء الفصل الثاني بعنوان: التوجيهات التربوية الدعوية وأساليبها المستنبطة من سورة غافر، وجاء الفصل الثالث بعنوان: التوجيهات التربوية التعبدية وأساليبها المستنبطة من سورة غافر.

أهم نتائج الدراسة:

1. إن القرآن الكريم غذاء للروح وهداية للعقل وراحة للجسد.
2. سورة غافر هي سورة مكية على راجح الأقوال ولها أسماء عديدة، وهي تشتمل على الكثير من التوجيهات التربوية والأساليب اللغوية، وهدفها الرئيس هو زرع الإيمان في نفوس المؤمنين بأن الغلبة لله ورسله وأتباعهم في الدنيا والآخرة، وحث المؤمنين على السعي إلى ذلك بالدعوة والإيمان والإصلاح، ومجابهة أي قوة مهما عظمت وعلت.
3. يتوجب على العبد المسلم أن يكون دائماً بالقرب من ربه وخالقه، وذلك بالتزامه أوامره، واجتنابه نواهيه.

أهم التوصيات:

1. يوصي الباحث بضرورة العناية بموضوعات القرآن الكريم المتعددة، فالقرآن جاء هداية للناس وإصلاحاً لدينهم ودنياهم، وما ترك شيئاً فيه صلاح الفرد والمجتمع إلا وتحدث عنه وحث عليه.
2. يوصي الباحث طلبة العلم والباحثين بالتنقيب والبحث في التوجيهات القرآنية لسور القرآن الكريم حسب منهجية التفسير الموضوعي.
3. يوصي الباحث العلماء والمربين والدعاة والوعاظ بغرس العقيدة السليمة عقيدة السلف التي جاء بها النبي ﷺ في نفوس الجيل وتربيتهم على ذلك، والاستفادة من الأبحاث والرسائل العلمية بهذا الشأن.

Abstract

Objective of the study: This study aims at identifying the Quranic Islamic doctrinal, missionary and devotional guidelines and their methods deduced from Surat Ghafir and employing them for serving individuals and society and the treating current real problems.

Research Methodology: to conduct this study, the researcher used the deductive method according to the objective interpretation methodology.

This is divided into an introductory chapter, three chapters, and a conclusion. The first chapter is entitled 'doctrinal educational guidelines and its methods deduced from Surat Ghafir,' the second chapter is entitled 'the Islamic missionary educational guidelines and its methods deduced from Surat Ghafir,' and the third chapter is entitled ' the devotional educational guidelines and its methods deduced from Surat Ghafir.'

The most important findings of the study:

1. The Holy Qur'an is nourishment for the soul, guidance for the mind, and comfort for the body.
2. Surat Ghafir is a Meccan Surah according to the most correct sayings, and has several names. Surat Ghafir contains many educational guidelines and linguistic methods whose main goal is to implant faith in the hearts of the believers that Allah and His Messengers and their followers will prevail in this world and the hereafter, and urging the believers to strive for that by making Dawaa, having faith, making reform, and confronting any force, no matter how great it might be.
3. The Muslim must always be close to his Lord and Creator, by adhering to His commands and avoiding His prohibitions.

The most important recommendations of the study:

1. The researcher recommends the necessity of taking care of the various topics of the Quran, for the Quran is revealed as a guide to people and reforming their religion and their worldly affairs, and it explained everything in the interest of the individual and the society.
2. The researcher recommends science students and researchers to explore and research the Quranic directives of the Quran Surahs following the objective interpretation methodology.
3. The researcher recommends educators, Islamic preachers and scholars to inculcate the sound doctrine of the predecessors that the Prophet, peace be upon him, brought, in the souls of the generation and to educate them on that, and to benefit from research and scholarly studies in this regard.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

[هود: 88]

الإهداء

- أهدي رسالتي هذه إلى أبي العزيز الذي لم يدخر جهداً ولا مالاً في سبيل العلم وتحصيله...
- إلى أمي الغالية التي كانت وما زالت صاحبة العطف والحنان والدعم المعنوي والعاطفي...
- إلى جدي العزيز أمد الله في عمره...
- إلى إخوتي حمدي ومحمد ومريم وداود الذين هم سندي بعد الله سبحانه...
- إلى أعمامي وأخوالي وعماتي وخالاتي...
- إلى من كان سبباً في تعليمي وإرشادي إلى مشايخي وأساتذتي الكرام...
- إلى شهداء معركة سيف القدس الذين نالوا شرف الشهادة في سبيل الله في دفاعهم عن البيت المقدّس.
- إلى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، إلى زهرة المدائن، إلى الأرض المباركة، إلى البيت المقدّس...

إليهم جميعاً ... أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿**وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**﴾ [لقمان:12].

الشكر أولاً وقبل كل شيء لله ﷻ، شكراً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، سبحانه له الشكر كله، وله الحمد كله، وأسأل الله أن يجعلنا من الثابتين على دينه.

واعترافاً مني بفضل أهل الفضل، أرى لزاماً عليّ بين يدي هذا البحث أن أبادر بتسجيل شكري الخالص، وثنائي الصادق، وامتناني الكبير، لأستاذي **الأستاذ الدكتور/ عصام العبد زهد** حفظه الله، ونفع به الإسلام، وأعز به المسلمين، بقبول الإشراف على إعداد هذه الرسالة.

فقد فتح لي قلبه الكبير، وصدره الواسع، ولم يبخل عليَّ بنصحه وإرشاده، لتخرج هذه الرسالة بأحسن صورة وأجملها، فجزاك الله عنِّي خير الجزاء يا أستاذي الفاضل.

كما أتقدم بالشكر لأستاذيَّ المفضالين:

فضيلة الدكتور/ جمال الهوبي حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ محمد سالم حفظه الله

لقبولهما مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بالملاحظات القيّمة، وبارك الله فيهما.

وأتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية محضن العلماء، ومنارة العلم، وقبلة المتفوقين، والشكر مخصوص بكلية أصول الدين، وأساتذتي بقسم التفسير وعلوم القرآن.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لأبي وأمي اللذين أسير في هذه الدنيا ببركتهما ورضاهما ودعائهما، وأهلي جميعاً من بعدهم.

وختاماً شكري لكل من ساعدني، وأعانني، ووقف بجانبي في إتمام هذه الرسالة، ولهم مني فائق الاحترام والتقدير.

الباحث/ أحمد أبو ريا

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنعم علينا بخير كتاب مبين، وتكفل بحفظه إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي أرسله الله للإنس والجان، وأنزل معه القرآن، فيه الحجة والبيان، والهداية وأسباب الفوز بالجنان، وأسباب النجاة من العقوبات والنيران، أذهل عقول العقلاء، وأخرس ألسنة الفصحاء والبلغاء، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله لعجزوا، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، ومعجزته للعالمين، من استمسك به فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد غوى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:82].

فعجائب القرآن الكريم لا تنقضي، وكنوزه لا تفنى، فيه العلاج من كل داء، وفيه الشفاء من كل إعياء، ما ظمئ من نهل منه، ولا استلذ من ارتوى بغيره.

أهل القرآن هم أهل الله من الأنام، وخاصته من بني الإنسان، فهو أولى ما شغل العبد به لسانه، وعمّر به قلبه، وأفضل ما يُتوسل به لنيل الغفران، وأعظم ما يتوصل به إلى دخول الجنان.

فقد أنعم الله سبحانه وتعالى على عباده ببعثه لنبيه محمد ﷺ، وأنزل عليه القرآن ليهديهم به، ويعلمهم، ويزكيهم، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

فهو كتب الله العظيم، الجامع لعقيدة الإسلام وشريعته وقيمه ومبادئه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يعتريه نقص، ولا يصيبه خلل، تنزيل من الرحمن الرحيم.

وهو دستور حياة متكامل يشمل جميع جوانبها، فلا يترك منها شيئاً، والمصدر الأول للتربية الذي طبقه الرسول ﷺ واقعاً وسلوكاً وجسّده الصحابة _رضوان الله عليهم _ سيرة وعملاً، فقد كانوا خير نموذج خاض غمرات التاريخ.

وهو كتاب مقدس كريم يخاطب الأذن فتسمع، ويخاطب العين فتدمع، ويخاطب القلب فيخشع، ولو نزل على جبل لخرَ وتصدَع، كتاب قراءته حياة، ومسامرته نجاة، وحفظ آيه الكريمة رفعة ومرضاة.

ولما كانت كل سورة من سوره تحتوي على كثير من المبادئ والتوجيهات التربوية، كان موضوع دراستي إحدى سوره، ألا وهي سورة غافر، لننهل من نعيم ما تضمنته من توجيهات تربوية وإيمانية تربي النفس وتزيد القلب إيماناً.

وبقراءة آيات سورة غافر وفهمها، والتدبر فيها، والإبحار في أعماق معانيها نجدها تحمل كثيراً من التوجيهات التربوية العقدية، والدعوية، والتعبدية التي توجه الفرد والمجتمع إلى نيل خيري الدنيا والآخرة، وترشده إلى سعادته الأبدية منذ التزامه بهذه التوجيهات إلى لا نهاية، والله العظيم أسأل أن يفتح عليَّ بما هو خير، وأن يعينني في كتابة بحثي هذا، وأن يجعل في بحثي "**التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة غافر**" فائدة تضيف للقارئ بعضاً من القيم والتوجيهات والمعارف.

أولاً: أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية البحث في عدة جوانب، أذكر منها:

- تعلقها بالقرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي.
- إن كل سعادة دنيوية أو أخروية تبدأ بفهم كلام الله تعالى، ثم تطبيق آياته وأحكامه.
- سورة غافر مليئة بالقيم والتوجيهات التي تقوِّم حياة الفرد، والأسرة، والمجتمع.
- يعين هذا البحث على التمسك بمصادر تربيتنا الإيمانية التي يمثل القرآن الكريم أصلاً لها.
- حاجة الأمة للرجوع إلى منهج الله القويم، وصراطه المستقيم، ونوره المبين الذي يشع من بين هذه الآيات.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

توجد أسباب عديدة لاختياري هذا الموضوع أذكر منها:

- رغبتي في البحث في أحد موضوعات القرآن الكريم التي ترسخ المبادئ والقيم التربوية التي يستفيد منها المسلم في حياته اليومية.
- الاستفادة من التوجيهات التربوية القرآنية؛ لتعبئة الجيل وتوعيته في مجابهة الانحراف الفكري، والأخلاقي.
- حاجة المكتبة الإسلامية لبحث علمي قرآني في التفسير الموضوعي يتحدث عن التوجيهات التربوية في سورة غافر.
- وجود أساليب بيانية جاءت بها التوجيهات التربوية في سورة غافر.
- حاجتنا إلى توجيهات تربوية مستنبطة من سور القرآن الكريم، والتي تعمل على بناء الأمة الإسلامية.

- كون سورة غافر من السور التي تلفت نظري وتجذب عقلي في أسلوبها البياني.

ثالثاً: أهداف البحث:

- نيل رضا الله ﷻ .
- السعي لخدمة القرآن الكريم، من خلال إبراز الدور التربوي الذي يشتمله القرآن الكريم.
- بيان شمولية القرآن الكريم لكل مشكلات الحياة الإنسانية.
- فتح آفاقٍ جديدة أمام الباحثين، من خلال الموضوعات التي يتم طرحها في هذه الأطروحة والنتائج التي نتوصل إليها.
- بيان موضوع سورة غافر ومقاصدها والتوجيهات المستنبطة منها.
- بيان التوجيهات التربوية العقدية والدعوية والتعبدية وأساليبها المستنبطة منها.
- المساهمة في بناء الفرد والأسرة والمجتمع بناء تربوياً من خلال إبراز التوجيهات التربوية لسورة غافر.
- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث قرآني يتحدث عن التوجيهات التربوية المستنبطة من سورة غافر.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع المستمر حول ما كتب عن موضوع البحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، وفي مواقع عديدة سواء في المكتبات العامة، أو المواقع الإلكترونية المتخصصة، لم يجد الباحث دراسة قرآنية علمية تناولت هذا الموضوع بشكل خاص ومتكامل.

خامساً: منهج البحث:

سيتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستنباطي الموضوعي، وذلك وفق الخطوات الآتية:

- دراسة تفسير سورة غافر من التفاسير الأصلية والحديثة.
- جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع، وتصنيفها موضوعياً، وكتابتها بالرسم العثماني.
- ترتيب الآيات موضوع الدراسة حسب ترتيب المصحف، في كل مبحث من مباحث الرسالة.

- الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة، والكتب ذات الصلة بالموضوع.
- الوقوف على الإشارات، واللطائف المستوحاة من الآيات، وذكر الفوائد، والعظات من الآيات.
- تخريج الأحاديث مع إيراد حكم العلماء عليها إن لم توجد في الصحيحين.
- الترجمة للأعلام المغمورين، والتعريف بغريب البلدان والأماكن.
- بيان الألفاظ الغريبة إن وجدت، من المعاجم اللغوية الأصيلة.
- عمل الفهارس اللازمة.
- عمل ملخص للبحث باللغة العربية، وترجمة هذا الملخص باللغة الإنجليزية.
- مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق، وذكر المصادر والمراجع في الحاشية.
- إعداد الفهارس اللازمة للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والمصادر ، والمراجع.

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس، وذلك بإذن الله على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغايته، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وخطة البحث.

الفصل التمهيدي

مدخل إلى سورة غافر

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بالسورة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف بالسورة.

المطلب الثاني: هدف السورة ومحورها الرئيس.

المطلب الثالث: أهم مقاصد السورة.

المبحث الثاني: مناسبات تتعلق بالسورة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.

المطلب الثاني: المناسبة بين أول السورة وآخرها.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها وهي سورة الزمر.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها وهي سورة فصلت.

المبحث الثالث: تعريف المصطلحات الواردة في البحث.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوجيه لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف التربية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: تعريف الاستنباط لغة واصطلاحاً.

الفصل الأول

التوجيهات التربوية العقدية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة غافر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ماهية العقيدة وتعريفها.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهداف العقيدة الإسلامية، والمسائل التي تختص بها.

المطلب الثالث: المصادر التي تؤخذ منها العقيدة.

المبحث الثاني: التوجيهات التربوية العقدية في ضوء سورة غافر.

ويشتمل على عشرة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم معجز من عند الله تعالى.

المطلب الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ماهية الدعوة إلى الله وأهميتها.

المطلب الثالث: خصائص الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: التوجيهات التربوية الدعوية المستنبطة في ضوء سورة غافر:

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم كتاب هداية ودعوة من الله تعالى.

المطلب الثاني: أرسل الله رسله بالبينات الواضحات ليؤمن أقوامهم.

المطلب الثالث: دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه.

المطلب الرابع: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الخامس: الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب السادس: الجهر بالحق وعدم الخوف من أحد في تبليغ دعوة الله تعالى.

المطلب السابع: إقامة الحجة بالعقل والمنطق.

المطلب الثامن: عدم اليأس في الدعوة إلى الله والمداومة عليها.

المبحث الثالث: الأساليب البلاغية للتوجيهات التربوية الدعوية في ضوء سورة غافر.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الأسلوب القصصي.

المطلب الثاني: مناسبة فاصلة الآية لموضوعها.

المطلب الثالث: السجع البديع.

المطلب الرابع: المبالغة.

المطلب الخامس: المقابلة

المطلب السادس: أسلوب النداء.

الفصل الثالث

التوجيهات التربوية التعبدية وأساليبها البلاغية المستنبطة في ضوء سورة غافر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العبادة في الإسلام:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العبادة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: العبادة في الإسلام.

المبحث الثاني: التوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة غافر

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: النهي عن عبادة غير الله تعالى.

المطلب الثاني: الإخلاص لله تعالى

المطلب الثالث: الحث على الصبر.

المطلب الرابع: الحث على الاستغفار من الذنوب والمداومة على ذكر الله تعالى.

المطلب الخامس: عبادة التفكر في مخلوقات الله.

المطلب السادس: الحث على الدعاء

المطلب السابع: المسارعة إلى عمل الصالحات واجتناب السيئات

المبحث الثالث: الأساليب البلاغية للتوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة غافر.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الأمر.

المطلب الثاني: أسلوب التوكيد.

المطلب الثالث: الطباق.

المطلب الرابع: الاستفهام.

المطلب الخامس: مناسبة الفاصلة القرآنية لموضوع الآية.

المطلب السادس: السجع البديع.

سابعاً: الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثامناً: الفهارس: وتتضمن:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

فهرس الأعلام والتراجم.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات (يوضع في مقدمة البحث، تبعاً لمنهجية الجامعة المتبعة).

الفصل التمهيدي

مدخل إلى سورة غافر

المبحث الأول:

تعريف عام بالسورة

المطلب الأول: تعريف بالسورة

أسماء السورة:

سورة غافر من السور التي حملت أكثر من اسم ومن هذه الأسماء:

أولاً: سورة غافر[1]:

وبهذا الاسم اشتهرت في مصاحف المغرب، وقد سميت بهذا الاسم لذكر الله وصفه بأنه غافر الذنب في مطلع السورة ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾[2] {غافر:3}.

ثانياً: سورة الطول[3]:

سميت بهذا الاسم لقول الله تعالى ﴿ **ذِى الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾[4] {غافر:3}.

ثالثاً: سورة المؤمن[5]:

سميت بهذا الاسم لاشتمالها على حديث مؤمن آل فرعون[6]، وقد سميت بأسماء أخرى مثل حم المؤمن[7]، وحم الأولى[8].

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ج345/21)، ومعاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (ج365/4)، والجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي (ج289/15).

(2) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (ج75/24).

(3) انظر: تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني (ج5/5)، والجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي (ج288/15)، وفتح القدير، محمد للشوكاني (ج550/4).

(4) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (ج75/24).

(5) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان (ج703/3)، وتفسير الثوري، سفيان الثوري، ص263، وإيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن النيسابوري (ج723/2).

(6) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان (ج703/3)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (ج75/24).

(7) انظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي (ج497/2)، ولباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الشيحي المعروف بالخازن (ج67/4).

(8) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان (ج703/3)، وأغرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري (ج40/1).

سبب النزول وزمنه وعدد الآيات والكلمات:

أما عن سبب النزول فلم يذكر أهل التفاسير في كتبهم ومصنفاتهم سبب نزول لهذه السورة، فنزولها مشترك مع سبب نزول الآيات العام، وهو تحقيق الهداية والرشاد في حياة الناس، وإخراجهم من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام وعدالة منهجه، أما عن زمن نزولها فسورة غافر هي سورة مكية، وعدد آياتها خمس وثمانون آية، وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً.[1]

قال ابن عطية في تفسيره: "هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف، والأول أصح"[2].

ويقول صاحب كتاب لباب التأويل في معاني التنزيل: "سورة حم المؤمن، وتسمى سورة غافر، وهي مكية، قيل: غير آيتين وهما قوله تعالى: الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ والتي بعدها"[3].

والراجح هو ما عليه جمهور المفسرين وهو أنها مكية كلها[4].

المطلب الثاني: هدف السورة ومحورها الرئيس

إن هدف السورة هو زرع الإيمان في نفوس المؤمنين بأن الغلبة لله ورسله وأتباعهم في الدنيا والآخرة، وحث المؤمنين على السعي إلى ذلك بالدعوة والإيمان والإصلاح، ومجابهة أي قوة مهما عظمت وعلت؛ فالقوة لله، والأمر بيده، فمن نصره نُصِر حتى وإن لم يكن يملك شيئاً من أسباب النصر المادية.

وأما محورها الرئيس فإنه يدور حول الحق والباطل، والإيمان والكفر، والدعوة وتكذيبها، حول حوار المجادلين في آيات الله المشتملة على التوحيد وإثبات البعث والرسالة، وأخيراً قضية

---

(1) انظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الحنبلي (ج3/17)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري (ج6/19).

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عطية الأندلسي (ج4/545).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الشيحي المعروف بالخازن (ج4/67).

(4) انظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (ج4/365)، وتفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي (ج9/3)، وبحر العلوم، أبو الليث السمرقندي (ج3/197)، والهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (ج10/6395)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي (ج5/51) وغيرهم.

العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين، وفي ثنايا هذه القضية تلم بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم، وفي خلال ذلك سيقت آيات تثبت وصف الله بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص[1].

أما عن جو السورة فيقول سيد قطب رحمه الله: "وجوّ السورة كله من ثم كأنه جوّ معركة، وهي المعركة بين الحق والباطل، وبين الإيمان والطغيان، وبين المتكبرين المتجبرين في الأرض وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل. تنسم خلال هذا الجو نسمات الرحمة والرضوان حين يجيء ذكر المؤمنين! ذلك الجو يتمثل في عرض مصارع الغابرين، كما يتمثل في عرض مشاهد القيامة وهذه وتلك تتناثر في سياق السورة وتتكرر بشكل ظاهر وتعرض في صورها العنيفة المرهوبة المخيفة متناسقة مع جو السورة كله، مشتركة في طبع هذا الجو بطابع العنف والشدة."[2]

المطلب الثالث: أهم مقاصد السورة

مقصود السورة إجمالاً معالجة قضية الحق والباطل، وقضية الإيمان والكفر، وقضية الدعوة والتكذيب، قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين.

أما عن تفصيل تلك المقاصد فهي كما يأتي:[3]

- التأكيد على أن القرآن الكريم منزل من عند الله ﷻ ، وأنه لا يجادل في آيات الله إلا الكافرون كما بينت أول السورة، يقول تعالى: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾ {غافر:4}، والجدال في الحق من أبرز صفات الكافرين، لأنهم وحدهم من يشذ من بين هذا الوجود وهذا الكون العظيم عن اتباع الحق، وهم بمجادلتهم

(1) انظر: التفسير الواضح، الحجازي حمد محمود (ج288/3)، وفي ظلال القرآن، سيد قطب (ج3065/5).

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب(ج3065/5).

(3) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (ج606/8-607)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (ج77/24).

يريدون أن يثبتوا للغير صحة خطئهم، وصواب ميلهم وانحرافهم، كما أنهم يريدون بذلك دحض الحق ونقضه وصد الناس عنه.(1)

- تضمنت هذه السورة أغراضاً من أصول الدعوة إلى الإيمان، فابتدأت بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن كما اقتضاه الحرفان المقطعان في فاتحتها، ففي ذكر الحروف المقطعة تنبيه على إعجاز القرآن الكريم، فالقرآن الكريم مكون من هذه الأحرف ومع ذلك عجز الجميع عن الإتيان بمثله.(2)

- كما كان فيها تسلية للنبي ﷺ، فالأنبياء جميعهم تعرضوا للتكذيب والمراء والمجادلة، فقد كذب قوم نوح نبيهم عليه السلام، وكذلك كذب قوم عاد هوداً عليه السلام، وكذب قوم ثمود صالحاً عليه السلام، وقد كانت نهايتهم جميعاً أن أهلكهم الله سبحانه يقول تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ {غافر:5}.

- بينت السورة أن الملائكة الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للمؤمنين، وأن الله يُري عباده آياته كدلائل على وحدانيته، وأنه سبحانه هو الرزاق، وأنه ﷻ رفيع الدرجات، ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده، لينذرهم يوم التلاق والحساب.

- أخذ العبرة والعظة مما حدث للأقوام الغابرة الذين كذبوا وعاندوا، فقد كانت نهاية تكذيبهم وإعراضهم عن الحق الهلاك والعذاب.

- بينت السورة أن الله تبارك وتعالى أمر رسوله ﷺ بإنذار قومه من يوم القيامة وأنه يوم عصيب شديد مرعب.

- في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، ومؤمن آل فرعون مع قومه الحث على التشبث بالحق والتمسك به، واليقين بأن العاقبة للمتقين، وفيها عدم الخوف إلا من الله وأن الله يحفظ عباده المؤمنين من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

- تقرير أن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة ولا برهان، إنما يدفعهم إلى هذا كِبْرٌ في نفوسهم عن الحق، وهم أصغر وأضأل من هذا الكبر.

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(ج3069/5).

(2) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (ج86/3).

- توجيه القلوب إلى هذا الوجود الكبير الذي خلقه الله، الذي هو أكبر من خلق الناس جميعاً، لعل المتكبرين يتصاغرون أمام عظمة خلق الله، وتتفتح بصيرتهم، فلا يكونون عمياً.
- بينت السورة أن المؤمن لا يستوي مع الكافر، كما أنه لا يستوي الأعمى والبصير.
- الحث على التفكر في آيات الله الكونية، والتفكر في خلق الإنسان وأطوار خلقه.
- بيان حقيقة ضعف الإنسان بذكر أصل خلقه وأنه مخلوق من العدم.
- تبين نهاية السورة حال المشركين، فإنهم يمكثون على تكذيب رسلهم وما يأتون به من حجج وبينات إلى أن يبعث الله عليهم العذاب، حينها يقرون بوحدانية الله ويؤمنون به، لكن ذلك الإيمان لا ينفعهم بشيء فقد فات الأوان وانقضى الأمر.

المبحث الثاني
مناسبات تتعلق بالسورة.

يتحدث الباحث في هذا المبحث عن مناسبات تتعلق بسورة غافر، فيذكر المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس، والمناسبة بين أولها وآخرها، ومناسبتها للسورة التي قبلها، ومناسبتها للسورة التي بعدها، وذلك في أربعة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس

عندما خلق الله الإنسان جعل من جبلته التقصير، واتباع الهوى، وتقديم الراحة على ما دونها، فقد حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات.

ولما كان هدف السورة الرئيس هو زرع الإيمان في نفوس المؤمنين بأن الغلبة لله ورسله وأتباعهم في الدنيا والآخرة، وحث المؤمنين على السعي إلى ذلك بالدعوة والإيمان والإصلاح؛ ناسب ذلك أن يكون اسم السورة غافر، فقد يتعرض المؤمن للتقصير أو للوهن أو حتى في بعض الأحيان لوساوس النفس والشيطان، التي قد تشكك في أن الغلبة لله ﷻ ولأوليائه فيصيبه من حظ الشيطان والنفس ما يصيبه، فالله ﷻ اختار هذا الاسم حتى لا ييأس من وقع من المؤمنين في شراك الشيطان من رحمة الله، حتى وإن اسم السورة يتعدى ذلك، فقد ذكرت السورة أحوال الكافرين والمجادلين والمعاندين، فمن اهتدى من هؤلاء وأناب وأسلم فإن الله غافر له ما كان منه قبل ذلك، فالله تبارك وتعالى غافر الذنوب لمن تاب وأصلح واتبع هداه يقول تعالى: **﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)﴾** {غافر}.

المطلب الثاني: المناسبة بين أول السورة وآخرها

ابتدأت السورة بأن الله منزل الكتاب، وأنه غفار الذنوب، ويقبل توبة عباده، وبأنه شديد العقاب لمن كفر وأصر على كفره، يقول تعالى: **﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)﴾** {غافر}، واختتمت بندم الكفار على عدم إيمانهم بما أنزل الله ﷻ، وبأنهم لم يتوبوا ولم يرجعوا إلى الله من قبل أن يأتيهم العذاب، يقول تعالى: **﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ**

الْكَافِرُونَ (85)﴾ {غافر}، فأول السورة دعوة وترغيب وترهيب، وآخرها بيان حال من أعرض عن هذه الدعوة وعاداها من تبار وخسارة وندم، فإن من لم يستجب لدعوة الله سبحانه ويستغفره ويتوب إليه يكون مآله ندماً وخسارة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها وهي سورة الزمر

أما عن مناسبة آخر سورة الزمر وأول سورة غافر ففيه أكثر من وجه، الأول: ذكر الله تعالى في أواخر سورة الزمر ما يؤول إليه حال الكافرين وحال المتقين يوم القيامة يقول تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72)﴾ {الزمر}، وذكر في أول سورة غافر أنه سبحانه يغفر ذنوب المخطئين ويقبل توبتهم إذا ما رجعوا وأنابوا إليه يقول تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ {غافر:3}، وفي ذلك استدعاء للكافرين على ترك ما هم فيه والرجوع إلى الله تعالى.

والثاني: لما كان ختام التي قبلها إثبات الكمال لله بصدقه في وعده ووعيده بإنزال كل فريق في داره التي أعدها له، ثبت أن الكتاب الذي فيه ذلك منه، وأنه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات الكمال.

وبَيْنَ السورتين أوجهٌ عديدة من المناسبة، فقد ذكر في كلتيهما بعضاً من أهوال يوم القيامة، يقول تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70)﴾ {الزمر:67-70} ويقول في سورة غافر: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18)﴾ {غافر}، كما بين

سبحانه في كلتا السورتين أنه هو من خلق السماوات والأرض وما بينهما، وأنه سبحانه أيضاً من خلق الإنسان بكل أطواره يقول تعالى في سورة الزمر: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6)﴾ {الزمر}، ويقول تعالى في سورة غافر: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ {الزمر:64}، ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ {غافر:67}، فقد جمعت السورتان بين عدة مواضيع وقد فصلت بعضها بعضاً فكانت المناسبة بين السورتين واضحة بينة.[1]

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها وهي سورة فصلت

ذكر الله تبارك وتعالى في سورة غافر ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ {غافر:82} وفي ذلك تهديد لقريش وتقريع لهم، وذكر في سورة فصلت أيضاً تهديداً وتقريعاً لهم وخصهم فيه في الخطاب، فقال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ {فصلت:13}، وقد ذكر سبحانه في سورة غافر أخذه للكافرين المكذبين وإهلاكه لهم بالإجمال، يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ {غافر:5}، والأحزاب هم الأقوام الذين تحزبوا على أنبيائهم مثل عاد وثمود، ثم بين الله في سورة فصلت كيف أهلك الذين كفروا وعاندوا، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ

---

(1) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (ج608/8)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ج2/17).

(16) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17)﴾ {فصلت}.[1]

وأيضاً هناك أوجه من المناسبة كذكر قصص بعض الأنبياء، فقد ذكرت سورة غافر قصة موسى عليه السلام، وذُكِر في سورة فصلت من قصتي هود وصالح عليهما السلام، وأيضاً اشتملت السورتين على الدعوة إلى التوحيد، وبيان عاقبة المخالفين، وبعضاً من أهوال يوم القيامة.[2]

---

(1) انظر: أوضح التفاسير، محمد محمد الخطيب، ص571.

(2) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (ج8/673).

المبحث الرابع

تعريف المصطلحات الواردة في البحث

يتحدث الباحث في هذا المبحث عن تعريف أهم المصطلحات الواردة في البحث لغة واصطلاحاً، ومنها: التوجيه، والتربية، والأسلوب، والاستنباط، وذلك في أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: تعريف التوجيه لغة واصطلاحاً

التوجيه لغة: من الوجه "والوجه سيدُ القومِ وشريفُهم، وَمَا يواجهك من الرَّأْس، وَفِيه العينان والفم وَالْأنف، وَمَا يقبل من كل شَيْء وَنَفس الشَّيْء وذاته"[1].

قال ابن منظور: "الوَجْهُ مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ الوُجُوه"[2]

التوجيه اصطلاحاً: هو "إيراد الكلام محتملًا لوجهين مختلفين، وهو إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم"[3].

والتوجيهات: هي الإرشادات والنصائح التي يتلقاها الإنسان من تعاليم دينه ومفاهيم معتقده.

والمقصود بالتوجيهات في رسالتي: النصائح والتعليمات والإرشادات التي نأخذها من سورة غافر، وبها تتم الاستقامة في حياة المجتمع والفرد كما يحب ربنا ويرضى.

المطلب الثاني: تعريف التربية لغة واصطلاحاً

التربية لغة: من ربا يربو، أي نما أو زاد، والربا الفضل والزيادة، وقولك أربيت إذا أخذتَ أكثَر ممَّا أعطيتَ، ورباهُ تَرْبِيَة وتربَّاهُ، أَي غذَّاه، وهذا لكل ما ينمي كالولد والزرع.[4]

التربية اصطلاحاً: "إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"[5].

---

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ج1015/2).

(2) لسان العرب، ابن منظور (ج555/3).

(3) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص69.

(4) انظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ص117، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ج326/1).

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد، ص95.

وعرفها الدكتور محمود أبو دف بأنها "عملية منهجية متدرجة تهدف إلى تنشئة الإنسان الصالح وتكوينه، وفقاً لغاية الخلق"[1].

المطلب الثالث: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً

الأسلوب لغة: الطَّرِيق، ويقال: سلكت أسلوب فلان فِي كذَا، طرِيقته ومذهبه[2].

يطلق الأسلوب في لغة العرب إطلاقات مختلفة فيقال للطريق بين الأشجار، وللفن، وللوجه، وللمذهب، وللشموخ بالأنف، ولعنق الأسد، ويقال لطريقة المتكلم في كلامه[3].

الأسلوب اصطلاحاً: "الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك"[4].

المطلب الرابع: تعريف الاستنباط لغة واصطلاحاً

الاستنباط لغة: من أنبط الماء إنباطاً، أي استخرجه، واستنبط الشيء أي استخرجه مجتهدا فيه[5].

اصطلاحاً: "استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوةِ القريحة".[6]

---

(1) مقدمة في التربية الإسلامية: د.محمود أبو دف، ص(3).

(2) المجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ج441/1).

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني (ج302/2-303).

(4) المرجع السابق (ج303/2).

(5) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية (ج11/4)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ج898/2).

(6) التعريفات الفقهية، محمد البركتي، ص26.

الفصل الأول

التوجيهات التربوية العقدية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة غافر

المبحث الأول

ماهية العقيدة وتعريفها.

يتحدث الباحث في هذا المبحث عن ماهية العقيدة وتعريفها، فيذكر تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً، وأهدافها، والمسائل التي تختص بها، والمصادر التي تؤخذ منها، وذلك في ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً

العقيدة لغة:

قال ابن فارس: العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثق، والعقد ضد الحل[1].

والعقيدة: "الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده"[2].

أما اصطلاحاً:

هناك تعريفات عديدة للعقيدة في الاصطلاح نذكر منها الآتي:

أولاً: "هي الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شكٌّ، وهي ما يؤمن به الإنسانُ ويعقد عليه قلبَه وضميرَه، ويتخذه مذهبًا ودينًا يدين به"[3].

ثانياً: "التصديق الناشئ عن إدراك شعوري أو لا شعوري يقهر صاحبه على الإذعان لقضية ما"[4].

ثالثاً: " هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك"[5].

ويظهر للباحث أن التعريف الأول هو أشمل هذه التعريفات، فقد جمع بين قوة الألفاظ المعبرة لمعنى العقيدة وبين ماهيتها الحقيقية، فالعقيدة في نهايتها تصبح ديناً ومذهباً لصاحبها.

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ج4/86) ، لسان العرب، ابن منظور (ج3/296).

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ج2/614).

(3) بيان عقيدة اهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، ص6.

(4) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق السعدي(ج1/250).

(5) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبدالله الأثري، ص24.

وأما العقيدة شرعًا:

"هي ما يدين به الإنسان ربه، وجمعها عقائد، والعقيدة الإسلامية مجموعة الأمور الدينية التي تجب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقينًا عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب"[1].

المطلب الثاني: أهداف العقيدة الإسلامية، والمسائل التي تختص بها

عندما بعث الله نبينا محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، بعثه لينير للإنسان حياته الدنيوية، ويسعده في حياته الأخروية، ولما كانت العقيدة معقل الدين ومدخله، وأنه لا يصلح الدين إذا ما هي فسدت، كان للعقيدة أهدافاً ترجى، ومقاصد تُقصد من صلاح هذه العقيدة.

أيضاً تطرقت في هذا المطلب للمسائل التي تختص بها العقيدة تبياناً للأمور التي يجب على المسلم أن لا يتهاون بها خوفاً من أن يحبط عمله ويذهب دينه.

أهداف العقيدة الإسلامية:

ذكر العلامة محمد بن صالح العثيمين أهدافاً للعقيدة الإسلامية ولخصها بالآتي[2]:

1- إخلاص النية، والعبادة لله تعالى وحده؛ فهو سبحانه الخالق والمنعم، فوجب أن يكون القصد والتوجه في العبادة له وحده.

2- تحرير العقل والفكر من الضلال والتشويش والتخبُّط الناشئ عن فراغ القلب وخلوه من هذه العقيدة؛ لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة، وعابد للمادة الحسِّيَّة فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد، والخرافات.

3- الراحة النفسية، والفكرية فالذي يعتقد أن الله سبحانه هو الخالق والمصور والرازق والمنعم وأنه إليه المصير؛ يذهب قلقه واضطرابه وحيرته، لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه فيرضى به ربًّا مدبرًا، وحاكمًا مشرِّعًا، فيطمئنُ قلبه بقدره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغي عنه بديلاً.

4- سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى، أو معاملة المخلوقين؛ لأن من أسسها الإيمان بالرسل، المتضمن لاتباع طريقتهم السلامة ذاتها في القصد والعمل.

(1) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، ص20.

(2) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية، محمد بن صالح بن العثيمين ص67.

5- الحزم والجد في الأمور، بحيث لا يفوِّت فرصة للعمل الصالح إلا استثمرها فيه رجاء للثواب، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفًا من العقاب؛ لأن من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال.

6- تكوين أمَّة قوية تبذل كلَّ غالٍ ورخيص في تثبيت دينها، وتوطيد دعائمه، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك.

7- الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات، ونيل الثواب والمكرمات.

المسائل التي تختص بها العقيدة الإسلامية:

هناك مسائل عديدة تدخل في نطاق العقيدة، فمن آمن بها دخل دين الله، ومن شك بها أو كفر تخرجه من دين الإسلام، لعل من أهمها التوحيد بأنواعه الثلاثة (ربوبية- ألوهية- أسماء وصفات) فالتوحيد معقل العقيدة ومدخلها، وهناك مسائل أخرى تدخل في نطاق العقيدة أذكر منها[1]:

- الإيمان، أركانه وشعبه.
- الأمور المتعلقة بالكفر والشرك والنفاق والردة ونواقض الإيمان.
- أركان الإسلام.
- الغيبيات، من جنٍ وملائكة وغير ذلك.
- الإيمان بالرسل، وما لهم وما عليهم، وكذلك الإيمان بالكتب السماوية المنزلة عليهم.
- الإيمان بكتاب الله وأنه ليس مخلوقًا، وأنه منزل من عند الله سبحانه على نبيه محمد ﷺ بواسطة الوحي جبريل عليه السلام.
- ما يترتب على الإيمان بالقضاء والقدر.
- الإيمان باليوم الآخر، والأحداث التي وردت عنه في القرآن والأحاديث النبوية.
- عدم تكفير المسلم إلا بما يوجب التكفير.
- الكرامات.
- الشفاعة وتفاصيلها.
- التبرك والتوسل، ما يصح فيه وما لا يصح. والرقية الشرعية.
- علامات الساعة.
- أحكام الإسلام للمجتمع.

(1) انظر: قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، عادل الشيخاني، ص70.

- الولاء والبراء.
- ما يجب لآل البيت وللصحابة على المؤمنين.

هذه معظم المسائل التي تدخل في نطاق العقيدة الإسلامية، وقد ذكرتها؛ لأنه يتوجب على المسلم أن يكون حذراً في التعاطي مع أمور العقيدة؛ ذلك أنها تحدد مصير الإنسان وفي أي مسار يسير.

المطلب الثالث: المصادر التي تؤخذ منها العقيدة

إن العقيدة الإسلامية عقيدة حساسة ذلك أنها تتحدث فيما يجب على المرء أن يعتقده، وما يجب عليه أن لا يعتقده؛ فهي تدفع كثيراً من العقائد الفاسدة، وفي الوقت نفسه أتت بعقائد يجب أن تكون عند المسلم من المسلمات؛ ولذلك لا تؤخذ هذه العقيدة إلا من مصدرين لا ثالث لهما وهما:

المصدر الأول: كتاب الله ﷻ .

المصدر الثاني: ما صح من أحاديث رسول الله ﷺ وسنته.

يقول صاحب كتاب عقيدة التوحيد: "العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثَمَّ فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه لا أحد أعلمُ بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلمُ بالله من رسوله ﷺ ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقِّي العقيدة مقصورًا على الكتاب والسنة"[1].

ويقول صاحب كتاب المفيد في مهمات التوحيد: "العقيدة الإسلامية لها مصدران فقط، هما: كتاب الله ﷻ ، وما صح من سنة رسول الله ﷺ "[2].

(1) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر، صالح الفوزان، ص20.
(2) المفيد في مهمات التوحيد، عبد القادر صوفي، ص25.

المبحث الثاني

التوجيهات التربوية العقدية في ضوء سورة غافر

لا شك أنَّ الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدةُ فاسدةً غير صحيحة بطل ما يتفرع منها من أعمال، وهذا يؤكد أنَّ تعلُّم العقيدة الصحيحة من أهم المهمات وأعظم الواجبات؛ لأن قبول الأعمال موقوف عليها، والسعادة في الدنيا والآخرة لا تكون إلا بالتمسكِ بها وأنه لا يصلح حال الفرد وحال المجتمع ونظام الأمة إلا إذا صلحت العقيدة، فهي أساس الدين وعليها يرتكز، وفي هذا المبحث يتحدث الباحث عن التوجيهات التربوية العقدية في ضوء سورة غافر، من خلال بيان أن القرآن الكريم معجز، وأن الله تعالى له الوحدانية، وأن صفاته مطلقة الكمال، ومآل المكذبين والمجادلين في آياته، وأن الرزق من عند الله تعالى، وأنه عليم بدقائق الأمور، وهو يقضي بالحق والعدل، وأن عذاب القبر حقيقة قرآنية، وذكر التخويف من يوم القيامة ومن النار، وأن العاقبة لمن اتبع الحق، وذلك في عشرة مطالب، هي:

المطلب الأول: القرآن معجز من عند الله

يقول الله تبارك تعالى: ﴿ **حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2)** ﴾ {غافر}

أنزل الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ القرآن نوراً وهدىً للناس، وجعله الآية البينة والمعجزة الجلية التي تثبت صدق رسالة محمد ﷺ مذ بُعث بالحق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بل وتحدى الله ﷻ من خلال القرآن الكريم الإنس والجن والعرب والعجم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقد ذكر بعض المفسرين في تفسير الحروف المقطعة التي تأتي في أوائل بعض السور أنها تدل على إعجاز القرآن وتحديه للجميع، وفي ذلك يقول صاحب التفسير المنير: " حم من الحروف المقطعة في فواتح السور، للتنبيه على مضمون السورة وعلى إعجاز القرآن المكون نظمه من حروف اللغة العربية التي ينطق بها العرب وينظمون بها الأشعار ويدبّجون بها الخطب الرنانة، ومع ذلك لا يستطيعون معارضته، لأنه كلام الله تعالى"[(1)]، وقد ذكر أصحاب التفسير الميسر مثل هذا القول فقالوا: "هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطَّعة في أوائل السور فيها إشارة إلى إعجاز القرآن، فقد وقع به تحدي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركَّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب، فدَلَّ عجز العرب عن الإتيان بمثله مع

---

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي (ج73/24).

أنهم أفصح الناس على أن القرآن وحي من الله"[1]، فوقوع هذا التحدي من الله ﷻ وعدم معارضته من أي أحد أو حتى عدم إقدام أحد على المجيء بمثله دليل بيّن واضح صادق على أن القرآن الكريم من عند الله ﷻ، وقد تحدى الله تبارك وتعالى خلقه على أربع مراحل بأن يأتوا بمثل هذا القرآن وهي[2]:

المرحلة الأولى: وهي أن يأتوا بمثل القرآن الكريم كاملاً فقال جل ذكره: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34)**﴾ {الطور}، فعجزوا عن ذلك.

المرحلة الثانية: وهي أن يأتوا بعشر سور من مثل ما في القرآن فقال: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ {هود:13}، فعجزوا أيضاً عن ذلك.

المرحلة الثالثة: أن يأتوا بسورة واحدة مثل ما في القرآن الكريم فقال: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ {يونس:38}، فعجزوا عن الإتيان بسورة.

المرحلة الرابعة: أن يأتوا بأي سورة من مثل ما في القرآن طويلة كانت أم قصيرة فقال سبحانه: ﴿ **وإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ {البقرة:23}، فعجزوا عن ذلك.

المرحلة الخامسة: إبقاء التحدي قائماً إلى قيام الساعة، يقول تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ {الإسراء:88}، وما والوا عاجزين إلى يومنا هذا عن الإتيان بمثل القرآن الكريم.

فقد تحداهم الله مجتمعين إنساً وجناً، وحفزهم على ذلك بذكره لهم أنهم عاجزون عن ذلك، ومع ذلك لم يستطع أحد المعارضة، فعلى الرغم من فصاحة العرب وضعف المسلمين في بداية الأمر لم يدَّعِ أحد ولو حتى بالقول بأنه قادر على أن يأتي بمثل القرآن ولا بمثل بعضه؛ ذلك أن القرآن منزَّل من عند علَّام الغيوب فلا يستطيع مخلوق مجابهته جل في علاه.

---

(1) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير (ج2/1).

(2) انظر: معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي (ج12/1)، وأحكام القرآن، أحمد الجصاص (ج34/1).

فالقرآن معجز ببديع بيانه وشدة فصاحته، معجز في أخباره وحوادثه، وهو كما قال الله ﷻ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ {فصلت:42}.

وقد شهد له كفار قريش، فهذا عتبة بن ربيعة يقول بعد أن سمع من النبي ﷺ مطلع سورة فصلت فقال: " إني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزّكم وكنتم أسعد به. فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم"[(1)]، وهذا سيد قريش وأكبر المعاندين الوليد بن المغيرة يقول: "والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى"[(2)]، فهذه شهادات من عاند وتكبر وكفر برسالة محمد ﷺ، فهم لم يكابروا ولم يعاندوا حقيقة كون القرآن ليس من عند بشر وأنه معجز لأنهم لو فعلوا ذلك لصغروا وهانوا في أعين قومهم.

المطلب الثاني: وحدانية الله ﷻ

لقد تفرد الله ﷻ بالألوهية والربوبية والعبودية؛ فهو ربنا الذي خلقنا وأنعم علينا، وهو وحده المستحق للعبادة منا ولا شريك له في ذلك، هو الواحد الأحد والفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، شهد لنفسه بالوحدانية وأمرنا بعبادته، فقال في كتابه الكريم: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ {البقرة:163}، وقال: ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ {طه:14}، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: **(قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ)**[(3)].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج163/7)، وعلوم القرآن الكريم، نور الدين عتر (ج198/1).

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (ج215/1).

(3) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، كتاب تفسير القرآن/باب ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ {المسد:4} (ج180/6): رقم الحديث 4974.

ولقد توجهت الآيات في سورة غافر إلى ترسيخ هذا المفهوم في الأذهان، وتثبيته في الصدور، فقال ربنا في سورة غافر: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {غافر:65}، فالله سبحانه يقرّ في هذه الآية لنفسه بالوحدانية، ويأمر عباده بعبادته وعدم الإشراك به.

وقد بين الله ﷻ في سورة غافر سبب عذاب أهل النار؛ وهو أنهم كفروا بوحدانية الله تبارك وتعالى فقال بعد أن اعترفوا بذنوبهم وطلبوا من الله أن يخرجهم من النار: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ {غافر:12}، فذلكم العذاب الذي لكم أيها الكافرون بسبب أنكم كنتم إذا دُعيتم لتوحيد الله وإخلاص العمل له كفرتم به، وإن يُجْعل لله شريك تُصَدِّقوا به وتتبعوه، فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم مَن يشاء ويعذب مَن يشاء، لا إله إلا هو له علو الذات والقَدْر والقهر، وله الكبرياء والعظمة، وهو خالق كل شيء ومدبره يحي ويميت وهو على كل شيء قدير[1].

ولقد دلت الآيات في سورة غافر على وحدانية الله تبارك وتعالى وأنه هو المالك الوحيد والمتصرف في شؤون الكون الواجب عبادته وتعظيمه لما منَّ وتكرم على عباده من جميل ألطاف وعظيم نعم، فهو الذي تفضل على الناس بأن خلق لهم الليل وجعله للراحة والسكون، وجعل فيه النوم الذي يجدد للإنسان طاقته ويبقي على استمراره، وخلق النهار وجعله للعمل والنشاط والسعي في مناكب الأرض بحثاً عن الرزق، أو طلباً للعلم، أو غير ذلك من الأمور، وجعلهما آيتين جليتين جليلتين من آيته، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ {غافر}، يقول السعدي: "تدبر هذه الآيات الكريمات، الدالة على سعة رحمة الله تعالى وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال حياته، واتصافه بالحمد على كل ما اتصف به من الصفات الكاملة، وما فعله من الأفعال الحسنة، وتمام ربوبيته، وانفراده فيها، وأن جميع التدبير في العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقات وحاضرها، ومستقبلها بيد الله تعالى، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء، فينتج من ذلك، أنه تعالى المألوه المعبود وحده،

---

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير ص468.

الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئًا، كما لم يستحق من الربوبية شيئًا، وينتج من ذلك، امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه"[1].

وهو الذي خلق السماوات والأرض فجعل السماء سقفاً للأرض وزينها بالنجوم والكواكب وأضاءها بالشمس والقمر، وجعل الأرض مقراً ومستقراً ويسر فيها الإقامة، وأحسن صورة الإنسان فخلقه في أحسن تقويم، ورزقه بحلال الرزق ولذيذ المطاعم والمشارب[2] فقال: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ {غافر:64}.

وهو الذي خلق الإنسان بتفاصيله وأطواره من اللحظة التي كان فيها نطفة حتى وصوله إلى الموت، وهو الذي يحيي ويميت، أمره نافذ، وإرادته كائنة، لا يعجزه أمر مهما عظُم، وهو على كل شيء قدير يقول الله: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68)**﴾ {غافر:67-68}.

وهو الذي سخر لنا الأنعام وذللها لنا، نركبها ونأكل منها، وتنفعنا في حياتنا في مسكن وملبس، وتحمل أثقالنا وتنقلها من مكان إلى آخر، يقول الله: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (80)**﴾ {غافر:79-80}، فهذه الآيات التي ذكرها الله في سورة غافر إنما هي للتدليل على وحدانية الله ﷻ ، وأنه رب كل شيء ومليكه والمتصرف فيه، وأنه هو المعبود الوحيد والمقصود المجيد وإليه يرجع الأمر كله، فصلاح أمر السماوات والأرض، وانتظام الكون، وانسجام المخلوقات مع بعضها، يدل على أن الخالق واحد لا شريك له، ورب لا مثيل له ﷻ يقول تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ {الأنبيا:22}.

فالله تبارك وتعالى هو وحده صاحب الكون، وخالقه وخالق ما فيه، وهو المتصرف فيه بما يشاء وكما يشاء، وهو الذي يدبر أمره ويتولى شأنه لا شريك له، وهو وحده إله الكون الذي يستحق الانقياد والتذلل والعبادة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: **نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ**

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ص 741.

(2) انظر التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص474.

شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: (صَدَقَ)، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: (اللهُ)، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: (اللهُ)، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: (اللهُ)، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا، وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: (صَدَقَ)، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: (صَدَقَ)، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: (صَدَقَ)، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: (صَدَقَ)، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ)[1]، فمن اعتقد غير ذلك أو توجه بالعبادة لغير الله كفر بالله واستحق عقابه وعذابه ووجب له الخلود في النار يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)**﴾ {غافر: 36-37}.

ثمرات الإيمان بوحدانية الله:

إن الإنسان المؤمن يعيش حياة غير التي يعيشها الكافر؛ ذلك أن المؤمن يعلم أن الله خالق كل شيء، ومدبر كل أمر، وبيده مقاليد السماوات والأرض، فلا يصيبه قلق وخوف من المستقبل، ولا يحزن على شيء فاته، فهو يعلم أن ذلك مقدر من الله، بعكس الكافر أو قليل الإيمان يجزع من أقل ضر يمسه ويقلق من أي أمر يتعرض له، فكم للإيمان الصحيح من الفوائد والثمرات العاجلة والآجلة، في القلب والبدن والراحة، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، فالإيمان يزرع في النفوس ويحقق فيها أموراً كثيرة وينتج عنه ثمرات نذكر منها[2]:

1. الإيمان يثمر محبة الله وتعظيمه ﷻ، وهذا سبب لأن يطيع أوامره ويجتنب نواهيه، فهو بذلك يصل للسعادة الغامرة في الدنيا والآخرة.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، كتاب الإيمان/في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين(ج41/1) رقم الحديث:12.

(2) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني(ج648/2)، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان لعبد الرحمن السعدي ص85، والإسلام أصوله ومبادئه لمحمد السحيم(ج131/2).

2. ومن ثمرات الإيمان أن يحقق للعبد ولاية الله له التي هي أعظم ما يحصل عليه العبد يقول الله تعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ {البقرة:257} ويقول أيضاً: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)** ﴾ {يونس}.

3. الإيمان يثمر محبّة الله للعبد، ويجعل محبّته في قلوب المؤمنين، ومن أحبّه الله، وأحبّه المؤمنون حصلت له السعادة، وتحقق له القبول يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا**﴾ {مريم:96}.

4. الإيمان بالله يورث في نفس المؤمن أنفة وعزة؛ لأنه يعلم أن الله هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون، وأنه لا نافع ولا ضار إلا هو، وهذا العلم يجعله في غنىً عن غير الله، وينزع من قلبه خوف سواه، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف سواه يقول الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ {المائدة:54}.

5. أن الإيمان بالله ينشئ في نفس المؤمن التواضع والرحمة واللين والرفق على إخوانه؛ لأنه يعلم أن ما به من نعمة وقوة ومال فمن الله، فلا يغره الشيطان، ولا يبطر ولا يتكبر ولا يتجبر، ولا يزهو بقوته وماله.

6. أن الإيمان بالله يربي في الإنسان قوة عظيمة من العزم والإقدام والصبر والثبات والتوكل على الله، فلا يصيبه وهن ولا تقادم ولا ضجر؛ لأنه بذلك يقصد المسير إلى الله ونيل رضاه فيورثه ذلك العزم والقوة والتقدم.

7. يحقق الفوز الكامل بالنجاة من النار ، ودخول الجنة وحوز رضا الله تبارك وتعالى يقول تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)**﴾ {البينة}، أما إن كان الإيمان ضعيفاً فإنه يكون سبباً لعدم الخلود في النار يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ {النساء:40} و عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ)**، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: **(أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ**

حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ – شَكَّ مَالِكٌ – فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً)[1].

المطلب الثالث: صفات الله مطلقة الكمال

إن صفات الله ﷻ لا يعتريها نقص ولا يتخللها ضعف، صفاته جلَّ جلاله مطلقة الكمال ومنزهة عن كل ما يكون لغيره، يقول تعالى: ﴿ **لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ {النحل:60}، فهو الخالق الذي أوجد الوجود وأعطى الإنسان الروح والسمع والبصر والعقل والقلب ووهبه بعض صفات الكمال، فإذا كان الإنسان وهو المخلوق اقرَّ لنفسه بعضاً من صفات الكمال فمن البديهي أن يكون خالقه متصفاً بالكمال كله؛ لأنه هو الواهب وهو المعطي وهو المانح فمعطي الشيء أولى أن يتحلى به[2].

وقد ذكرت لنا سورة غافر بعض صفاته جلَّ في علاه يقول تعالى: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ {غافر:3} ويقول: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**﴾ {غافر:15}، فمن صفاته أنه عزيز له مطلق العزة والمنعة والقوة لا تجابهه قوة، وكل الخلائق خاضعة له وأنه قاهر فوق عباده والأمور مردها له[3].

وهو عليم يعلم دقائق الأمور وأخفاها وما يجري في ملكه وخلقه، يقول تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ {الأنعام:59}، ويقول الله على لسان لقمان: ﴿**يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ {لقمان:16}، يحيط بكل شيءٍ علماً ظاهره وباطنه، دقيقه

---

(1) صحيح البخاري، أبو عبدالله البخاري، كتاب الإيمان/باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (ج13/1)، رقم الحديث:22.

(2) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، ص18

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ص731، والموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ج97/11).

وجليه، أَوله وَآخره، عاقبته وفاتحته، ويعلم ما يخفي الإنسان وما يظهر وما يسرُّ وما يعلن يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ {طه:7}، ويعلم النجوى ويعلم ما في السماوات وما في الأرض يعلم دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء[1] يقول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ {المجادلة:7}.

ومن صفاته أنه يغفر الذنب لمن استغفر ويستره على من يشاء، وأنه يقبل توبة التائبين وهاتان صفتان جليلتان عظيمتان، فليس هناك أحد من البشر معصوم عن الخطأ والزلل والوقوع في الذنوب، فلو قدر الله ﷻ أنه لا يمحى عن الإنسان ذنوبه وأن كل ذنب اقترفه محاسب عليه لهلك الناس جميعاً وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ {النحل:61}، وفي سورة فاطر: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ {فاطر:45}، فهاتان الصفتان العظيمتان من أجلِّ نعم الله علينا، فلولاهما لحمِّلنا ما لا نطيق ونتحمل، إذ يتعذر على الإنسان عدم الوقوع في الخطيئة فإذا وقع فيها تاب واستغفر فإذا فعل غفر الله له بل وبدَّل سيئاته حسنات يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا **(68)** يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا **(69)** إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا **(70)** وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا **(71)**﴾ {الفرقان}، وذلك من رحمته وعلو شأنه ترغيباً للمقبلين عليه والراجين رحمته تقدست أسماؤه وعظمت صفاته[2].

وبعد أن ذكر مغفرته وقبوله للتائبين ذكر أنه شديد العقاب لمن أعرض عن التوبة والإنابة ومضى في طريق المعاصي والشهوات غير مبالٍ، فلم يرقب لله خوفاً، ولم يحسب له

(1) انظر: قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ص56، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ص86.

(2) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (ج260/12).

حساباً، وقد ذكر ربنا هذا ترهيباً للعصاة علهم يخافون ويرجعون عما هم فيه من الغي والضلالة.

ومن صفاته الجليلة أنه ذو إنعام واسع وكبير يرزق بلا حساب، وأنه يعطي على القليل كثيراً، وأنه يرفع درجات المؤمنين في الدنيا والآخرة، وهو مالك الملك الذي له كل شيء ومتصرف فيه كيفما شاء[1].

هذا غيض من فيض وقليل من كثير من بين صفات الله العلية الكاملة المطلقة، ونحن في مذهب أهل السنة والجماعة نقرُّ بصفات الله التي وصف بها نفسه في القرآن والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[2] يقول تعالى واصفاً ذاته العلية: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ {الشورى:11}.

المطلب الرابع: مآل المكذبين والمجادلين في آيات الله.

إن من القضايا التي تعالجها سورة غافر قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين، ومصيرهم الذي سيصيرون إليه، فهؤلاء هم الذين يعادون الرسل وأتباعهم، ويقفون في وجه الحق ويقعدون له كل مقعد ليصدوا عنه فما هو جزاؤهم وما هو مصيرهم؟[3].

فقد بينت أول السورة ومنتصفها وآخرها مآل هؤلاء ومصيرهم؛ وسبب تكرار هذا الأمر هو بث الإيمان وزرعه في قلوب المؤمنين بأن العاقبة لهم، وتخويف الكافرين والمجادلين من عاقبة أمرهم وسوء ما قد يصير إليه حالهم فإن منقلبهم وخيم وعذابهم أليم مقيم يقول تعالى : ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ {غافر}، يخبر الله ﷻ نبيه ﷺ أن قومه ليسوا وحدهم من كذب وكفر، وأن الذين من قبلهم من الذين أرسل الله إليهم رسله كقوم نوح وعاد وثمود جادلوا في آيات الله وكفروا وأنهم حاولوا

(1) انظر: أوضح التفاسير، محمد محمد الخطيب ص573.

(2) انظر: العرش، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، (ج30/1).

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج3066/5).

قتل أنبيائهم والنيل منهم والحدّ من دعوتهم، فقد كان هذا حالهم وتخطيطهم وكيدهم أنهم يسعون لمحاربة دين الله والحدِ من انتشاره، فكانت عاقبتهم أن أهلكهم الله، فهؤلاء قوم نوح أخذهم الله بالطوفان فأهلكهم عن بكرة أبيهم ولم ينج إلا من آمن، يقول تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37)**﴾ {هود}.

وأما عاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية ولم ينج منها إلا هوداً عليه السلام ومن آمن معه قال الله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8)**﴾ {الحاقة}.

وقوم صالح لما قتلوا الناقة وأعرضوا عن أمر ربهم أخذهم العذاب فلم يبق إلا من آمن قال الله: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67)**﴾ {هود}.

أما عن قوم لوط فقد اجتمع عليهم ثلاث أنواع من العذاب لسوء ما كانوا يعملون فقد أخذتهم الصيحة، وخسف الله بهم فجعل عالي القرية سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل يقول الله في قوم لوط لما أعرضوا وجاءهم العذاب:﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (74)**﴾ {الحجر}.

وكذلك قوم فرعون أغرقهم الله في اليمّ، فهؤلاء كلهم أهلكهم الله عز وجل وكان مصيرهم الهلاك في الدنيا أما عن الآخرة فإن مصيرهم النار فيها يعذبون ويحرقون ويتألمون، فيها الآلام والأوجاع والآهات والحسرات فمصير هؤلاء في الآخرة هو العذاب والثبور يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75)**﴾ {الزخرف}؛ ذلك أنهم عاندوا وتكبروا وتجبروا وطغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فحق عليهم عذاب الجبار المنتقم، ثم أكد على هذا في منتصف السورة وآخرها فقال:﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (22)**﴾ {غافر}، ويقول أيضاً ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى**

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (83) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85)﴾ {غافر} فبعد أن وعظ الله ﷻ فيما حدث للغابرين من هلاك في الدنيا وعذاب في الآخرة أتبعه بالوعظ والتخويف بالمشاهدة من تتبع الديار والاعتبار، بما كان لهم فيها من عجائب الآثار، من الحصون والقصور وسائر الأبنية الصغار والكبار، وبما كان لهم من قوة وكثرة لكنهم مع هذه القوة والعمارة كانوا ضعافاً أمام بأس الله وعذابه، وكانت ذنوبهم تعزلهم عن مصدر القوة الحقيقية، فلم يغنهم علمهم ولم تنفعهم كثرتهم ولم تمنعهم قوتهم ومنعتهم من عذاب الله لما جاءهم بسبب ذنوبهم وكفرهم وتكذيبهم لله ورسله، ثم بين الله ندم هؤلاء ورجوعهم وإيمانهم لما رأوا العذاب وعدم قبوله منهم، وفي ذلك إشارة إلى أن الإيمان ساعة وقوع العذاب لا ينفع ولا يقبل، وكذلك الأمر عند خروج الشمس من مغربها أو عند خروج الروح، فعن أبي موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: **(إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)**[1].

وعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ، مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)[2] [3].

وقد ذكر الله في سورة غافر مشاهد مرعبة في توصيف حال هؤلاء المكذبين المجادلين الذين أعرضوا عن الحق بل وصدُّوا عنه هؤلاء الذين عذبوا الناس وأذلوهم واستضعفوهم وأخافوهم وقهروهم في الله وهم يجرّون ويسحبون إلى جهنم أذلة ضعافاً خائفين مقهورين والجزاء من جنس العمل فقال جل ذكره: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** {غافر:69-76}، وهذا وصف مخيف لحالهم فهم مقيدون

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، كتاب التوبة/باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (ج2113/4): رقم الحديث 2759.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، باب ذكر التوبة (ج1420/2): رقم الحديث 4253 حسنه الألباني.

(3) انظر: نظم الدرر، إبراهيم بن عمر البقاعي (ج44/17)، وفي ظلال القرآن، سيد قطب (ج3077/5).

بالسلاسل والأغلال ويسحبون بالسلاسل في الحميم وهو الماء المتناهي في الحرارة، فتتقطع أمعاؤهم وتنسلخ لحومهم، ثم يحرقون في النار التي توقد بهم وتحيط بهم، ثم يسألون سؤال تقريع وتبكيت وتوبيخ عن أصنامهم المعبودة، أين أصنامكم وشركاؤكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ما لهم لا ينقذونكم مما أنتم فيه، وينصرونكم اليوم وقت المحنة؟ فيردوا خائبين: غابوا عنا وذهبوا فلم ينفعونا، وفقدناهم فلا نراهم، والحق أننا لم نكن نعبد شيئا، تبينا أننا لم نكن نعبد شيئا ينفع، لأنه لا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، وذاك الذي صدر عنهم اعتراف صريح بأن عبادتهم إياها كانت باطلة، ثم يأتي التيئيس من الخروج مما هم فيه من العذاب بقول خالدين فيها فبئس مثوى المتكبربن فلا خروج لكم مما أنتم فيه ولا انتهاء لكم من هذا العذاب الأليم فأنتم فيه خالدون مخلدون مقيمون جزاءً بما كنتم تكسبون فعن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: قال رسول ﷺ: **(يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ)**(1)

فهذا هو مصير المجادلين والمكذبين وجزاؤهم والملام الوحيد هو أنفسهم التي أخذتهم صوب هذه الندامة وهذا العذاب(2).

هذه هي سنة الله في الأرض أن تكون العاقبة لأتباعه ولمن اتقى في الدنيا والآخرة، وأن يكون الخسران والهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة لمن أعرض وكذب بالله ورسله؛ فعلى المؤمن أن يستبشر بوعد الله خاصة ونحن في هذه الأوقات التي يحاط الإسلام فيها من الجوانب الأربعة ويُكاد عليه حتى من أتباعه الذين يدَّعون كذباً إتّباعه، وعليه أن يعمل ويجدَّ ويكدَّ ليدرك موعود الله ﷻ ، أما عن أعداء الله فعليهم أن يخافوا مغبة ما هم فيه، وعليهم أن يترقبوا ما سيوقع الله عليهم من عذاب وأن الله لم يتركهم هملاً؛ فإنه يمهل ولا يهمل فعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)** قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: **﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** {هود:102}"(3).

---

(1) صحيح البخاري، أبو عبدالله البخاري، كتاب تفسير القرآن/باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ {مريم:39} (ج93/6): رقم الحديث 4730.

(2) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي (ج163/24).

(3) صحيح البخاري، أبوعبدالله البخاري، كتاب تفسير القرآن/باب ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ {هود:102} (ج74/6): رقم الحديث 4686.

المطلب الخامس: الرزق من عند الله

إن الله تبارك وتعالى سمّى نفسه بأسماء كثيرة منها ما هو معلوم لنا ومنها ما لا يعلمه إلا الله ومن هذه الأسماء الرزاق وهو مبالغة من رزق للدلالة على الكثرة يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ {الذاريات:58}، فهو سبحانه الذي يطعم ويسقي ويقسم الأرزاق، وهو الذي يرزق الطير في السماء والسمك في الماء والنمل في الأرض والوحوش في الغابات، ويرزق الناس جميعاً المؤمن منهم والكافر والبر والفاجر فالكل رزقه على الله يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ {هود:6}، فالرازق سبحانه هو الذي يرزق الخلائقَ أجمعينَ، وهو الذي قَدَّر أرزاقهم قبل خلْق العالمين، وهو الذي تكفَّل باستكمالها ولو بعد حين، فلن تموت نفسٌ إلا باستكمالِ رزقِها كما أخبرنا الصادق الأمين ﷺ فعن جابر بن عبدالله قال: قال سول الله ﷺ **(أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ)**[1]، فتبارك الذي أتقن كلَّ شيء في ملكه، وجعل رزقَ الخلائق عليه، ضَمِنَ رزقهُم وسيؤدِّيه لهم كما وعد، وكل ذلك ليركنوا إليه ويعبدوه وحده لا شريك له.

وقد جاءت سورة غافر مؤكدة هذا المعنى فقال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ**﴾ {غافر:13}، فرزق الإنسان محفوظ له من أول ما ينفخ فيه الروح إلى أن تفارق روحه جسده فعن زيد بن وهبٍ، قال عبد اللَّهِ[2]: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ)**[3]، وقد أكد الله ﷻ على هذا المعنى في سورة الذاريات فقال: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ {الذاريات:22} وفي آيات كثيرة من القرآن لسنا بصدد إحصائها.

---

(1) سنن ابن ماجة، أبو عبدالله القزويني، كتاب التجارات/باب الاقتصاد في طلب المعيشة(ج725/2) رقم الحديث: 2144، صححه الألباني.

(2) عبدالله هو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(3) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، كتاب بدء الخلق/باب ذكر الملائكة(ج111/4)، رقم الحديث:3208.

ثم إن الله عز وجل وزّع الارزاق بحكمته وعلمه، وفضّل الناس بعضهم على بعض في الرزق، فمنهم الغني الثريّ، ومنهم الغني المعتدل، ومنهم متوسط الغنى، ومنهم الفقير، ومنهم المسكين، ومنهم من خصَّه بالجمال، ومنهم من خصَّه بالعلم، ومنهم من خصَّه بالدين والتقوى ومنهم من رزقه بالقناعة والرضا فكل هذا من أنواع الرزق، فالرزق لا يقتصر على رزق المال يقول تعالى: ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾ {النحل:71} ويقول أيضاً: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ {سبأ:36}، فسبحانه هو مقسم الأرزاق يرزق من يشاء بغير حساب إذا أعطى أدهش وإذا أخذ فإن أخذه أليم شديد.[1]

أسباب الرزق:

هناك عدة أسباب لسعة الرزق ذكرها الله لنا وبينها رسوله الكريم ومن هذه الأسباب:

1. تقوى الله ﷻ والتوكل عليه هما من أعظم أسباب سعة الرزق ومن أوسع أبوابه يقول تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا • وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ {الطلاق:2-3}.
2. ومن الأسباب التي توسع الرزق صلة الرحم فهي من أسباب بسط الرزق وزيادة العمر، فعن أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **(مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)**[2].
3. كثرة الاستغفار من أهم أسباب سعة الرزق فقد قال الله في سورة نوح: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا • وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾ {نوح 10-12}.
4. الدعاء أيضاً من أسباب سعة الرزق فالله ﷻ يستجب لعباده دعاءهم وهو قريب منهم يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ {البقرة:186}، وقال في سورة غافر: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ {غافر:60}.

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ج11399/18).

(2) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم(ج5/8)، رقم الحديث:5986، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها(ج1982/4)، رقم الحديث:2557.

5. الأخذ بالأسباب والسعي في الأرض بالعمل أو التجارة أو الزراعة أو غيرها من الطرق المشروعة لكسب الرزق يقول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ {الجمعة:10}، وعن أبي عبيد، مولى عبد الرَّحمن بن عوف، أنَّهُ سمع أبا هريرة ﷺ، يقول: قَال رسول الله ﷺ: (**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**)[1].

المطلب السادس: علم الله بدقائق الأمور

يقول الله تعالى في سورة غافر: ﴿**يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ {غافر:16}، ويقول أيضاً: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ {غافر:19}، فالله تبارك وتعالى هو الخبير العليم الذي أحاط بكل شيء علماً، يعلم سرَّ الإنسان وعلنه، وظاهره وباطنه، وجهره وخفاءه، يعلم أفعال العباد وأقوالهم وما في قلوبهم، ويعلم خلجات النفس ووساوسها، بل تعدى علمه إلى كل شيء، فهو يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن إن كان كيف يكون، يعلم عدد حبات الرمال، وأوراق الأشجار، ومثاقيل الجبال، ومكاييل البحار والأنهار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار يقول تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ {الأنعام:59} يقول الشيخ السعدي: "الخبير العليم: هو الذي أحاط علمه بالظواهر، والبواطن، والإسرار، والإعلان، والواجبات، والمستحيلات، والممكنات. وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"[2]، فسبحانه أحصى كل شيء علماً وعدداً ويعلم تفاصيل كل شيء من الأزل إلى الأبد، ويعلم حياة الإنسان من المهد إلى اللحد بل وبعد ذلك من حياة برزخية إلى بعث وخلود في الجنة أو في النار يقول الله: ﴿**إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾ {طه:98}.

وإنه سبحانه مع كثرة الخلق، وتزاحم العلم، وتناثر الكون وامتداده، واختلاف أحوال الناس وأشكالهم وأعمالهم ومآربهم وأسمائهم لا يشغله علم عن علم ولا تنسيه معرفةٌ معرفة، فهو

(1) صحيح البخاري، أبي عبدالله البخاري، كتاب البيوع/باب كسب الرجل وعمله بيده(ج57/3)، رقم الحديث:2074.

(2) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي، ص194.

محيط بكل شيء ومحصيه، يعلم جميع أفعال العباد ويعلم حركات الكواكب والنجوم والمجرات سبحانه عظُم شأناً وعلا رفعة يقول جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ {لقمان:34}.

فمن علم أن الله ﷻ على علم تام بأعماله الظاهرة والباطنة، كان أحرى به أن يتقيه فيبتعد عن كل معصية سواءً كانت في جوارحه كالنظر إلى الحرام أو الغيبة والنميمة أو السرقة أو الزنا وغير ذلك، أو كانت قلبية كالغرور والرياء والحسد والكبر والبغض، وسواءً كانت في السر أي من دون علم الخلائق ومن خلف ظهورهم، أو في العلن أي أمام أعينهم، فهو يكره أن يطلع الله إلى حاله فيراه على معصية وشر.

ومن علم أن الله ﷻ على علم تام بأعماله الظاهرة والباطنة، سارع إلى الخيرات وسابق في الطاعات، وتحرى أن لا يفعل إلا ما يحبه ربه ويرضاه منه، وجعل معظم عباداته سراً فأنفق سراً، وصلى بالليل سراً، وصام الهواجر سراً، وكل ذلك ابتغاء مرضات ربه والحصول على ثوابه الجزيل ونيل الجائزة التي من حازها لم يفقد بعدها شيئاً ألا وهي محبة الله وولايته.

أخيراً إنّ ما يتوجب على المسلم علمه هو أن الله يستوي لديه العلم بالظاهر والباطن، والسر والعلن، فالباطن عند الله ظاهر، والسرُّ عنده علانية، لا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحرٌ ما في قعره، ولا جبلٌ ما في وعره؛ فإن علم المسلم ذلك ارتقى وعمل به إلى مرتبة الإحسان وإخلاص العمل لله تبارك وتعالى.

المطلب السابع: الله يقضي بالحق ويحكم بالعدل

يقول الله تعالى في سورة غافر: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ {غافر:20}، إن أفعال الله ﷻ لا تخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يَجُور في حكمِه وفعله ومنعه وعطائه، وعافيته وبلائه، وتوفيقه وخذلانه، ولا يخرج شيءٌ عن موجب ما تَقْتَضيه أسماؤُه وصفاته مِن العدل والحكمة، والرحمة والإحسان والفضل، فهو الذي سمى نفسه بالعدل، والعدل هو العادل الَّذِي يصدر مِنْهُ فعل الْعدْل المضاد للجور وَالظُّلم[1]، وهو الذي حرم الظلم على نفسه وحرمه على عباده، فعن أبي

(1) انظر المقصد الأسنى، أبي حامد الغزالي، ص98.

ذر الغفاري ، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: **(يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا)**(1).

إن ميزان عدل الله لا يختل في الدنيا أو في الآخرة، أما في الدنيا فإنه إن أعطى وأكرم وتفضل وهدى وأحسن ووفق فهذا بفضله ومنَّته ورحمته، وإن ابتلى ومنع وأضلَّ وأشقى فبحكمته وعدله وعلمه، يقول ابن القيم: "لكنه سُبْحَانَهُ تولى تَدْبِير أُمُورهم بِمُوجب علمه وحكمته وَرَحمته أَحبُّوا أم كَرِهُوا فَعرف ذَلِك الموقنون بأسمائه وَصِفَاته فَلم يتهموه فِي شَيْء من أَحْكَامه وخفي ذَلِك على الْجَهْل بِهِ وبأسمائه وَصِفَاته فنازعوه تَدْبيره وقدحوا فِي حكمته وَلم ينقادوا لحكمه وعارضوا حكمه بعقولهم الْفَاسِدَة وآرائهم الْبَاطِلَة وسياساتهم الجائرة فَلَا لرَبهم عرفُوا وَلَا لمصالحهم حصلوا وَالله الموفق"(2)، فسبحانه ربما يمنع الغنى عن إنسان لعلمه أنه لو كان غنياً لطغى وتجبر، وربما يعطي إنساناً وينعم عليه لعلمه أن لو أفقره لكفر وتضجر، وهكذا حاله ﷻ مع عباده، يفعل ما يصلحهم وينفعهم وينجيهم.

وقد كان من دعاء النبي لربه **(اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي فِي يَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي)**(3) فالمقصود بقوله ﷺ عدل فيَّ قضاؤك أن الله ﷻ عادل في كل قضاء يقضيه على عبده من نعمة أو ألم أو مصيبة، وهذ القضاء خير للمؤمن أياً يكن، فلقد قال رسول الله ﷺ **(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)**(4) والعباد كلهم في جميع أحوالهم في الدنيا في ابتلاء واختبار، سواءً كانت نعمة مسداة فيتوجب عليه شكرها وعدم الطغيان والفساد، أو كانت مصيبة فيتوجب عليه الصبر وتفويض الأمر إلى الله.

وأما في الآخرة فيجازي بما هو فوق العدل، فيجازي على القليل بالكثير فالحسنة بعشر أمثالها وقد تزيد إلى أكثر من ذلك بكثير، والسيئة بمثلها وقد تُغفر ويعفو الله عنها قال تعالى: **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، البر والصلة والآداب/تحريم الظلم(ج1994/4)، رقم الحديث:2577.

(2) الفوائد، ابن القيم، ص93.

(3) المستدرك على الصحيحين للحاكم، الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح(ج690/1)، رقم الحديث:690.

(4) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، كتاب الزهد والرقائق/باب المؤمن أمره كله خير(ج2295/4)، رقم الحديث:2999.

{الأنعام:160}، فلا يظلم أحداً في عمله مهما كان صغيراً يقول جل ذكره:﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)**﴾ {الزلزلة} ويقول أيضاً: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ {النساء:40}، وقد يتجلى معنى هذه الآية في حديث البطاقة، فعن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**)[1]، فانظر إلى عظمة الله في عدله ورحمته سبحانه لا يُظلم عنده أحد، ولا يُنقص عنده مقدار يجازي الإحسان بالإحسان والإساءة بالعفو والغفران فسبحانه ما أعدله وأكرمه.

المطلب الثامن: عذاب القبر حقيقة قرآنية

يقول تبارك وتعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ {العنكبوت:57}، إن الإنسان مهما طالت به الدنيا وامتدت به الحياة فإن نهايته الموت، فبعد أن يعيش حياته سواءً كانت في طاعة الله أو في معصيته وسواءً كانت هذه الحياة رغيدة أم نكدة، فإن نهايته من الحياة تكون بالموت، فالموت هو النهاية المرتقبة التي لا بد منها طالت الحياة أم قصرت، وبالموت ينتقل الإنسان إلى حياة أخرى تختلف تماماً عما كان يعيش في الدنيا.

إن هناك ثلاث حيوات يمر بها الإنسان مذ تنفخ فيه الروح إلى أن ينتهي به المطاف إما إلى جنة وإما إلى النار، وهي الحياة الدنيا التي نعيشها بعد ولادتنا يقول الله: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ {العنكبوت:64}، وحياة البرزخ وهي التي نعيشها بعد موتنا يقول ﷻ: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)**﴾ {المؤمنون}، ثم الحياة الآخرة التي تكون بعد النفخة الثانية وتنتهي إما بالجنة أو بالنار يقول ﷻ: ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ**

---

(1) سنن ابن ماجه، أبي عبد الله القزويني، كتاب الزهد/باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة(ج1437/2)، رقم الحديث:4300، حكم الألباني: صحيح.

الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾ {النازعات}، وموضوع دراستي في هذا المطلب هي الحياة الثانية وهي حياة البرزخ التي تبدأ بعد الموت، فهل يشعر الإنسان بحياة بعد الموت؟ وهل يوجد عذاب ونعيم في هذه الحياة أم لا؟ .

ينكر بعض الناس ممن يوهمهم الشيطان أن لهم محلاً للاجتهاد في هذا الأمر عذاب القبر، ويُحيلون إنكارهم هذا لعدة أسباب؛ لامتناع العقل عن التصديق بمثل هذا، فلو فتحت قبر أحدهم لما وجدت أثراً للعذاب أو النعيم، مع أننا نحن معاشر أهل السنة والجماعة إذا تعارض العقل مع النقل أخذنا بالنقل وتركنا العقل، لأن العقل لا يدرك كثيراً من الأشياء ورؤيته للأمور لها مدىً محدّد، ومنها أن الله ﷻ لا يعذب قبل أن يحاسب فلو فعل كان ذلك ظلماً، وهم لا يدرون أن عذابه هذا تخفيف له من عذابه يوم القيامة، أو أنه تصفية لسيئاته قبل أن تقوم الساعة، ثم هل هؤلاء من حقهم أن يسألو الله عن فعله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، يقول تعالى: **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** {الأنبياء:23} ومنهم من يتعللون بقول الله تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)﴾** {يس} ورد عليهم ابن القيم بقوله: "إنه يُخَفف عَنْهُم مَا بَين النفختين فَإِذا قَامُوا من قُبُورهم قَالُوا {يَا ويلنا من بعثنَا من مرقدنا}"[1].

أما عن مذهب أهل السنة والجماعة فهم يقرّون بعذاب القبر ونعيمه يقول الإمام النووي: "اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر"[2]، ويقول شارح الطحاوية: "وَاعْلَمْ أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ هُوَ عَذَابُ الْبَرْزَخِ، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعَذَابِ نَالَه نَصِيبُه مِنْهُ، قُبِرَ أَوْ لَمْ يُقْبَرْ، أَكَلَتْه السِّبَاعُ أَوِ احْتَرَقَ حَتَّى صَارَ رَمَادًا وَنُسِفَ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ صُلِبَ أَوْ غَرِقَ فِي الْبَحْرِ وَصَلَ إِلَى رُوحِه وَبَدَنِه مِنَ الْعَذَابِ مَا يَصِلُ إِلَى الْمَقْبُورِ"[3]، لما ورد في ذلك أدلة من الكتاب والسنة أما أدلة الكتاب:

- الدليل الأول: قول الله تعالى في سورة غافر: **﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ**

(1) الروح ، ابن القيم، ص89.

(2) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد الخميس، ص503.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين الدمشقي، ص396.

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)﴾ {غافر}، ففي أول الهلاك أصابهم الغرق وهلكوا، ثم هم يُعذَّبون في قبورهم في النار، يُعرضون عليها صباحًا ومساء إلى أن تقوم الساعة، ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون النار؛ بما اقترفوه من أعمال السوء. وهذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر[1].

قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا[2]، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ {غافر:45}، ويقول الإمام النسفي: " {يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به {غُدُوّاً وَعَشِيّاً} أي في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك إما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدواً وعشياً عبارة عن الدوام هذا في الدنيا"[3]، وفي الجلالين " {النار يعرضون عليها} يحرقون بها {غدوا وعشيا} صباحا ومساء"[4]، فهذه الآية دليل واضح على عذاب القبر يقول الشيخ محمد الأمين الشافعي " ثم بيَّن عذابهم في البرزخ بقوله: {النَّارُ}؛ أي: نار جهنم، وهو مبتدأ، خبره: {يُعْرَضُونَ}؛ أي: يعرض فرعون وآله {عَلَيْهَا}؛ أي: على النار، ومعنى عرضهم على النار: إحراق أرواحهم وتعذيبهم بها {غُدُوًّا وَعَشِيًّا}؛ أي: في أول النهار وآخره، وذكر الوقتين: إما للتخصيص، وإما فيما بينهما"[5].

- الدليل الثاني: قوله تعالى في سورة محمد: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ {محمد:27}، وهذا دليل آخر من القرآن يدلِّل على العذاب بعد الموت؛ فالفعل يضربون يوحي بالاستمرارية وعدم الانقطاع من العذاب فهم يعذبون حال موتهم وبعده فعذابهم على الدوام عن ابن عباس رضى الله عنهما "لا يتوفى أحد على معصية إلا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره"[6]، وفي نظم الدرر" {فكيف} أي حالهم {إذا توفتهم الملائكة} أي قبضت رسلنا وهم ملك الموت وأعوانه أرواحهم كاملة، فجازتها إلى دار الجزاء مقطوعة عن جميع أسبابهم وأنسابهم فلم ينفعهم تقاعدهم عن الجهاد في تأخير

---

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص472.

(2) انظر: تفسير القرطبي، أبي عبدالله القرطبي(ج319/15).

(3) تفسير النسفي، عبدالله النسفي(ج214/3).

(4) تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ص624.

(5) تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الشافعي(ج212/25).

(6) تفسير النسفي، أبو البركات عبدالله النسفي(ج329/3).

آجالهم، وصور حالهم وقت توفيهم فقال: {يضربون} أي يتابعون في حال التوفية ضربهم {وجوههم} التي هي أشرف جوارحهم التي جبنوا عن الحرب صيانة لها عن ضرب الكفار. ولما كان حالهم في جبنه مقتضياً لضرب الأقفاء، صوره بأشنع صوره فقال: {وأدبارهم} التي ضربها أدل ما يكون على هوان المضروب وسفالته ثم تتصل بعد ذلك آلامهم وعذابه وهوانهم إلى ما لا آخر له"[1]، وفي سورة الأنعام يشير الله إلى نفس المعنى فيقول: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ {الأنعام:93}.

أما في السنة فالأدلة كثيرة يصل بعضها إلى حد التواتر يقول شارح الطحاوية: " وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِه لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِه، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِه، لِكَوْنِه لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُه الْعُقُولُ، وَلَكِنَّه قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ. فَإِنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ لَيْسَ عَلَى الْوَجْه الْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ إِلَيْهِ إِعَادَة غَيْرَ الْإِعَادَة الْمَأْلُوفَة فِي الدُّنْيَا"[2].

ومما لا شك فيه أن السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن في العقائد التي يتوجب على المسلم اعتقادها فمن أنكر صحيحها فهو معاند مكابر فإن كان إنكاره على النبي ﷺ فهو كافر قال الإمام إسحاق بن راهويه: "من بلغه عن رسول الله ﷺ خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر"[3]، ويقول السيوطي: " فاعلموا رحمكم الله أَن من أنكر كَون حَدِيث النَّبِي ﷺ قولا كَانَ أَو فعلا بِشَرْطِهِ الْمَعْرُوف فِي الْأُصُول حجَّة، كفر وَخرج عَن دَائِرَة الْإِسْلَام وَحشر مَعَ الْيَهُود وَالنَّصَارَى، أَو مَعَ من شَاءَ الله من فرق الْكَفَرَة"[4].

ومن الأدلة التي وردت في السنة عن عذاب القبر:

- مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: **(إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ،**

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي(ج250/18).

(2) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين الدمشقي، ص395.

(3) فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ص11.

(4) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، جلال الدين السيوطي، ص5.

فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا)[1].

- عن أبي هريرة ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ)**[2].
- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: **(نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ)** قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ.[3]
- عَنْ هَانِئٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: **(إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ)** قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ)**[4].

فبعد ذكر الآيات والأحاديث والتفاسير وأقوال العلماء وإجماع السلف عن عذاب القبر يتبين لنا أنَّه حقيقة وأنه واقع على من استحقه، وأن الذين ينكرونه إنما هم على وهم وضلال وزيغ ولا بد لهم من الرجوع إلى الحق واتباعه لئلا يقع بهم ما ينكرونه وذلك هو الخسران المبين، نسأل الله العلي القدير أن يرزقنا حسن الاتباع، وأن يرنا الحق ويرزقنا اتباعه، وأن يرنا الباطل ويرزقنا اجتنابه، وأن ينجينا من عذاب القبر إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المطلب التاسع: التخويف من يوم القيامة ومن النار.

خلق الله الإنسان في هذه الدنيا حتى يعبده ويطيع أمره ويجتنب نهيه، فمن فعل ذلك نجا، ومن خالف عن هذا عرض نفسه للهلاك، وجزاء ما قدم يكسبه يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يُردُّ فيه الناس إلى الله، ذلك اليوم الذي يبعث الله فيه الناس من قبورهم ليجازيهم بما عملوا ويحاسبهم على ما اقترفوا، فإما إلى جنة وإما إلى نار، فلا يستوي فيه من أبصر في هذه الدنيا

---

(1) صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد البخاري، الجنائز/الجريد على القبر(ج2/95)، رقم الحديث:1361.
(2) صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد البخاري، الجنائز/التعوذ من عذاب القبر(ج2/99)، رقم الحديث:1377.
(3) صحيح البخاري، أبي عبدالله محمد البخاري، الجنائز/ما جاء في عذاب القبر(ج2/98)، رقم الحديث:1372.
(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الزهد/ذكر القبر والبلى(ج2/1426)، رقم الحديث:4267.

طريق الحق وسار فيه مع من أغلق عينيه وتعامى عن رؤيته، كما أنه لا يستوي من عمل الصالحات وسارع في القربات مع من تجاوز الحدّ في فعل السوء والسيئات، يقول تعالى: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ {غافر:58}، فجزاء الذين أبصروا وعملوا الصالحات فهو السعادة والراحة والهناء، وذلك بدخول الجنة والتمتع فيها، والسير في حدائقها، والغوص في أنهارها، ومداعبة أزواجهم فيها، يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا**﴾ {النساء:57}، وأما جزاء من عمي وضل عن طريق الحق، وأساء في حق نفسه وحق ربه فهو الشقاء والكدر والعذاب الشديد، وذلك بدخولهم النار، والتقلب في لهيبها، والشرب من حميمها، والأكل من زقومها يقول تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ {الكهف:29}.

أسماء يوم القيامة:

لقد ذكر الله تبارك وتعالى ثلاثاً وعشرين اسماً لليوم الذي يجمع فيه عباده لحسابهم على ما قدمت أيديهم، فمن سعى إلى الخير وعمله وداوم عليه فقد فاز ومن سعى إلى الضلالة وضل فقد خسر وشقي شقاءً عظيماً:

1. يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ {القيامة:1}.
2. اليوم الآخر، قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ {الأحزاب:21}.
3. يوم البعث، قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ {الروم:56}.
4. يوم الخروج، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**﴾ {ق:42}.
5. يوم الفصل، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14)**﴾ {المرسلات:11-14}.
6. يوم الدين، قال الله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ {الفاتحة:4}.

7. يوم الحسرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ {مريم:39}.

8. يوم الخلود، قال الله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ {ق:34}.

9. يوم الجمع، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ {التغابن:9}.

10. يوم التغابن، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ {التغابن:9}.

11. يوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ {ص:16}.

12. يوم الوعيد، قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ {ق:20}.

13. يوم التلاق، قال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ {غافر:19}.

14. يوم الآزفة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ {غافر:18}.

15. يوم التناد، قال الله تعالى: ﴿وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ {غافر:32}.

16. الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ {الإسراء:19}.

17. الساعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ {غافر:59}.

18. الواقعة، قال الله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ {الواقعة:1}.

19. الحاقة، قال الله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)﴾ {الحاقة:1-3}.

20. الطامة الكبرى، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35)﴾ {النازعات:34-35}.

21. الصاخة، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾{عبس:33}.

22. الغاشية، قال الله تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3)**﴾ {الغاشية:1-3}.

23. القارعة، قال الله تعالى: ﴿ **الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4)**﴾ {القارعة:1-4}.

وقد اشتملت سورة غافر على أربعة أسماء من أسماء يوم القيامة التي اشتمل عليها القرآن وهي: يوم التناد، ويوم التلاق، ويوم الآزفة، والساعة، وهذا يدلل على أن سورة غافر من السور التي تحتوي على قدر كبير من الترهيب الذي من شأنه حض الناس على ترك ما يجعلهم في دائرة الكفر والضلال، وحثهم على التقوى والصلاح.

إن الناظر إلى سورة غافر يجدها ممتلئة بالجانب الترهيبي والتخويفي الذي يذكّر بيوم القيامة وأهواله وبالنار وأحوال من فيها؛ وذلك شأن السور المكية التي ترسخ العقائد في القلوب، كما وتذكر مغبة عصيان أمر الرحمن وعاقبة أمر المؤمنين وسوء منقلب الكافرين؛ ليرتدع المخالفون وليثبت الذين آمنوا بالله ورسوله، فتجد الزجر والترهيب من النار ومن يوم القيامة يبدأ من أول السورة وحتى آخرها في صورٍ وأساليب متعددة؛ ففي أول السورة يخبر الله ﷻ أن النار مصير الكافرين المخالفين عن أمر الله يقول الله ﷻ : ﴿ **وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ {غافر:6}، فالنار هي منتهى الذين كفرو وقد وجبت لهم بما ضلوا وأضلوا، وأنها كما وجبت على الكافرين المكذبين من الأمم السالفة وجبت على الكافرين المكذبين بالنبي ﷺ ودينه ورسالته[1].

ثم كان بعد ذلك دعاء حملة العرش والملائكة للمؤمنين أن يقيهم الله عذاب جهنم؛ لما يعلموا من شدة العذاب وعدم تحمله وإطاقته، فالملائكة يعلمون عظم حجم النار وعظيم عذابها فعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ عليه السلام: **(مَا لِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟ قَالَ: مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ)**[2]، فلشدة عذاب النار وقسوته وفظاعته لم يضحك ميكائيل عليه السلام، وقد هال جبريل عليه السلام ما رأى عندما أرسله الله لرؤية النار فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ**

---

(1) انظر: مختصر تفسير بن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني(ج235/2).

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني(ج42/6)، رقم الحديث:2511، حكم الألباني: صحيح الإسناد.

اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ " قَالَ: " فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا)**[1]، فما كان منهم بعد أن علموا بشدة حر النار وشدة عذابها إلا أن يدعوا لعباد الله المؤمنين أن ينجيهم الله تبارك وتعالى من عذابها يقول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ {غافر:7}، فالذين يحملون العرش ومن يحف به منهم يطلبون من الله أن يعفوَ عن المؤمنين من عباده وأن يجنبهم عذاب النار وأهوالها[2].

ثم ذكر الله تبارك وتعالى تمني الكافرين وتوسلهم إلى الله تبارك وتعالى ليخرجهم من النار ويعيدهم إلى الحياة فيؤمنوا بالله ويطيعوه ويفعلوا الخير والطاعات، ويجتنبوا السوء والمعاصي التي كانوا عليها فيقول الله تعالى: ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ {غافر:11}، فلسان حالهم أننا اعترفنا بذنوبنا التي ارتكبناها من تكذيب الرسل والإشراك بالله وترك توحيده، وإنكار البعث، فهل لنا من طريق للخروج من النار والرجوع إلى الدنيا[3]، وقد ذكر الله ذلك مفَصَّلاً في سورة فاطر فقال: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)**﴾ {فاطر}.

كما وجاءت الآيات في سورة غافر تخوّف الناس وتنذرهم ليستعدّوا لليوم الذي سيلاقون فيه ربهم فقال: ﴿ **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ**

---

(1) سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، السنة/في خلق الجنة والنار(236/4)، رقم الحديث:4744، حكم الألباني: حسن صحيح.

(2) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص467.

(3) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي(89/24).

الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18)﴾ {غافر}، ففي هذه الآيات ينذر الله تبارك وتعالى عباده من يوم القيامة ويذكرهم أنهم سيقفون أمام الله حفاة عراة غرلا لا يخفى على الله من أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم التي كانوا عليها من شيء يقول صاحب الضلال: "والله لا يخفى عليه منهم شيء في كل وقت وفي كل حال، ولكنهم في غير هذا اليوم قد يحسبون أنهم مستورون، وأن أعمالهم وحركاتهم خافية، أما اليوم فيحسون أنهم مكشوفون، ويعلمون أنهم مفضوحون ويقفون عارين من كل ساتر حتى ستار الأوهام! ويومئذ يتضاءل المتكبرون، وينزوي المتجبرون، ويقف الوجود كله خاشعا، والعباد كلهم خضعا"[(1)]، ويذكرهم أنه لا ملك يومها إلا هو، فقد زال مُلْك الملوك، وذهب سلطان السلاطين، ولم يبق إلا مُلْك مالك الملك جلَّ جلاله، ومن بعد ذلك يعاود الله إنذار يوم القيامة وبعض أهواله بأمره لنبيه أن يحذر الناس من يوم القيامة القريب الذي اقترب وآن الوصول إلى أهواله، إذ إن القلوب من المخافة والرهبة والذعر ارتفعت من الصدور إلى الحلوق، وامتلأ الهم والغم والحزن، والظالمون يومها هم الخاسرون فليس لهم صديق ولا شفيع يشفع لهم عند الله تبارك وتعالى[(2)]، وقد كان ﷺ دائم التحذير لقومه من يوم القيامة فعَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ)**[(3)].

وقد حذر أيضاً مؤمن آل فرعون قومه يوم التناد، وهو يوم القيامة قال الله تعالى: **﴿ وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (33)﴾** {غافر:32-33}، وسُمي بيوم التناد، لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم، وينادي بعضهم بعضا، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة، وينادي أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم، وينادى منادٍ فيه بالسعادة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وينادى فيه بالشقاوة ألا إن فلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وينادى فيه حين يذبح الموت بين الجنة والنار، يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، وفيه ينادي المؤمن هاؤم اقرءوا كتابيه،

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب(3073/5).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص735، التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفاسير، ص469.

(3) سنن الترمذي ت شاكر، محمد بن عيسى الترمذي(ج636/4)، رقم الجديث:2457، حكم الترمذي:حسن.

وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه[1]، وقيل لأنه ينادى الموتى فيه من قبورهم[2]، وفي هذا اليوم تولون عن موقف الحساب إلى النار، فمنتهاكم إليها لا تجدون من يمنعكم ويعصمكم من عذاب الله فقد حقّ عليكم عذابه بفعلكم وما قدمت أيديكم[3].

وقد أكد الله ﷻ في سورة غافر بقيام الساعة وأنها آتيةٌ لا محالة، وأنه لا شك في وقوعها فقال:﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ {غافر:59}، ففي الآية ثلاث مؤكدات وهنّ: إن التوكيدية، ولام التوكيد، ونفي الريب والشك؛ وذلك ليستقرَّ الإيمان في قلوب المؤمنين، ويقيم الحجة على المنكرين الضالين.

وفي سورة غافر ذكر الله ﷻ بعض أحوال المجرمين وهم في النار من مجادلتهم لبعضهم، وحديثهم مع خزنة النار وندمهم على ما قدموا وفعلوا يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (49) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (50)**﴾ {غافر}، وهذه من بعض أحوال أهل النار، فقد ندم الأتباع والضعفاء على اتباعهم أسيادهم الذين استكبروا على أوامر الله ورسله، وطلبوا منهم أن يتحملوا عنهم جزءاً من العذاب الواقع عليهم؛ لأنهم هم سبب كفرهم ولولاهم لما وقعوا في الشرك والضلال، لكن في ذلك اليوم لا حكم ولا أمر إلا لله، فيجيبوهم أنا لو كنا نملك من ذلك من شيء لخففنا عن أنفسنا ولكننا جميعا مشتركون في العذاب يقول صاحب الظلال: "إن الضعفاء إذن في النار مع الذين استكبروا. لم يشفع لهم أنهم كانوا ذيولا وإمعات، ولم يخفف عنهم أنهم كانوا غنما تساق، لا رأي لهم ولا إرادة ولا اختيار، لقد منحهم الله الكرامة، كرامة الإنسانية، وكرامة التبعة الفردية، وكرامة الاختيار والحرية، ولكنهم هم تنازلوا عن هذا جميعا، تنازلوا وانساقوا وراء الكبراء والطغاة والملأ والحاشية، لم يقولوا لهم: لا بل لم يفكروا أن يقولوها بل لم يفكروا أن يتدبروا ما يقولونه لهم وما يقودونهم إليه من ضلال"[4]، فلمّا علم أهل النار أن الله تبارك وتعالى لن يستجيب لهم ولن يسمع منهم كلاما فقد قال لهم: ﴿**اخْسَئُوا**

---

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الشيحي المعروف بالخازن، ط1(ج7/4)، والتفسير الواضح، الحجازي محمد محمود(ج302/3).

(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الرحمن الخطيب(ج1232/12).

(3) انظر: تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ص622.

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب(ج3084/5).

فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ {المؤمنون:108} طلبوا من الملائكة الذين هم خزنة جهنم أن يدعوا لهم الله فيخفف عنهم من عذابهم الذي هم فيه يوماً واحداً، فقالت الخزنة: أو ما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل؟ أما جاؤوكم بالبينات؟ فقال أهل النار: بلى قامت علينا الحجة والبينة، فقالت الخزنة: إذاً فادعوا أنتم لأنفسكم فنحن، لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم برآء، وإن دعوتم فلن يسمع منكم أحد ولن يستجيب لكم أحد[1]، فهم بعد ذلك خلود في النار لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ما هم فيه، فلقد استحقوا هذا العذاب بإعراضهم واستهزائهم وظلمهم أنفسهم، فاللوم كله عليهم والذنب منهم، ولو أنهم أطاعوا الله ورسوله ما حل فيهم ما صاروا إليه.

ثم ذكر الله ﷻ في نهايات السورة بعضاً من مشاهد عذاب أهل النار في النار وتوبيخ الله لهم وسخطه عليهم ونهايتهم المؤلمة المأساوية التي انتهوا إليها في نهاية المطاف فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76)﴾** {غافر}، ففي هذه الآيات يتعجب الله ﷻ من المجادلين والمكذبين بآيات الله كيف تنصرف عقولهم عن الهدى والرشاد إلى الضلال والغي مع قيام الأدلة وصحتها، ثم ينذرهم الله بذكر أحوالهم وهم في النار والأغلال في رقابهم والسلاسل في أيديهم وأرجلهم، يسحبون في الماء الذي اشتد غليانه وحره، ويوقد عليهم اللهب العظيم، فيصلون بها ويشتعلون فيها والنار تملؤ أجسامهم وتوقد أبدانهم، ثم يوبخهم الله على شركهم وضلالهم ويبين لهم سبب عذابهم وهو أنهم كانوا يفرحون بما يقترفونه من المعاصي والذنوب ويُسرُّون بالآثام والسيئات، وهذه هي نهاية من عصا الله ورسوله وتكبر وأفسد؛ فالجزاء من جنس العمل، والحصاد من جنس الزرع، نهايته الخلود في النار فلبئسه من مثوى ولبئسه من نزل[2].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج149/7).

(2) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي(ج162/24).

المطلب العاشر: العاقبة لمن اتبع الحق

لقد خلق الله سبحانه تبارك وتعالى الإنس والجن ليعبدوه ويوحدوه ويطيعوا أمره ولا يشركوا به شيئا فقال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ {الذاريات: 56}، ولكي يبلّغ لهم هذه الغاية العظيمة والأمانة الثقيلة، أرسل إليهم رسلًا ليبيّنوا لهم حقيقة هذه الدّعوة الحق ويهدوهم إلى طريق الصواب ويعينوهم على التمسك بالدين ويعلموهم شرائع دينهم يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا**﴾ {المزمل: 15}، ويقول تعالى: ﴿**وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾ {فاطر: 25}، ويقول تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ {النحل: 44}، فقد تبين للناس الخير والشر ووُضِح لهم الحق والباطل ثم صار كل واحد منهم إلى ما يختار بنفسه طريق الحق أو الضلال يقول تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ {الإنسان: 3}، ويقول تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ {البلد: 10}، أي الطريقين طريق الحق وطريق الضلال.

ولما صار الناس إلى فريقين فريق يتبع الحق والهدى والنور ويريد أن يعمّر الأرض بشرعة الله ومنهجه، وفريق ضل واتبع الهوى وأراد أن يغلب الناس على الظلم والضلال وأن يفسد الأرض بالغيّ والشرك، كان ذلك داعي الصراع بينهما، وأراد كل واحد منهما أن يقيم منهجه ويطبق حكمه فتغالبا وتنازعا، فأهل الحق قلة على الدوام ولكن سندهم وحاميهم هو الله يمكن لهم على قدر إيمانهم وجهدهم، وأهل الباطل ومن اتبع الضلال كُثُر يقول تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾ {الأنعام:116}، ويقول تعالى: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ {يوسف:103}.

إن الباطل على كثرته وسعيه لإفساد الناس وإضلالهم مضمحل زائل سائر إلى فناء، وإن الحق ومع قلة أتباعه منتصر متمكن لا محالة، ذلك أن الله ﷻ رب كل شيء ومليكه ناصره ومؤيده، وهذا ما جاءت به قصص القرآن وما أكدت عليه، فقصة نوح عليه السلام انتهت بانتهاء الباطل وانتصار الحق بالرغم من قلة أتباع الحق وكثرة أعدائهم يقول تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ**﴾ {الأعراف:64}، وكذلك قصة هود عليه السلام يقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ**

قَوْمِ هُودٍ(60)﴾ {هود}، ومثليهما الأنبياء من بعدهم صالح ولوط وإبراهيم ويوسف وموسى ، فهذه هي سنة الله في أرضه أن يمكن لأوليائه ويستخلفهم في الأرض ويجعل لهم العاقبة يقول جل ذكره: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)﴾** {القصص}.

وسورة غافر من السور التي أكدت هذا المعنى الذي نحن في صدده فقال الله في سورة غافر: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾** {غافر:5}، فلقد كذب قوم نوح ومن بعدهم ممن تحزبوا على أنبيائهم مثل عاد وثمود ومن بعدهم، ليس ذلك فحسب بل أرادوا أن يحبسوا رسلهم ويعذبوهم ويقتلوهم، وتمسكوا بالباطل وجادلوا به ليزيلوا الحق ويقضوا عليه، فكان مصيرهم الهلاك والعذاب، وكانت عاقبة الرسل وأتباعهم أن من الله عليهم ومكن لهم[1].

وفي سورة غافر يطلب الله من المشركين أن ينظروا في أحوال الأمم السابقة وما حل بهم من هلاك مع شدة قوتهم وكثرة جمعهم وعددهم فلم تنفعهم شدة قوتهم ولم تنصرهم كثرتهم يقول تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾** {غافر:21}، ويقول تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** {غافر:82}، وتكرار الأمر بالنظر في عاقبة المكذبين، والمفسدين، والمجرمين؛ ليبين لنا القرآن الكريم أن الظلم والفساد والبغي في الأرض بغير الحق وتكذيب الرسل كل ذلك سبب لهلاك الممالك واندثار الحضارات، وفي ذلك تحذير من الوقوع في ما وقع فيه السابقون فتكون العاقبة واحدة وهي الأخذ والهلاك[2].

وفي نهاية قصة موسى ومؤمن آل فرعون عبرة واضحة جلية، فبعد أن تكبر فرعون وقومه وأبوا إلا الضلال والغي وتعذيب أهل الإيمان وصدهم عن طريق الحق يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25)﴾** {غافر} وبعد أن رفضوا دعوة مؤمنهم وترهيبه لهم وتذكيره إياهم عاقبة السوء يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ**

---

(1) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبدالله القرطبي(ج293/15).

(2) الوحي والإنسان – قراءة معرفية، محمد السيد الجليند، ص149.

يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)﴾ {غافر} أنزل الله بآل فرعون العذاب والغرق في الدنيا ثم كان مصيرهم النار يعذبون فيها في أشد درجات عذابها، وأما من اتبع الحق وصبر عليه كانت له العاقبة ووقاه الله مكر الماكرين يقول تعالى: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)**﴾ {غافر}، ثم كانت العاقبة لنبي الله ومن اتبعه وسار معه في طريقه يقول الله بعدما ذكر هلاك آل فرعون وعذابهم: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (52) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (53) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (54)**﴾ {غافر} ، فلقد أُهلك فرعون وقومه، ومُكّن موسى عليه السلام ومن تبعه وآتاهم الله الهدى وأورثهم الكتاب ليكون لهم هداية ونوراً وموعظة ودليلا إلى الخير والرشاد.

وبعد ذكر الله عز وجل قصة موسى ومؤمن آل فرعون أمر الله نبيه بالصبر حتى يأتيه موعود الله الحق، ويمنّ عليه بالتمكين والنصر كما منّ على الذين من قبله ممن سار على طريق الهدى والرشاد يقول تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾ {غافر:55}.

ولقد وعد رسول الله ﷺ أتباعه بالنصر والتمكين فعَنْ خَبَّابٍ[1]، قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فَجَلَسَ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ فَقَالَ: **(قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ**

(1) هو الصحابي الجليل خباب بن الأرت.

صَنْعَاءَ وَحَضْرَمُوتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ)[1]، فليس بعد الاستضعاف إلا التمكين، وليس بعد الصبر إلا النصر، فلا بد لنا إن أردنا أن ينصرنا الله وأن يمكننا وقد استعلى الفجور وطم الفسق أن نسير على طريق الأنبياء والرسل، وأن نقدم لله من أنفسنا وأوقاتنا وجهدنا، وأن نسير إلى إصلاح أنفسنا وذوينا فبذلك يكون النصر يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَتَمَّ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ كَانَ أَحَقَّ بِنْصِرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾ {غافر: 51}"[2].

---

(1) سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، الجهاد/في الأسير يُكره على الكفر(ج47/3)، رقم الحديث:2649، حكم الألباني: صحيح.

(2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية(ج179/2).

المبحث الثالث:

الأساليب البلاغية للتوجيهات التربوية العقدية في ضوء سورةغافر.

إن الناظر إلى اللغة العربية يجدها تحتوي العديد من الأساليب البيانية والبلاغية التي تجلي الصورة وتبين المراد من الكلام، وذلك بحسب حال الكلام والمراد منه، والقرآن الكريم جاء بهذه اللغة، لذلك نجده يحتوي على أساليب منوعة ومتعددة تبين شدة فصاحة هذا الكتاب وإعجازه، وأنه ليس إلا من عند الله القدير.

المطلب الأول: أسلوب الطباق

الطباق: هو الجمع بين ضدين أو نقيضين أو متنافيين في الجملة، وقد يكون المتناقضان اسمين مثل: الليل وضده النهار، وقد يكونا فعلين مثل: يأتي وضده يذهب، كما تكون بين نوعين مختلفين مثل: ميتاً فأحييناه فالأول اسم والثاني فعل، وقد تكون بين حرفين مثل: له وضده عليه[1].

يعدّ الطباق من أساليب اللغة البلاغية التي تحسن الكلام، كما أن له تعلقاً وثيقاً ببلاغة الكلام وما يضفي في النفوس من أثر، فلا بدّ من تحقق غرض ما من وروده وذكره،[2] وقد ورد هذا الأسلوب في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ومن هذه المواضع ما جاء في سورة غافر في أكثر من آية منها:

- قال تعالى: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ {غافر:3}، فالذنب والتوب بينهما طباق، والطباق هنا غرضه تبيين مدى رحمة الله وعظم عفوه ومغفرته، كما أن المراد منه تحفيز العصاة للتوبة والإنابة والرجوع إلى الله.
- قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ {غافر:46}، ففي هذه الآية ذكر الله عذاب آل فرعون، وبين شدته وعظيم ألمه؛ وحتى يدلل على استمرارية هذا العذاب وعدم انقطاعه ذكر أنهم يعرضون على النار بالغدو والعشي، وفي ذلك طباق يبين أن عذابهم مستمر ودائم إلى الأبد وغير منقطع.[3]

---

(1) انظر: فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك الثعالبي، ص275، والمنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني(ج163/1)، وتحقيق الفوائد الغياثية، محمد الكرماني(ج793/2).

(2) انظر: البلاغة 1 – البيان والبديع، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص386.

(3) انظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب، ص577، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي(127/24).

- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ {غافر:58}، وفي هذه الآية يوجد طباق بين كلمتي الأعمى والبصير، وأيضاً بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء، فكما أنه لا يستوي الأعمى مع البصير؛ فالبصير يرى ما حوله، ويدرك الظلام من النور، وهو بغير حاجة لمن يقوده ويدله على الطريق بخلاف الأعمى، كذلك لا يستوي من عمل الصالحات مع من أساء، فمن عمل الصالحات جزاؤه رضا الرحمن وجناته، ومن أساء وعمل السيئات فجزاؤه سخط الله وعذابه، والطباق هنا يفيد التفضيل والتمييز وعدم المساواة بين الصنفين.[1]
- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ {غافر:68}، الطباق هنا بين فعلين وهما: يحي ويميت، فالحياة نقيض الموت، والله تبارك وتعالى هو الذي خلق الموت والحياة، وهو الذي يحي ويميت كما بينت الآية، والغرض من ذكر ذلك بيان قدرة الله سبحانه في الخلق والإيجاد والإحياء والإماتة، وأنه هو من يوجد الوجود بإرادته حينما يشاء ويعدمه وقتما يشاء سبحانه هو العلي القدير.

المطلب الثاني: أسلوب الاستفهام.

يعرف الاستفهام بأنه "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة"[2]. وأدوات الاستفهام هي: "الهمزة، هل، ما، من، متى، أيان، أين، كيف، أنى، كم، أي"[3]. وقد ورد أسلوب الاستفهام في التوجيهات العقدية في عدة آيات:

يقول تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ {غافر:11}، في هذه الآية يبين الله ﷻ اعتراف الكافرين بأن الله من أحياهم وأماتهم وأوجدهم، كما ويعترفون بما اقترفوا من ذنوب وآثام في حق أنفسهم وفي حق جناب الله، ثم يتبعون هذه الاعترافات بسؤال يسألونه ربهم فيقولون: هل من الممكن يا ربنا أن تخرجنا من النار وتعيدنا إلى الدنيا، حتى نعمل الصالحات ونسارع في القربات ونطيعك يا الله، وهذا الاستفهام غرضه التمني والرجاء، فهم يتمنون من الله أن يخرجهم من النار ويعيدهم إلى الدنيا.[4]

---

(1) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الشافعي(ج229/25).

(2) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص88.

(3) المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني(ج95/2).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص733، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي(ج86/24).

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ {غافر:21}، وهذ الاستفهام الذي في أول الآية غرضه الإنكار، فالله سبحانه ينكر على المشركين عدم سيرهم في الأرض، وعدم اعتبارهم من الأمم السابقة التي أهلكهم الله عندما أصروا على كفرهم وذنوبهم بالرغم من أن قوتهم كانت أشدّ من قوة المشركين في عهد محمد ﷺ، والأصل أن يتعظوا من ذلك وأن يخافوا من غضب الله وعذابه.[1]

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ {غافر:47}، يذكر الله سبحانه في هذه الآية بعضاً من مشاهد أهل النار، فيلوم الضعفاء من أهل الشرك والكفر سادتهم وكبراءهم ويحملونهم الإثم والمسؤولية وأنهم هم السبب في ضلالهم وكفرهم، ثم يطلبون منهم بصيغة السؤال أن يتحملوا عنهم جزءاً من العذاب، فيقول الضعفاء للسادة: نحن كنا لكم خدما وتُبّع وكنا ننقاد لكم في كل ما تأمروننا به من معصية وضلال، وأنتم كنتم السادة والكبراء، فهل لكم أن تتحملوا عنا جزءاً من العذاب الذي نحن فيه، والاستفهام هنا غرضه التمني والرجاء، فهم يتمنون ذلك مع علمهم بأنه غير حادث.[2]

يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾{غافر:50}، في الآية التي تسبق هذه الآية يطلب أهل النار من خزنة جهنم أن يتوسطوا لهم عند ربهم فيخفف عنهم يوماً من العذاب، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ {غافر:49}، فيجيب خزنة النار من في النار بسؤال يوجهونه لهم، فيسألونهم قائلين: ألم يأتيكم رسل من عند الله بالبينات والبراهين يدعونكم إلى طريق الحق والرشاد، فيجيب أهل النار قائلين: بلى، حينها يرد الخزنة: إذاً فنحن لا نسمع منكم ولا ندعوا ولا نشفع لكم، فدعاؤكم باطل وليس منه طائل أو فائدة، والاستفهام في هذه الآية غرضه التقرير والاثبات، فهم يثبتون الحجة عليهم، ويجعلونهم يقرون ويعترفون أنهم يستحقون عذاب النار والمكوث فيها.[3]

---

(1) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي(ج97/24).

(2) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب(ج6443/10).

(3) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني(ج247/2).

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ {غافر:69}، وفي هذه الآية يوجد استفهامان: الأول: ألم تر، والثاني: أنى يُصرفون، والاستفهامان غرضهما التعجب، فالله سبحانه يتعجب ممن يجادل في آياته كيف يمارون ويجادلون فيها، وكيف تصرف عقولهم عن الحق وتميل نحو الضلال، مع وضوح الأدلة وثبوتها.[1]

يقول تعالى:﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74)﴾ {غافر}، تسبق هذه الآيات آيات تتحدث عن العذاب الذي ينزلها الله بالمكذبين وبالمشركين يوم القيامة، وفي أثناء هذا العذاب يُوجه إليهم سؤال غرضه التحقير والتوبيخ، فأين الذين كنتم تشركون من دون الله؟، والغاية من السؤال ليس الاستخبار عن مكان وجودهم، بل الغاية تحقير أمر أولئك الشركاء والتقليل من شأنهم، كما أنه توبيخ لمن أشركهم بالعبادة وتقريع لهم على ما كانوا يتخذون من شركاء لله ويتركون عبادة الله الواحد القهار، فهو تحقير للشركاء وتوبيخ وتقريع للذين أشركوا، كما أن الاستفهام في الآية يدل على بعد الشركاء من المشركين، وأنهم لا يملكون لمن أشرك ما ينفعهم وينجيهم.

يقول تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ {غافر:81}، ذكر الله سبحانه هذه الآية بعد أن ذكر جملة من الآيات الظاهرة التي تدل على كمال قدرة الله سبحانه، والتي يشاهدها الإنسان عياناً، فالله سبحانه جعل هذه الآيات ليهتدي بها الإنسان إلى خالقه سبحانه ويسير على طريقه وهدايته، ثم إن الله سبحانه يوجه في هذه الآية سؤالاً للذين كذبوا وأشركوا فيقول: بعد أن أريتكم آيتي الواضحة الباهرة، فأيٍ منها تنكرون؟، والاستفهام في هذه الآية غرضه توبيخ الذين ينكرون آيات الله سبحانه وأنه هو خالقها.[2]

المطلب الثالث: أسلوب الأمر

الأمر: "وهو صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"[3].

(1) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي(ج162/24).

(2) انظر: المرجع السابق (ج169/24)، والتفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص476.

(3) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الملقب بالمؤيد بالله(ج155/3).

أو " هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"[1].

هذا هو أصل الأمر أنه يكون على وجه الاستعلاء والالزام، لكنه قد يستخدم لغير ذلك الغرض، فقد يفيد الاباحة، أو التخيير، أو الدعاء، أو التهديد، أو الحث والاثارة وغير ذلك من الأغراض،[2] وقد ورد أسلوب الأمر في التوجيهات العقدية في عدة آيات أذكرها فيما يلي:

- يقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)**﴾ {غافر}، في هذه الآيات يذكر الله سبحانه بعضاً من صفات الملائكة التي منها حبهم للمؤمنين ودعاؤهم لهم، فهم في هذه الآيات يتوجهون إلى الله بالدعاء والرجاء أن يغفر للمؤمنين وينجيهم من عذاب النار، وأن يمن عليهم بدخول الجنة التي هي أجمل ما خلق الله، وأن يجنبهم عمل السيئات في الدنيا؛ فهي التي تسلك بالإنسان طريق النار، وقد أتى فعل الأمر في هذه الآيات في ثلاث كلمات وهي: اغفر، وقهم وقد تكررت مرتين، وأدخلهم، وهذه الأفعال هي أفعال أمر لكنها لا تفيد الأمر الذي هو على وجه الإلزام والاستعلاء، بل هو أمر يفيد الدعاء والرجاء، لأن الطلب إذا كان موجه من الأدنى إلى الأعلى يسمى دعاء، فالملائكة يتوجهون إلى الله بالدعاء والرجاء أن يغفر للمؤمنين وأن يشملهم برحمته ورعايته وجنته.[3]
- يقول تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ {غافر:18}، يأمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن ينذر قومه يوم القيامة، وأن يبين لهم ما فيه من أهوال ومخاوف، فالقلوب من شدة الاضطراب والخوف تصل إلى الحناجر فتكتم الأنفاس والحلوق، والأمر في هذه الآية يفيد الالزام فهو من جهة أعلى، فالله سبحانه هو الآمر في هذه الآية والمأمور هو نبيه الكريم ﷺ.[4]

---

(1) أساليب بلاغية، أحمد الرفاعي، ص110.

(2) انظر: البلاغة 2 – المعاني، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص354.

(3) المرجع السابق، ص360.

(4) انظر: التفسير الحديث، دروزة عزت(ج361/4).

- يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ {غافر:49}، يطلب أهل النار من خزنة جهنم أن يدعوا لهم الله أن يخفف عنهم يوما من العذاب، وفعل الأمر في هذه الآية يفيد التمني والرجاء والالتماس، لا الالزام والاستعلاء، فهم يتمنون من الخزنة أن يشفعوا لهم عند الله.
- يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ {غافر:50}، وفعل الأمر في هذه الآية يفيد التيئيس والتقنيط، فإن دعاء الكافرين غير مسموع ولا مجاب؛ وذلك بأنهم كفروا برسلهم وما جاؤوهم من البينات والهدى.

المطلب الرابع: أسلوب الإطناب

الإطناب: هو "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[1].

أو هو: " عرض المعنى في عبارة زائدة؛ بحيث تحقق الزيادة فائدة"[2].

يعدّ الإطناب من الأساليب البلاغية في اللغة العربية، والإطناب يستخدم فيه كلمات أكثر للضرورة، فهذه الكلمات قد تزيل المبهم، وتوضح الغامض، وتسهل الصعب، وقد تكون تبياناً لرفعة شيء ما أو حقارته، فالإطناب إسهاب وزيادة في الألفاظ ليبين حقيقة الكلام ويوضحه.

- يقول تعالى: ﴿ حَم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)﴾ {غافر}، إن مطلع سورة غافر يبين أن القرآن منزل من عند الله سبحانه وتعالى، وقد استرسل ربنا سبحانه جل في علاه وأسهب في وصف ذاته العلية وهو ما يسمى بالإطناب، وقد بدأ الإطناب بكلمة العزيز وحتى آخر الآية الثالثة، وغاية هذا الإطناب بيان بعض صفات الله العلية الجليلة، التي تحفز النفس على الاستقامة والهداية، فالله سبحانه عزيز يعلم ما يدور في كونه كله، وهو سبحانه يغفر ذنوب العصاة ويقبل توبتهم إذا ما أقبلوا عليه، وهو أيضاً شديد العقاب لمن تولى عن طاعته وأدبر عن الإيمان به، وهو ﷻ صاحب الفضل والمنة والإحسان، وكل

(1) أساليب بلاغية، أحمد الرفاعي، ص229.

(2) البلاغة 2 – المعاني، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص510.

الخلائق مصيرهم ومنتهاهم إليه سبحانه، وهذه الصفات إذا ما أدركها الإنسان كانت له طريقاً إلى الرشاد.

وقد ذكر الإطناب في سورة غافر في كثير من الآيات أذكر منها على سبيل الإيراد لا الحصر:

- يقول تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ {غافر:5}، الإطناب في هذه الآية في كلمة من بعدهم، وهذا الإطناب يفيد الترتيب الزمني، فقوم نوح كانوا قبل الأحزاب وهم عاد وثمود وأهل مدين وقوم لوط وقوم فرعون، وسمّوا بالأحزاب لأنهم تحزبوا على رسلهم وتآمروا عليهم، فكانت نهايتهم الهلاك والعقاب[1]، وأيضاً وقع الإطناب في جملة ليدحضوا به الحق، والغرض من ذلك تبيين مراد المكذبين من الجدال والمماراة، وهي دحض الحق وإزالته والخلاص منه.
- يقول تعالى: ﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16)**﴾ {غافر:14-16}، فقول الله رفيع الدرجات ذو العرش إطناب يدلل على عظمة الله سبحانه ورفعة شأنه وعلو قدره، وقوله سبحانه يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء إطناب يفيد بيان عظمة أمر هذا اليوم وأهميته؛ إذ أن العباد يلاقون فيه ربهم، ويعرضون عليه لا تخفى منهم خافية.
- يقول تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ {غافر:22}، الإطناب في هذه الآية في شبه الجملة بالبينات، وذلك لبيان إقامة الحجة وإثباتها على المكذبين والكافرين، ومع ذلك جحدوا وتولوا عن سبيل الهدى والرشاد.

المطلب الخامس: أسلوب التوكيد

التوكيد: "هو تمكين الشيء في النفس وتقويته، لإزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه"[2].

---

(1) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي(ج2259/3).

(2) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد المراغي، ص52.

وقد ورد أسلوب التوكيد في التوجيهات العقدية في عدة آيات أذكر منها:

- يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {غافر:8}، ورد أسلوب التوكيد في هذه الآية في قول الملائكة في ثنائهم على ربهم: إنك أنت العزيز الحكيم، وقد ورد في مؤكدين وهما: حرف التوكيد إن، وضمير المخاطب أنت، وذلك للتأكيد على صفات الله المطلقة الكمال.
- يقول تعالى: ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ {غافر:9}، يؤكد حملة العرش ومن حولهم في هذه الآية أن من جنبه الله فعل السوء فقد رحمه الله، وقد أُكّد قولهم بمؤكدين: المؤكد الأول قد، والثاني الضمير في قوله وذلك هو الفوز العظيم، فزيادة الضمير هو تأكيدً على المعنى المراد، وهو أن الفوز الحقيقي أن يستطيع العبد ترك السيئات؛ لأن ذلك الطريق إلى السعادة الأبدية بالظفر بجنة الله سبحانه ورضاه.
- يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ {غافر:10}، فالكافرون عندما يروا أهوال النار ويعاينوها يمقتون أنفسهم مقتاً شديداً، فينادون أن الله سبحانه يبغضكم ويمقتكم أكثر مما تمقتون أنفسكم، وقد أُكّد هذا القول بمؤكدين: المؤكد الأول وهو إن التوكيدية، والمؤكد الثاني لام التوكيد في قول الله لمقت الله، وذلك لجرم الكافرين وإعراضهم عن الإيمان.
- يقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ {غافر:59}، أكد الله سبحانه وتعالى وقوع الساعة بثلاث مؤكدات وهي:

1. إن التوكيدية.
2. لام التوكيد.
3. نفي الريب والشك في وقوعها.

وقد أكد الله على وقوع الساعة بثلاث مؤكدات لأن الساعة أمر غيبي ينكره كثير من الناس، فأراد الله سبحانه أن يوثق في أنفسهم وفي قلوبهم صدق وقوع ذلك اليوم، وأنه آت لا محالة، كذلك لشدة جحود الكافرين وإنكارهم ليوم القيامة، فإن زيادة المؤكدات من شأنها رفع ذلك الجحود والإنكار، وأيضاً توقع الحجة على من أصرّ على كفره وبغيه.

المطلب السادس: المقابلة

المقابلة: هي "إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"[1].

وبعد النظر في آيات التوجيهات العقدية لم يجد الباحث إلا آية واحدة وجد فيها هذا الأسلوب البلاغي وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ {غافر:12}، وهذه الآية وردت في مقام توبيخ أهل النار وتقريعهم على ما أشركوا مع الله من شركاء، وقد اجتمع في الآية أربعة أضداد وهي: الوحدانية وضدها الشرك، والكفر وضده الإيمان، والجمع بين هذه الأضداد على الصورة التي وردت في الآية يسمى مقابلة.

المطلب السابع: أسلوب النفي

- يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ {غافر:17}، تتكلم هذه الآية عن يوم الحساب الذي سيحاسب فيه كل عبد على ما قدم، وسيُجازى فيه بناء على ما أسلف من عمل، وقد نفى الله سبحانه الظلم في ذلك اليوم، وأنه سبحانه لن يظلم أحداً مقدار ذرة، فالكل مرهون بعمله مجزي به.
- يقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ {غافر:18}، ينذر الله سبحانه في هذه الآية من يوم القيامة العظيم الهول، وقد تكرم الله على عباده سبحانه في ذلك اليوم العصيب بالشفاعة، فالنبي يشفع، والشهداء يشفعون، والمؤمنون يشفعون، إلا أن الظالمين لسوء جرمهم وعظم كبرهم نفى الله سبحانه وجود من يشفع لهم ويخرجهم مما هم فيه من الغم والعذاب.
- يقول تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ {غافر:58}، في هذه الآية ينفي الله سبحانه مساواة الأعمى مع البصير، وأيضاً ينفي استواء الصالح المؤمن مع المسيء المذنب.
- يقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ {غافر:59}، ينذر الله تبارك وتعالى من اقتراب الساعة وأنها آتية لا محالة، وبالرغم من إنذاره سبحانه إلا أن كثيراً من الناس لا يؤمن بها، فالله سبحانه ينفي الإيمان عن كثير من الناس، فأكثر

---

(1) الصناعتين، أبو هلال الحسن العسكري، ص337.

الناس يتبعون الهوى والشيطان، ويميلون إلى الراحة والكسل، وهذا يجعلهم يكفرون بالله سبحانه ولقائه.

- يقول تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ {غافر:85}، إن المشركين لما يروا عذاب الله الأليم، وبأسه الشديد حينها يؤمنون بالله وحده سبحانه، والله سبحانه يخبرنا أن إيمانهم في ذلك الوقت ليس من ورائه نفع أو جدوى، فهو سبحانه ينفي نفع الإيمان لمن يؤمن وقت نزول العذاب وحلوله، فالإيمان في ذلك الوقت قيمته صفرا.

الفصل الثاني

التوجيهات التربوية الدعوية وأساليبها البلاغية المستنبطة في ضوء سورة غافر

المبحث الأول:
الدعوة ماهيتها وتعريفها.

لقد جعل ربنا تبارك وتعالى الدعوة إلى الله مفتاح الوصول إليه ودليلاً للدخول في دينه، فلولا الدعوة إلى الله ما اهتدى أحدٌ إليه، ولولا الدعوة إلى الله لغرقت الأرض في الفساد ونسي الناس ربهم وخالقهم ودينهم، ولذلك بعث الله الأنبياء وأرسل إليهم الرسل؛ ليذكروا البشرية بخالقهم ويدلونهم عليه يقول تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46)**﴾ {الأحزاب}.

المطلب الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

الدعوة لغة: لها عدة معان منها:

"دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حث على قصده، ودعوت زيدا: ناديته وطلبتُ إقباله، ودعا فلانا: صاح به وناداه، ودعاه إلى الأمير: ساقه إليه، ويقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا"[1].

تأتي بمعنى الدعاء، وهي بالفتح في الطعام، وبالكسر في النسب، وبالضم في دعوة الحرب والجهاد[2].

ومنها: "إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، والدعوة إلى الطعام، والنداء، والحث على قصد الشيء.

ومن الدعوة جاء اشتقاق الداعية وهو: الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والهاء للمبالغة.

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع.

قال تعالى مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن:

﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ**﴾" {الأحقاف:31}.[3]

---

(1) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني(ج5/1).

(2) انظر: التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ص96.

(3) التدرج في دعوة النبي، إبراهيم المطلق، ص18.

الدعوة إلى الله اصطلاحاً:

ذكر صاحب كتاب التدرج في دعوة النبي في تعريف الدعوة:

"إن الدعوة هي قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة"[1].

وقيل في تعريفها: "هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيَّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"[2].

وفي كتاب مجموع الفتاوى لابن تيمية: "هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"[3].

ويرى الباحث أن الدعوة إلى الله: هي توجيه الناس إلى الإيمان بربهم وحثهم على طاعته وجلبهم إلى دائرته من خلال اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من أوامر ونواهي، بمهارات متنوعة وطرق عديدة.

المطلب الثاني: ماهية الدعوة إلى الله وأهميتها

إن الدعوة إلى الله شرف عظيم يناله كل من التحق بصفوف الدعاة، فهي مهنة الأنبياء عليهم السلام التي ابتعثهم الله بها، فمن سار بالدعوة إلى الله فقد عَمِلَ بعمل الأنبياء وشغل شغلهم واقتفى أثرهم، فهو بذلك أحق الناس بصحبتهم وشفاعتهم يوم القيامة، وقد امتدح الله أمة محمد ﷺ بالدعوة إلى الله ونالوا شهادة الخير من الله بذلك فقال الله تبارك وتعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ {آل عمران:110}، فبأمرهم للمعروف ونهيم عن المنكر وإيمانهم العميق بالله تميَّزوا عن سائر الأمم وحازوا شرف شهادة الله لهم بالخيرية، ثم إن الله تبارك وتعالى امتدح قول الدعاة وأثنى عليه وجعله أحسن القول فقال جلّ جلاله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ {فصلت:33}، فثناؤه على

(1) التدرج في دعوة النبي، إبراهيم المطلق' ص19.

(2) العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد القحطاني، ص12.

(3) مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية(175/15).

قولهم ثناءٌ عليهم، وفي مدحه لقولهم مدح لهم، فأفضل الناس الأنبياء وهم أول الدعاة إلى الله وقد فضّلوا على الناس بدعوتهم الناس وصبرهم عليها، فمن وفقه الله إلى الركوب في سفينة الدعوة والدعاة فقد نال الخير وحاز الفضل والأجر وقد أخبر النبي ﷺ أن هداية رجل واحد خير من حمر النعم فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: يَوْمَ خَيْبَرَ: **(لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ)**، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: **(أَيْنَ عَلِيٌّ؟)**، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: **(عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)**[1].

حكم الدعوة إلى الله:

لمَّا كانت الدعوة إلى الله الطريق الذي يدلُّ الناس إلى ربهم، ويهديهم إلى دينهم القويم وصراطهم المستقيم كان فرضاً على الأمة أن تسخِّر وتهيئ من يدعوا الناس إلى الله تبارك وتعالى، وهذا ما دلت عليه الآيات والأحاديث فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ {آل عمران:104}، وقال أيضاً: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ {النحل:125}، فالأمر في الآيتين يدل على الوجوب، وأن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى من الفرائض التي فرضها الله على أمته، ويدل على ذلك أيضاً حديث النبي ﷺ فعن عبد الله بن عمرو ﷺ، أن النبي ﷺ قال: **(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)**[2].

فالدعوة إلى الله كما قال العلماء هي فرض كفاية إن قام بها البعض سقطت عن الآخر، والحديث هنا عن كل قُطْرٍ من الأقطار فيتوجب وجود دعاة إلى الله في كل مكان، وقد تصبح الدعوة إلى الله فرض عين إن لم يوجد من يقوم بها ولا يوجد من تتوفر فيه الصفات

---

(1) صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري، الجاد والسير/دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة(ج4/47)، رقم الحديث:2942.

(2) صحيح البخاري، لأبي عبد الله البخاري، أحاديث الأنبياء/ما ذكر عن بني إسرائيل(ج4/170)، رقم الحديث: 3461.

اللازمة للداعية حينها تصبح الدعوة فرض عين على من تتوفر فيه القدرة على الدعوة إلى الله تبارك وتعالى[1].

مواصفات الداعية إلى الله:

إن مما يتوجب على من سلك طريق الدعوة إلى الله أن يتحلى بصفات حسنة وأخلاق حميدة، حتى يكون ذا أثر وتأثير في الجمهور، وإلا سينعكس الأمر سلباً على الدعوة، وقد بينتُ هذه الصفات فيما يلي:[2]

- أن يكون مخلصاً لله في دعوته، وأن لا يكون غرضه دنيوي من الدعوة، أو لرياء أو لسمعة وحب الثناء عليه؛ فإن الإخلاص سبب لقبول العمل من الله وهو أيضاً سبب لقبول الناس دعوتك يقول تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ {البينة:5}.
- الدعوة إلى الله على علم، إذ يجب على الداعية أن يكون متفقهاً وعلى علم بأمور دينه وما يدعوا إليه، وليس القصد هنا بأن يكون عالماً وإنما ملمَّاً بأمور الدين والدعوة يقول تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ {يوسف:108}.
- أن يكون صابراً في دعوته فلا ييئس ولا يملّ ولا يقنط إن تعرض للإعراض أو النفور، فالدعوة ليست بالأمر السهل اليسير، والداعية لن يجد دعوته تجري على بساط الراحة، وقد لاقى الأنبياء عليهم السلام جميعاً صعوبات كبيرة في دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى يقول تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾{النحل:127} .
- أن يكون الداعية متحلٍّ بالأخلاق الحسنة، من لين جانب، وصدق، وكرم، وتواضع، وعفو، وحلم، ومحبة للآخرين، وإيثار للغير، وسلامة الصدر من الغيرة والحسد، وغير ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وقد وصف الله سبحانه نبيه الكريم بأنه صاحب أخلاق عظيمة جليلة يقول تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ {القلم:4}.

---

(1) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن باز، ص14.

(2) انظر: زاد الداعية إلى الله، ابن عثيمين، ص21-22، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن باز، ص43-47.

- أن يكون قدوة حسنة في أفعاله وتصرفاته، فلا يأمر بشيء ويأتي بنقيضه، ولا ينهى عن شيء ويفعله، فإن فعل ذلك سقط من أعين الناس وهان عليهم كلامه؛ فكان سبباً في صد الناس عن الدين وابتعادهم عنه واشتدّ غضب الله عليه يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)**﴾ {الصف:2-3}، وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**)[1].

- الحكمة في الدعوة والموعظة الحسنة؛ بأن يتخير الوقت المناسب والمكان المناسب والشخص المناسب والموعظة المناسبة باللين والمحبة والحلم وبذلك أمر الله نبيه الكريم فقال: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ {النحل:125}.

- ومما على الداعية أن يكسر الحواجز التي بينه وبين الناس، فلا يكون بعيداً عنهم ويرى أن بينه وبينهم مسافات، أو يرى أنه ليس مقامه الجلوس مع العامة ومداعبتهم وممازحتهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد تحمله الغيرة على الدين وكراهة المنكر أن لا يذهب إلى أصحاب المعاصي والمنكرات وينصحهم وهذا خطأ وليس من الدين والحكمة، بل الدين يأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الحالات ولجميع الناس.

- أن لا يحمل الداعية في قلبه على أحد يخالفه؛ فالأصل أن الخلاف لا يفسد للود قضية، وأن الخلاف أمر طبيعي ومن فطرة البشر وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)**﴾ {هود:118-119}.

- أن يكون الداعية ذا مظهر حسن في ملبسه ورائحته، فالناس تألف الجمال وتحبه، وتنفر من القبح وتكرهه، وكذلك إن الله سبحانه جميل يحب الجمال عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**) قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الزهد والرقائق/من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله(ج2290/4)، رقم الحديث: 2989.

يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: **(إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)**[1]

المطلب الثالث: خصائص الدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية تتمتع بخصائص فريدة تتميز فيها عن غيرها من الدعوات الأخرى وهذه الخصائص هي[2]:

- أنها دعوة ربانية من عند الله تبارك وتعالى، فالله ﷻ هو من أرسل نبيه ﷺ بها؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور يقول الله ﷻ : ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ {الأنعام:161}، ويقول: ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ {إبراهيم:1}.

- دعوة الإسلام وثيقة الصّلة بدعوات الأنبياء والمرسلين؛ فدعوات الأنبياء والرسل كلها جاءت تحث على عبادة الله وتدعوا إلى توحيده وطاعته يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ {الأنبياء:25}.

- تصحيح ما انحرف من دعوات الرسل والأنبياء من أقوامهم وأتباعهم لا سيّما العقائد منها، وتعديل مسار تلك الأديان والاتجاه بها نحو الإسلام والقضاء على مظاهر الانحراف الديني كالشركيات والبدع والخرافات الضالة والمضلة باتباع الكتاب والسنة يقول تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ {الحشر:7}.

- الوسطية والاعتدال، فهي تراعي وتلائم الحاجات الإنسانية، فهي لا تميل إلى الغلو والتشديد، ولا إلى الرخاوة المطلقة فلا إفراط ولا تفريط، فتعاليم الإسلام لا تُلحِقُ بالإنسان مشقّة، ولا تُنْزِل به حرجاً، ولا تُسبِّب له ضيقاً أو عنتاً يقول تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ {المائدة:6}.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الإيمان/تحريم الكبر وبيانه (ج93/1)، رقم الحديث:91.

(2) انظر: أصول الدعوة وطرقها1، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص228–265، وأساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، أبو المجد سيد نوفل(ج127/49).

- الشمولية: إنّ دعوات الأنبياء والمرسلين عبْر مسيرة البشرية كانت دعوات خاصّة تقتصر على قوم بعيْنهم، أو على أمم بذاتها، أمّا الدعوة الإسلامية فإنها تشمل جميع الخلق المكلفين إنساً وجناً، أحراراً وعبيداً، ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {سبأ:28}، ويقول تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3)﴾ {الجن}.

- أنها دعوة عالمية إنسانية جاءت لتحقق العدل والمساواة بين جميع الناس، فلا تفاضل بينهم بسبب الجنس أو العرق، وإنما معيار التفاضل هو تقوى الله تعالى يقول الله ﷻ : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ {الحجرات:13}.

- ومن خصائصها أنها توافق العقل والفطرة، فديننا لا يعارض العقول السليمة، ولا يصادم الفكر الصحيح، ولا يناقض الفطرة الإنسانية النقية.

- وهي دعوة حيوية مرنة تلائم جميع الأزمان ومختلف الأماكن، فهي تصلح لكل زمان ومكان، فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق العباد وهو أعلم بما يصلح أحوالهم يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ {الملك:14}.

- وهي آخر الرسالات السماوية، والدعوات الربانية، وتستمر إلى آخر الزمن حتى يشاء الله تبارك وتعالى يقول الله ﷻ : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ {الأحزاب:40}.

بعدما تبين لنا خصائص هذه الدعوة العظيمة من كونها ربانية وثيقة الصلة بما جاء به الأنبياء تصحح الأفكار والمعتقدات معتدلة وسطية تساوي بين جميع أفراد المجتمع متوافقة للعقل والفطرة حيوية مرنة تلائم الأزمان والأمكنة على اختلافها يتبين لنا أنها هي الدعوة الحق التي لا مراء فيها ولا جدال، وعلى ذلك يتوجب على كل من كان يبحث عن الحق والصواب أن يتبع هذه الدعوة وأن يركب في سفينتها ويرتحل في ترحالها.

المبحث الثاني:

التوجيهات التربوية الدعوية المستنبطة في ضوء سورة غافر:

إن الله تبارك وتعالى أرسل الأنبياء والرسل إلى أقوامهم لكي يدعوهم إلى عبادة الله تبارك وتعالى ويدلّوهم على طريق الهدى والرشاد، وبذلك أرسل نبيه محمد ﷺ، ولقد اهتم القرآن الكريم بالدعوة إلى الله وبيانها وبيان أساليبها وفي هذا المبحث تم استنباط عدد من التوجيهات الدعوية من خلال سورة غافر وهي في عشرة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: القرآن الكريم كتاب هداية ودعوة من الله تعالى.

لقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم على رسوله ﷺ هداية للناس يهتدون به إلى الحق، ونوراً لهم يستنيرون به في طريقهم، وبشرى لهم يبشرهم برحمة الله ورضوانه ومغفرته لمن أطاعه واتبع هداه، وإنذاراً لهم من عذاب أليم مقيم لمن خالف أمر الله واتبع هوى نفسه وسلك مسلك الشيطان، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ {النحل:89} ويقول أيضاً: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10)**﴾ {الإسراء}، فالقرآن الكريم في كل سوره وفي كل آيه هداية ونور ورحمة، والله تبارك اسمه أنزله لذلك؛ أنزله لكي يرشد الناس إلى ما فيه صلاح أمرهم في الدنيا وفلاحهم وفوزهم في الآخرة.

وقد افتتح الله تبارك وتعالى القرآن بذلك فقال في سورة الفاتحة التي نقرؤها في صلاة الفريضة سبعة عشر مرة في اليوم والليلة: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)**﴾ {الفاتحة} وهذه الآيات جاءت على صيغة المخاطبة والدعاء، أي أنه غاية ما نطلبه منك يا ربنا هو الهداية إلى طريقك القويم وصراطك المستقيم، وفي بداية سورة البقرة التي هي أول سورة بعد فاتحة الكتاب من حيث الترتيب يقول الله: ﴿ **الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**﴾ {البقرة:1-2} ومعناه أن هذا القرآن من عند الله تبارك وتعالى لا مجال للشك في آياته ولا ريب في أنه من عند الله أنزله هداية وإرشاداً لمن أراد الهداية والسير عليها، وفي ذلك دليل على أن القرآن كل القرآن جاء لقصد الهداية.

فالقرآن وما فيه من أوامر ونواهي، وقصص ومواعظ، ودروس وعبر، وترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وحجج وبراهين وبيّنات، جاء لهدف واضح بيّن وهو دعوة الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى وهدايتهم إلى عبادته والامتثال لأمره وترك كلّ ما يغضبه وإخراجهم من الظلمات إلى النور يقول تعالى: ﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {النحل:64}، ويقول: ﴿ **الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ {إبراهيم:1}، وهذا هو الهدف من إرسال النبي ﷺ وإنزال القرآن الكريم عليه، فمن تمسك بالقرآن لا يضل طريقه ولا يحيد عن هدفه فقد كان مما قال النبي ﷺ في حجة الوداع: **(وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ)**[1] و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)**[2].

وقد تميزت هداية القرآن بأنها عامة وتامة وواضحة، أما عمومها؛ فلأنها تشمل العالمين جميعا الإنس منهم والجن في كل زمان ومكان يقول تعالى: ﴿**تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً**﴾ {الفرقان:1}، وأما تمامها؛ فلأنها احتوت أرقى وأوفى ما عرفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله للناس، وذكرت كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمعت بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظمت علاقة الإنسان بربه، وبالكون الذي يعيش فيه، ووفّقت بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد يقول تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ {الأنعام:38}، وأما وضوحها؛ فلعرضها مواضيعها عرضا رائعا مؤثرا، توافرت فيه كل وسائل الإيضاح وعوامل الإقناع بأسلوب فذ معجز في بلاغته وبيانه، واستدلال بشواهد الكون وما فيه من آيات، وأمثال خلابة تقرب الفهم وتوضح المراد، وحكم بالغات تبهر الألباب بمحاسن الإسلام، وجلال التشريع، وقصص حكيم مختار يقوي الإيمان واليقين، ويهذب النفوس والغرائز، ويصقل الأفكار والعواطف، ويدفع الإنسان دفعا إلى التضحية والنهضة، ويصور له مستقبل الأبرار والفجار تصويرا يجعله كأنه حاضر تراه الأبصار في رابعة النهار[3].

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الحج/حجة النبي صلى الله عليه وسلم(ج2/896)، رقم الحديث:1218.

(2) المستدرك على الصحيحين، للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، العلم/فأما حديث عبدالله بن نمير(ح1/172)، رقم الحديث:319، حكم الألباني:صحيح.

(3) انظر: الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن محمد أيوب، ص95.

وسورة غافر هي سورة من سور القرآن الكريم وشأنها من شأنه، فقد جاءت لتدل الناس على خالقهم وتدعوهم إلى عبادته وتوحيده والرجوع إليه قبل أن يفوت الأوان كما فات على من سبق من الأمم الضالة، وذلك في كل أجزاء السورة من أولها إلى آخرها، فهي تدعوا الناس إلى الإيمان بالله والتوبة والرجوع إليه يقول الله ﷻ : ﴿**حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)**﴾ {غافر}، ففي قوله: ﴿ **تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ دعوة للناس للإيمان به وكأنه يقول لهم هذا الكتاب من عند الله أنزله إليكم لتؤمنوا به وتصدقوا ما فيه، ثم رغبهم بالتوبة والرجوع والإنابة إليه بذكر أنه يغفر الذنوب ويقبل التوبة، كما وتدعوهم إلى عبادته ﷻ وتوحيده بشحذ الأدلة التي تبين أن الله يستحق العبادة والتوحيد يقول تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14)**﴾ {غافر} وتحذرهم من عصيانه والمعاندة على الباطل وتبين أن نهاية ذلك العذاب يقول تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (6)**﴾ {غافر:5-6}، وذلك حال السورة كلها هداية ودعوة وترغيب وترهيب بالأدلة والحجج والبراهين، التي من شأنها أن تزيد المؤمنين هدىً وإيماناً، وتُفحم الجاحدين والمجادلين.

أخيراً اعلم أن الله أنزل هذا القرآن للناس حتى ينقادوا به ويهتدوا به، متى رجعوا إليه صلح حالهم واجتمعت كلمتهم ورفع شأنهم في الدنيا والآخرة، ومتى ابتعدوا عنه تنازعوا واختلفوا وتنافروا، وقد قال الله مخاطباً أهل الكتاب: ﴿ **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)**﴾ {المائدة:15-16}، واعلم أن قراءته حياة، ومسامرته نجاة، وحفظ آيه رفعة وعلا فعن عبد اللَّه بن عمرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا)** فحري بنا أن نرجع إليه وأن ننقاد به علَّ الله أن يرفع شأننا ويعلي كلمتنا ويكشف ما بنا من ذلة ومهانة فقد قال ﷻ: ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ {الأنبياء:10}.

المطلب الثاني: أرسل الله رسله بالبينات الواضحات ليؤمن أقوامهم.

إن الله تبارك وتعالى لمّا خلق العباد ونفخ فيهم من روحه وأورثهم الأرض واستخلفهم فيها، أراد منهم أن يؤمنوا به وأن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يعبدوه ولا يعبدوا معه أحداً يقول سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ {الذاريات:56}، وإنه ﷻ يحب من عباده ذلك ويرضاه لهم؛ لينزل عليهم رحمته ويفوزوا بمغفرته وجنته، ويكره منهم الكفر والفسوق والعصيان؛ لأنه سبب في خسارتهم ومدعاة لغضب الله عليهم وتعذيبهم يقول تعالى: ﴿ **إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ {الزمر:7}، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)**(1).

وحرصاً منه تبارك وتعالى على إيمان الناس، واتباعهم الرسل والأنبياء، ودخولهم في دين الله، أرسل إليهم رسله وأنبياءه بالمعجزات الخارقات والبينات الواضحات؛ لأن ذلك أدعى في إيمانهم برسلهم وحجة قوية لصدق المرسلين، فلا يتردد في دخول الإيمان مثقال ذرة من كان يبحث عن الحق ويريده، أما من أراد المعاندة والمكابرة واتباع الهوى والشيطان؛ فإن هذه الآيات والدلالات تكون حجة عليهم في إهلاكهم وإرسال العذاب عليهم يقول تعالى في سورة غافر: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (22)**﴾ {غافر}، فلقد كان آخر أمر الذين كفروا وعاندوا من الأمم السابقة الهلاك والعذاب؛ وذلك لأنهم كذبوا بالرسل وجحدوا بما جاءتهم به رسلهم من البينات والمعجزات(2).

ولقد افتتح الله ﷻ قصة موسى ﷺ في سورة غافر بأنه أرسله الله ﷻ بالآيات والدلالات البينة والحجة القوية والبرهان الواضح(3) فقال: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، التوبة/الحض على التوبة والفرح بها(ج2104/4)، رقم الحديث:2747.

(2) انظر: تفسير النسفي، لأبي البركات النسفي(ج206/3).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ج139/7).

مُبِينٍ﴾ {غافر:23}، فقلد أرسل الله ﷻ موسى إلى فرعون وقومه بالمعجزات والآيات؛ علَّهم يتذكرون أو يهتدون سبيلاً.

المعجزات التي أيَّد الله بها موسى عليه السلام في دعوته لفرعون:

يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا﴾** {الإسراء:101}، وهذه الآيات هي: العصا، واليد البيضاء، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، مفصلة على النحو التالي:

- قلب العصا إلى حية وأكلها حبال السحرة يقول تعالى: ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20)﴾** {طه}، ويقول أيضاً: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾** {الأعراف:117}.
- اليد البيضاء المتلألئة كضوء الشمس من غير مرض ولا برص يقول تعالى: ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** {القصص:32}.
- القحط والجفاف بقلة المطر، وقلة الثمرات يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾** {الأعراف:130}.
- يقول تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾** {الأعراف:133}، فلقد أرسل الله عليهم الطوفان وهو السيل الجارف فأغرق زروعهم وثمارهم، وأرسل عليهم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم، وأرسل القمَّل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات، وأرسل الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم، وأرسل عليهم الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دمًا، ولم يجدوا ماء صالحًا للشرب[1].

---

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير (ج166/1).

معجزات موسى عليه السلام لبني إسرائيل:

- خروج عيون الماء من الحجر يقول تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ {البقرة:60}، فلقد فجر الله الحجر إلى ثنتي عشرة عيناً على عدد أسباطهم لكل سبط من أسباطهم عين يعرفونها ويشربون منها[1].
- شق البحر: لما أوحى الله إلى موسى عليه السلام وقومه أن يفرّوا من فرعون وجنوده، تبعهم فرعون وجنوده وحال البحر بين موسى وقومه وبين الفرار، فأوحى الله إلى نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فانشقّ البحر ونجى موسى وقومه وأغرق الله فرعون وجنوده أجمعين يقول تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66)﴾ {الشعراء:63-66}.
- رفع جبل الطور فوقهم كأنه سقف أو سحاب يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ {الأعراف:171}.

معجزة يوسف عليه السلام المذكورة بالقرآن:

يقول الله تبارك وتعالى في سورة غافر: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ {غافر:34}، لقد أيد الله يوسف عليه السلام بالمعجزات والدلالات فظل قومه مرتابين شاكين في نبوته حتى توفاه الله فقالوا لن يبعث الله من بعده رسولا[2]، أما عن هذه المعجزات فقد ذكر الله منها واحدة وهي تفسير الرؤيا بالحق فما تروى له رؤيا إلا وفسرها وجاء تفسيره كفلق الصبح وقد حكى الله لنا هذا في سورة يوسف يقول تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

---

(1) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني(ج69/1).

(2) مفاتيح الغيب، لأبي عبدالله محمد الرازي(ج513/27).

(37)﴾ {يوسف:36–37}، فقد كان معه في السجن فتيان فلما عرفوه بالصلاح سألوه عن رؤياهم علَّه يفسرها لهم فأخبرهم أن الله علَّمه تأويل الرؤى ثم أخبرهم بتأويلها يقول تعالى: ﴿ **يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾ {يوسف:41}، وقد فسر أيضاً رؤيا الملك لما عجز جميع البطاركة والأساقفة وأصحاب المعبد أن يفسروها يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44)**﴾ {يوسف،43–44}، ولما سألوا يوسف أجابهم وفسر رؤيا الملك يقول تعالى على لسان يوسف: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)**﴾ {يوسف:47–49}.

معجزات الأنبياء التي ذكرها القرآن:

لقد أرسل الله رسله إلى الناس وأيَّدهم جميعاً بالآيات والمعجزات وقد ذكر الله لنا في كتابه بعضاً من هذه المعجزات:

معجزة نبي الله صالح عليه السلام:

لقد أرسل الله نبيه صالحاً عليه السلام إلى قومه قوم ثمود فدعاهم إلى الله وأن يعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، فكذبوه وطلبوا منه أن يأتيهم بآية ومعجزة دليلاً على صدقه، فأخرج الله من حجر صلد أمامهم ناقة وجعل لها سقيا يوم كامل فهي كثيرة الشرب، وتسقيهم مثله لبنا لم يشرب قط ألذ وأحلى منه[1] يقول تعالى على لسان قوم صالح: ﴿**مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156)**﴾ {الشعراء}، ويقول: ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ {الأعراف:73}.

---

(1) انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبدالله محمد القرطبي(ج238/7).

معجزة نبي الله إبراهيم عليه السلام:

أما عن معجزة إبراهيم عليه السلام فهي لما ألقاه قومه في النار لأنه حطم أصنامهم خرج منها سالماً غانماً لم يحترق فيه شيء، وجعلها الله عليه برداً وسلاماً يقول ﷻ: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)**﴾ {الأنبياء}، ويقول أيضاً: ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {العنكبوت:24}.

معجزة نبي الله يونس عليه السلام:

دعا نبي الله يونس قومه إلى توحيد الله والإيمان به وعبادته، لكن قومه لم يجيبوه إلى ذلك، فلما أيس منهم أنذرهم عذاب الله وحدد لهم موعده، وخرج من قريته غاضباً على قومه، واتجه إلى البحر ليركب في سفينة ويهاجر إلى بلاد أخرى، وقد كان خروجه من غير إذن من الله ﷻ ، فلما ركب البحر وسارت السفينة هاج البحر فيهم وكادت السفينة أن تغرق، فاحتكم أهل السفينة إلى القرعة ليرموا بأحدهم في البحر، وقد قدّر الله أن يكون نبيه يونس من تقع عليه القرعة ثلاث مرات والناس يضنون به أن يلقوه في البحر لصلاحه وتقواه، فقام بإلقاء بنفسه في البحر، ثم أمر الله الحوت أن يلتقمه، فلما صار في بطن الحوت وقد علم أن ما حدث معه كان سببه هو الخروج من قريته بغير إذن من الله ﷻ فجازاه الله بذلك ليكون له ولمن بعده درساً وعبرةً وعظةً نادى ربه واستغاث به واعترف له بخطئه فنجّاه الله وأخرجه من بطن الحوت وأعاده إلى قومه بعد أن آمنوا وتضرعوا لمّا رأو العذاب الذي وعدهم نبيهم مستقبلاً لهم يقول الله تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)**﴾ {الأنبياء}، والظلمات هي ظلمة الليل الذي كان قد حل، وظلمة البحر والبحر ظلماتٌ بعضها فوق بعض، وظلمة بطن الحوت ويقول أيضاً: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (148)**﴾ {الصافات}.[1]

---

(1) انظر: مختصر ابن كثير، محمد الصابوني(ج191/2) ، وتفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ص429.

معجزة نبي الله أيوب عليه السلام:

لقد أكرم الله نبيه أيوب عليه السلام وآتاه النبوة وبسط له في رزقه وماله، وزاد له في ولده فكان شاكراً لربه أنعمه التي أنعمها عليه، ولكن الله ابتلاه وبإرادته ﷻ سُلِّط عليه الشيطان، فمرض أيوب عليه السلام مرضاً شديداً وفقد أهله وماله إلا امرأته، ومكث مبتلىً مدة كبيرة لم يتضجر ولم يجزع بل كان صابراً محتسباً، إلى أن دعا الله تبارك وتعالى بأن يعافيه، ويخرجه مما هو فيه، فاستجاب الله له ورد له صحته وأهله وماله ومثلهم معهم وبارك له فيهم يقول تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42)**﴾ {ص}.[1]

معجزات نبي الله داود عليه السلام:

أرسل الله نبيه داود عليه السلام وأنزل عليه الزبور وهو "كتاب داود وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، وإنما هي حكم ومواعظ"[2]، وآتاه الله الملك الحكمة وفصل الخطاب يقول تعالى: ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَاب**﴾ {ص:20}، وقد من الله عليه بمعجزتين:

1- تسبيح الطير والجبال معه فكانت الطير إذا سبح داود جمعت له وسبحت معه يقول تعالى: ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19)**﴾ {ص} يقول بن كثير: " وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعا له"[3].

2- إلانة الحديد بين يديه يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11)**﴾ {سبأ}.

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص528 ، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي(ج110/17).

(2) تفسير القرطبي، لأبي عبدالله محمد القرطبي(ج17/6).

(3) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ج57/7).

معجزات نبي الله سليمان عليه السلام:

دعا نبي الله سليمان عليه السلام ربه أن يؤتيه ملكاً لا يكون لأحد بعده مثله يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35)**﴾ {ص}، فأجاب الله له دعاءه ووهبه ملكاً عظيماً فوهبه ما يلي من المعجزات:

- أن علمه الله القدير لغة الطير والحيوان، فكان يفهم عليه السلام منطق الطيور والحيوانات والحشرات، فقد أخبر عليه السلام من حوله أن الله عز وجل علمه منطق الطير يقول تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾ {النمل:16}، وقد ربنا في كتابه بقصته عليه السلام مع النملة يقول الله تعالى: ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)**﴾ {النمل}، وكذلك بقصته مع الهدهد يقول الله عز وجل : ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28)**﴾ {النمل}.
- وأن سخر الله له الجن يعملون له ما يشاء ولا يعصون له أمراً يقول عز وجل : ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)**﴾ {سبأ}، ويقول جل ذكره: ﴿**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ**﴾ {ص:37}.

- وقد سخر الله له الريح تجري بأمره حيث يريد يقول تعالى: ﴿ **فَسَخَّرْنَا لَهُ الريح تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** ﴾ {ص:36}، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: "أي لينة مع قوتها وشدتها حتى لا تضر بأحد، وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه"[1].
- كما وسخر له المعادن، فطوع له النحاس وأسال له النحاس يعمل به ما يشاء يقول تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ {سبأ:12}.[2]

معجزات نبي الله عيسى عليه السلام:

أرسل الله نبيه عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل بشريعة جديدة، فقد زاغ بنو إسرائيل من بعد موسى عليه السلام وغيروا وبدّلوا وحرّفوا دينهم، ولمّا كان بنو إسرائيل قوم يحبُّون الخوارق والمعجزات ويطلبونها على الدوام أجابهم الله في ذلك علّهم يهتدون ويستوون، فقد كان في عيسى عليه السلام آية حتى في ولادته.

- معجزة ولادته وتكلمه في المهد: لقد أوحى الله ﷻ إلى مريم الصديقة العذراء أنه سيهب لها غلاماً صالحاً براً زكياً وجيهاً في الدنيا والآخرة، وقد كانت رضي الله عنها عزباء غير متزوجة، فاستنكرت ذلك وهي امرأة عفيفة صالحة لم تقع في الفاحشة ولم تكن متزوجة، فأخبرها الوحي أن هذه إرادة الله الذي هو على كل شيء قدير، وأن هذا أمره وهو إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، فولدت عيسى عليه السلام، واستنكر عليها قومها ذلك ووبخوها كيف تأتين الفاحشة وأهلك أهل صلاح ودين، فكانت المعجزة الثانية التي أبهرت القوم وأخبرتهم بالمعجزة الأولى وهي ولادته من غير أب، وهذه المعجزة هي حديثه في المهد وإخباره عن نفسه وتبرئته لأمه يقول تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47)**﴾ {آل عمران}.
- ومن معجزاته أيضاً أنه كان يصنع من الطين أشكالاً على هيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأنه كان يشفي الأكمه، والأكمه هو الذي ولد أعمى، فكان يردُّ إليه بصره

(1) تفسير القرطبي، لأبي عبدالله محمد القرطبي(ج205/15).

(2) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص429.

بقدرة الله وإرادته، ويعافي الأبرص والبرص هو بياض يصيب الجلد وداء عضال[1]، فكان يعافيهما وكأنهما لم يكن بهما شيء، وأنه كان يحي الموتى، ويخبر الناس بطعامهم الذي يأكلون ويخبرهم بما يدّخرون ويخبئون في بيوتهم، وكل ذلك بقدرة الله ومشيئته وإرادته جلا جلاله، وهذه المعجزات الأربعة ذكره الله في آية واحدة في سورة آل عمران يقول ربنا: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ {آل عمران:49}.

- ومن معجزاته أيضاً مائدة الطعام التي أنزلها الله ﷻ عليه وعلى أتباعه بعد أن طلب الحواريون ذلك منه؛ ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم بالإيمان وبصدق نبيهم عيسى عليه السلام، فأجابهم الله ﷻ لذلك وأنزل عليهم هذه المائدة التي طلبوها يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ **(112)** قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ **(113)** قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ **(114)** قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ **(115)**﴾ {المائدة}.

معجزات نبي الله محمد ﷺ

وقد كان آخر الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وقد منّ الله عليه وعلى أمته بالمعجزة الخالدة، فقد أنزل الله على نبيه القرآن وجعله المعجزة الخالدة وحتى بعد وفاة النبي محمد ﷺ، فيبقى القرآن شاهد على نبوة نبينا ﷺ ولو بعد حين.

وقد وعد الله ﷻ بحفظ هذا الكتاب من التحريف والاندثار يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {الحجر:9}، ومن معجزات النبي ﷺ:

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ص183.

- انشقاق القمر له: يقول الله ﷻ : ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ {القمر :1} عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، "أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا"[1].

- حماية الملائكة له: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا)**[2].

- نبوع الماء من بين أصابعه: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: **(مَا لَكُمْ؟)** قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلاَ نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً[3].

- إضاءة المدينة المنورة لقدومه ﷺ وظلامها لوفاته: عَنْ أَنَسٍ[4]، قَالَ: "لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَيْدِيَ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا"[5].

- بركة الطعام وتكثيره بين يديه ﷺ ومن ذلك:

أ- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: **(أَنَا نَازِلٌ)**. ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ،

---

(1) صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري، مناقب الأنصار/انشقاق القمر(ج49/5)، رقم الحديث:3868.

(2) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، صفة القيامة والجنة والنار/قوله:{إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى}(ج2154/4): رقم الحديث:2797.

(3) صحيح البخاري، لأبي عبد الله البخاري، المناقب/علامات النبوة في الإسلام(ح193/4)، رقم الحديث:3576.

(4) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك.

(5) سنن ابن ماجة، ابن ماجة القزويني، الجنائز/ذكر وفاته ﷺ(ج522/1)، رقم الحديث:1631، حكم الألباني:صحيح.

وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: **(كَمْ هُوَ)** فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: **(كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ، فَقَالَ: قُومُوا)** فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: **(ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا)** فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: **(كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ)**[1].

ب- وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ – شَكَّ الْأَعْمَشُ – قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(افْعَلُوا)**، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(نَعَمْ)**، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: **(خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ)**، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ)**[2].

---

(1) صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري، المغازي/غزوة الخندق وهي الأحزاب(ج108/5)، رقم الحديث:4101.

(2) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الإيمان/من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك دخل الجنة(ج56/1)، رقم الحديث:27.

المطلب الثالث: دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه.

أرسل الله نبيه موسى عليه السلام بدعوة التوحيد والإيمان، وقد بعثه الله في بني إسرائيل وكان رسولاً عليهم، وقد كان في الزمن الذي وُلد فيه موسى عليه السلام ملكاً طاغياً مفسداً مستكبراً يدعى فرعون، يسوم بني إسرائيل سوء العذاب فيقتل أبناءهم ويستعبد نساءهم يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ {البقرة:49}، ولمّا أكثر هذا الطاغية من قتل غلمان بني إسرائيل خوفاً من الغلام الذي يقولون أنه سيكون سبباً في هلاك فرعون مصر، خاف القبط فناء بني إسرائيل فشيوخهم يموتون وأبناءهم يقتلون فقالوا لفرعون: إنه يوشك باستمرار هذا الحال أن لا نجد من يخدمنا ويقوم بأعمالنا، فأمر فرعون قتل من يولد من بني إسرائيل عاماً وتركهم عاماً، فوُلد هارون عليه السلام في العام الذي يتركون فيه المواليد، أما موسى عليه السلام فقد وُلد في العام الذي يُقتل فيه المواليد[1].

وقد كان من المفترض أن يُقتل موسى عليه السلام في ذلك العام، لكن إرادة الله جل جلاله فوق كل إرادة وأمره نافذ ولا يقع في ملكه جلّ جلاله إلا ما أراد، فأوحى إلى أمّ موسى أن تضع ابنها في التابوت ثم تلقيه في النيل من غير خوف ولا جزع ولا حزن؛ فالله جل جلاله يعدها بأنه سيرجع إليها ولدها ويجعله من المرسلين يقول تعالى ممتناً على نبيه موسى: ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)**﴾ {طه}، ويقول أيضاً: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ {القصص:7}، وسبحانه جعل فيما هو مظنة الهلاك النجاة ليدلل على قدرته وعظمته، فمظنة أن تضع طفلاً في مهده في تابوت وتلقيه في النهر هو هلاك هذا الطفل؛ لكن الله جعل في هذا الفعل نجاة موسى عليه السلام، وقد مكر الله جل جلاله وهو خير الماكرين بآل فرعون إذ التقطوه من اليم وأرادوا أن يقتلوه فحبّبه الله إلى قلب امرأة فرعون، وتشفّعت له وأرادت أن يكون لها ولفرعون ولداً تقرُّ به عينيهما فقد كانت لا تنجب الأطفال[2]، وجعلها سبباً في نجاته وحياته يقول تعالى: ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ**

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير(ج221/6).

(2) انظر: أوضح التفاسير، محمد بن الخطيب، ص469 ، تفسير القرطبي، أبو عبدالله القرطبي(ج253/13).

نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9)﴾ {القصص:8-9}، وكذلك أمر الله تبارك وتعالى إذا أراد شيئاً هيأ له جميع الأسباب فسبحانه هو المسبب وهو الذي بيده كل شيء وإليه يُرجع كل أمر، فعلى المؤمن والداعية أن يكون متوكلاً عل الله حق التوكل وعليه أن يفوض الأمر لله فلا يشك بقدرته فالثقة كل الثقة في أن الله ﷻ منجز وعده منفد أمره يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ {يس:82}.

ولقد ربِيَ موسى عليه السلام في قصر فرعون يأكل من طعامه ويشرب من شرابه، وفي ذلك استدراج ومكر بفرعون ونكاية فيه وزيادة في قهره، فالذي يكون على يديه هلاك ملكه هو من ربَّاه بيديه وأنشأه في قصره، وقد لبث موسى عليه السلام في ملك فرعون ورعايته حتى قتل رجلاً من القبط وهم أتباع فرعون، ففرَّ من فرعون وقومه خوفاً من أن يقتلوه يقول تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21)**﴾ {القصص}.

وبعد أن فرّ موسى عليه السلام من فرعون وتَبَعَه إلى مدين، تزوج هناك من ابنت الرجل الصالح ومهرها أن يعمل أجيراً عند أبيها ثماني سنين وقد رضي موسى عليه السلام أن يجعلها عشراً[1]، ولمّا انتهت هذه المدة عزم موسى عليه السلام بالرجوع إلى بلده مصر، وأثناء رجوعه أتاه الأمر من الله تبارك وتعالى وتشريفه بالنبوة والرسالة وتكليفه بدعوة فرعون ومن معه يقول تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19)**﴾ {النازعات}، فلمّا كُلِّف موسى بدعوة فرعون وقومه خشي أن يكذّبه فرعون وملؤه وخاف أن يقتله فرعون بمن قتله من قومه، وطلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون يؤازره ويعاضده ويسانده، فأجابه الله لذلك وطمأنه بأنه لن يستطيع أحد أن يمسكما بسوء يقول تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35)**﴾ {القصص}.

وقد حكت لنا سورة غافر بعضاً من قصة دعوة موسى عليه السلام وما واجهه من الاضطهاد والاستضعاف، فقد كان حال فرعون ومن معه كسابقيهم من المكذبين الذين كذبوا رسلهم

---

(1) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني(ج11/2).

وأنبياءهم واستعلوا عليهم واستكبروا وعاندوا وأصروا على كفرهم وطغيانهم، بل وزاد فرعون عليهم بالفساد والفجور والطغيان فادّعى أنه رب الناس يقول تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)﴾ {النازعات}، فوصل بما ادّعاه إلى قمة الصلف وغاية الغرور ومنتهى الكبر، وكان مما وصل إليه من الفساد أنه أراد أن يقتل موسى عليه السلام بحجة أن موسى سيفسد الأرض ويخربها، وهذا هو حال الطغاة يفسدون ويسيحون بالخراب ثم يلقون اللوم على غيرهم، وأراد أيضاً أن ينكّل بمن آمن بموسى فيقتل ولده ويسبي زوجه؛ ليكون ذلك رادعاً لمن أراد أن يؤمن ويتبع الهدى يقول تعالى في سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26)﴾ {غافر}، فالله عز وجل أرسل موسى إلى فرعون بالآيات والحجج البينات الواضحات، فأراه المعجزات والدلائل الباهرات فقلب العصا إلى ثعبان عظيم بإذن الله، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء ساطعة يراها الناظرون، ثم جمع له فرعون السحرة فهزمهم موسى عليه السلام، وابتلعت عصاه الذي جعلها الله ثعباناً ما ألقى السحرة من حبال وعصي، فآمن السحرة برب موسى وأذعنوا له بالإيمان وصلبوا وقتلوا في سبيل ذلك، ومع ذلك أصر فرعون على كفره وغيّه وطغيانه، ولمّا ظهر الحق كعين الشمس أراد فرعون أن يجليه ويطفيه بقتل موسى عليه السلام والنيل ممن تبعه وردع من تسوّل له نفسه بالإيمان، والناظر إلى زماننا يدرك أن الأمر متشابه فحال طغاة اليوم كحال فرعون، يريدون أن يصدّوا عن دين الله بشتى الطرق والوسائل بالقتل والسجن والتخويف والاضطهاد والمطاردة ومحاربة الأرزاق، فهم يعلمون كما كان يعلم فرعون أنه إذا ساد حكم الله فلا حكم لهم، وإذا علت كلمة الله فلا كلمة لهم، فسعيهم ودأبهم على أن يحاربوا المنهج الإلهي حتى يبقوا في كراسيهم وعلى ملكهم.[1]

ولقد ناصر موسى عليه السلام رجل من آل فرعون وقد كان يكتم إيمانه، فحاجج قومه ووقف أمامهم، وحذرهم من قتل موسى عليه السلام، وناصحهم بأن يحكموا عقلهم ويعودوا إلى رشدهم ويؤمنوا بربهم، وقد ذكرهم بعاقبة من كذب ممن قبلهم، وخوفهم من عاقبة أمرهم في الدنيا والآخرة إن هم

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص299.

مكثوا على كفرهم وضلالهم يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ {غافر:28}، إلا أنهم رفضوا برفض فرعون واتبعوا أمره وما هو عليه من كفر وضلال يقول الله فيهم: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ {الأحزاب:54}.[1]

وبعد أن كذب آل فرعون وملكهم الرسول، وجحدوا بما جاء به من الآيات، وأصرّوا على كفرهم وضلالهم وإفسادهم وظلمهم، جاءهم ما يستحقون، فسنة الله ماضية فيمن عصا واستكبر، وسنته ماضية فيمن استُضعف وصبر؛ أما سنته فيمن تولى وضل واتبع الهوى وجحد وكفر فهي الإهلاك والأخذ والاستبدال وهذا بيّن واضح، وإن شئت فانظر إلى ما صار إليه آل فرعون فقد نجّا الله موسى عليه السلام منهم ووقى مؤمنهم الذي ناصر موسى واتبعه شرهم وكيدهم، ثم أهلكهم الله تعالى وأغرقهم وكان مصيرهم إلى النار يقول تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)﴾ {غافر}، وأما سنته فيمن أطاعه وأقام منهجه واتبع هداه فهي أن يستخلفه الله تعالى في الأرض ويمكّن له فيها ويجعل الدائرة في نهاية المطاف له، وهذا أيضاً بيّن جليَ في سيرة الأنبياء وقصة موسى عليه السلام مع قومه يقول تعالى في نهاية قصة موسى مع فرعون: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ {الأعراف:137}، فالاستبدال والتمكين سنتين من سنن الله عز وجل في خلقه؛ لكنه سبحانه يمهل ولا يهمل، يمهل للظالم حتى يستدرجه فيتمادى في الغي والضلال فيحقّ عليه القول فيهلك فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)**[2]، ويؤخر النصر حتى يمتحن المؤمنين ويختبر صبرهم وإيمانهم وجهدهم في نصرة الحق ورفع راية

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج3079/5).

(2) صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري، تفسير القرآن/{وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى إن أخذه أليم شديد}(ج74/6)، رقم الحديث:4686.

الحق يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ {محمد:31}، لكن النهاية والعاقبة تكون لله وسوله ومن تبعهم.(1)

المطلب الرابع: الحكمة في الدعوة إلى الله.

الحكمة لغة: تأتي بمعنى "العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل".(2)

وحّكَمَ بمعنى منع منعاً لإصلاح، وسُمّيت بذلك لأنها تمنع صاحبها من السفه.(3)

والحكمة: "إصابة الحق بالعلم والعقل".(4)

الحكمة في الاصطلاح: "هي الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه".(5)

إن الحكمة منّة من الله ﷻ يمنّ بها على من يشاء من عباده، وهبة يهبها لمن يشاء من عباده، وقد أمر الله تبارك وتعالى عبده لقمان بشكر ما أسبل الله عليه من فضل ونعمة إذ آتاه الحكمة فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ {لقمان:12}، وهي من النعم العظيمة المخصصة، فهي اختصاص من الله يؤتيها لمن أراد واختص، وهي خصلة من خصال الأنبياء، وقد وصفها الله في كتابه بالخير الكثير فيقول جلّ جلاله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {البقرة:269}.

والمؤمن يجب عليه أن يسير في الطريق الذي يوصله لأن يحوز هذه النعمة وهذا الخير، فقولنا أنّ الحكمة نعمة من الله لا يعني أنها كالنبوة، فالنبوة محض اصطفاء من الله ومحض اختيار منه، أما الحكمة فهي توفيق من الله، فمتى سلك الإنسان المسلم مسلكها وسار مسارها وفقه الله تعالى لنيلها وحيازتها، فعليه أن يجتهد لها ويتخذ الأسباب التي توصله إليها، ومن أهم الطرق التي توصل إلى الحكمة ما يلي: العلم النافع، والحلم، والأناة، والرفق واللين، والإخلاص والتقوى، والصبر والمصابرة، والسلوك الحكيم، والعمل بالعلم، والاستقامة، والخبرات

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج43/4).

(2) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص1095.

(3) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص248.

(4) المرجع السابق، ص249.

(5) الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد القحطاني، ص27.

والتجارب، وجهاد النفس والشيطان، وعلو الهمة، والعدل، والدعاء، والاستخارة والاستشارة، وفقه وإتقان أركان الدعوة إلى الله تعالى.[1]

وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم ﷺ أن يدعو إلى الله باستخدامه الحكمة التي منّ الله عليه بها فقال مخاطباً نبيه: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ {النحل:125}، والخطاب يعم النبي ﷺ ومن تبعه من الدعاة الذين يريدون نشر الخير والإيمان، وقد امتثل لذلك نبينا الكريم فكان خير قدوة في حكمته في دعوته إلى ربه ومن مواقف حكمته ﷺ في الدعوة إلى الله:

- أنه بدأ في دعوته السرية بدعوة أقرب الناس منه وألصقهم به من أهله وأصدقائه ممن يتوسم فيهم الخير؛ ليكونوا نواة وأساساً لدعوته يحمونها وينصرونها، فأول من آمن به زوجه خديجة، وابن عمه علي أبي طالب، وصاحبه أبو بكر، ومولاه زيد بن الحارثة.
- ومن حكمته ﷺ أنه لما جهر بدعوته عندما أمره الله ﷻ بذلك جمع الناس، وأشهدهم على أنفسهم أنهم يشهدون له بالصدق؛ حتى يكون ذلك أدعى في إقامة الحجة عليهم فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ {الشعراء: 214}، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: **(يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ)** – لِبُطُونِ قُرَيْشٍ – حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: **(أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟)** قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: "**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**" فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2)**﴾ {المسد}[2].

وفي سورة غافر ومن خلال قصة مؤمن آل فرعون يتبين لنا أن هذا الرجل الصالح كان حكيماً في دعوته لقومه وذلك من خلال ما يلي:

- كتمه لإيمانه عن قومه يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ {غافر:28}،

---

(1) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد القحطاني، ص82.

(2) صحيح البخاري، أبو عبدالله البخاري، التفاسير /وأنذر عشيرتك الأقربين(ج111/6)، رقم الحديث:4770.

إذ أنه لو لم يكن كاتماً لإيمانه لما سمع منه قومه رأيه الذي كان يصدر منه، ولهمّوا بقتله قبل أن تصدر منه كلمة واحدة، فالحكمة هنا تقتضي أن يكتم الرجل حقيقته ودينه، وفي ذلك منافع جلية، فمن جهة أنه نجا بنفسه من الهلاك والقتل، ومن جهة أخرى أنه عمّى عن موسى ﷺ وخذّل القوم عنه، ومن جهة ثالثة أنه نصح القوم على سبيل الحياد والبحث عن الصواب والحق، لا على سبيل أنه طرف في الدعوة وتابع لموسى ﷺ، ولو عُلم ذلك لتمّ قتله.[1]

- وتميزت حكمته أيضاً من خلال استخدام أسلوب التدرج والإقناع في دعوته لقومه فبدأ بإقناعهم بعدم قتل موسى ﷺ، ثم تخويفهم من أن ينزع الله منهم الملك ويريهم بأسه وقوته، وتذكيرهم بما حصل للمكذبين من قبلهم، ثم تحذيره لهم من يوم الحساب يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)**﴾ {غافر}، فقد دخل هذا المؤمن في جولة صراع يملؤه الحذر والمهارة العالية في المراوغة والجدال الحسن، فاستنكر عليهم كيف يقتلون رجلاً يقول ربي الله وقد ساق معه الحجج والبراهين التي تدلل أنه رسول من عند الله، وخوفهم من عاقبة أمرهم التي قد تؤول إلى الهلاك إن كان هذا النبي صادقاً ورسالته من عند الله، ثم حذرهم بما آل إليه حال الذين كذبوا رسلهم وعادوهم من الأقوام السابقة من هلاك وعذاب، وبذلك تتجلى حكمة مؤمن آل فرعون، فقد نصح قومه ودافع عن الحق وأظهره من غير أن يتعرض له أحد بأذى، وقد استخدم أسلوب التورية والإخفاء والتمويه في دعوته، ولسان حاله عند قومه أني رجل منكم وأخاف عليكم ما أخافه على نفسي فما يصيبكم يصيبني وما يسوؤكم يسوؤني، فالخير لنا والشر علينا وإنما أنا واحد منكم، وقد نجح في ذلك أيما نجاح واستطاع أن يؤدي ما عليه من أمانة، وحريٌ على الداعية أن يكون حكيماً يتخير

(1) انظر: أوضح التفاسير، محمد محمد الخطيب، ص574.

الظروف والأوقات والأساليب التي تُقبل بها دعوته من غير أن يعرض نفسه ودعوته للخطر والمجازفة.[1]

المطلب الخامس: الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله.

الموعظة مصدر الفعل وعظ ومعناها النصح والتذكير بالعواقب، أو هي تذكير الإنسان بما يلين به قلبه سواءً كان بالترغيب أو بالترهيب[2].

مقاصد الموعظة:

الموعظة باب من أبواب الدعوة إلى الله تعالى وأسلوب من أساليب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولها أثر كبير في هداية الناس، وإصلاح حالهم، وانقيادهم إلى الحق، فهي من قبيل التذكير والله ﷻ أمر بذلك فقال: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ {الذاريات:55}، ومن مقاصد الموعظة ما يلي[3]:

- إقامة حجة الله على عباده وخلقه يقول تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ {النساء:165}.
- الإعذار إلى الله تبارك وتعالى بالتبليغ والموعظة، وبذلك يُخرج الداعية أمانة التكليف من رقبته يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ {الأعراف:164}.
- رجاء النفع وهداية الناس، فلعلها تكون سبباً في هداية الناس أو بعضهم.
- تحصيل ثواب الله تبارك وتعالى وأجره الكبير، فالموعظة دعوة إلى الله والدعوة إلى الله من أجلّ الأعمال وأشرفها.
- الخوف من عقاب الله تبارك وتعالى، فقد يقع على من ترك وعظ الناس ودعوتهم الإثم والعذاب.

إن الله تبارك وتعالى أنزل كتابه وأرسل رسوله حتى يعظ الناس ويحثهم على الخير، ويحذرهم من الشر يقول تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ**

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(ج3079/5).

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور (ج466/7).

(3) انظر: أدب الموعظة، محمد الحمد، ص9.

وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ {البقرة:231}، ويقول تعالى: ﴿ **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾** {آل عمران:138}، وقد أمر الله تبارك وتعال نبيه ﷺ أن يدعو قومه بالموعظة الحسنة وأن يجادلهم بالتي هي أحسن حتى لا ينفر الناس من حوله وينفضوا عنه يقول تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** {النحل:125}، فإن اللين والرفق يجلب المحبة والتآلف والتقارب فعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: **(إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)**[1]، ولذلك أمر الله ﷻ نبيه بالرفق واللين بل جبله على ذلك يقول تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾** {آل عمران:159}، فإن المرءِ ليدرك باللين مالا يدركه بالشدّة، ولو أن أحدهم دعا إلى الله تبارك وتعالى بأسلوب فظ وبألفاظ قبيحة ما قبل أحد منه، بل ولكان وبالاً على الدعوة وتنفيراً منها.[2]

وإن المتأمل في آيات مؤمن آل فرعون التي ذكرتها سورة غافر، يجد أنه كان يدعو قومه بكل تودد ولين، ولم يكن فظاً غليظاً في نصحه لهم، وإن شئت فانظر إلى خطابه لهم فقد كان يتقرّب إليهم ويدعوهم بما يستميلهم إليه وبما يحببه إليهم، فيخاطبهم بصيغة يا قوم يقول تعالى: **﴿يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾** {غافر:29}، وقد تكرر نداؤه لهم بهذه الصيغة وهذا الأسلوب، وفي ذلك دغدغة للمشاعر وإثارة للعواطف، وقد استعمل نفس الأسلوب إبراهيم ؑ في دعوته لأبيه، فكان يتودد لأبيه ويناديه يا أبت يقول تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)﴾** {مريم}، فهذا اللطف والتودد من شأنه أن يليّن قلب السامع ويجعله يميل إلى جانب الحق، إلا أن فرعون وقومه وكذلك أبا إبراهيم ؑ رفضوا أن يذعنوا للحق وأصروا على كفرهم، وفي ذلك إشارة إلى أن يتخذ الداعية أسباب قبول دعوته، فإن لم يُستجاب له فلا لوم عليه ولا عتاب.[3]

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، البر والصلة والآداب/فضل الرفق(ج2004/4)، رقم الحديث:2594.

(2) انظر نظم الدرر، إبراهيم البقاعي (ج279/11)، وأصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص480.

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(ج2311/4).

ثم إن مؤمن آل فرعون دعا قومه بالترهيب وبالترغيب، فذكر لهم عواقب ما يصير إليه حالهم، ومغبة عصيانهم لأوامر الله تبارك وتعالى، وينذرهم شدة بأس الله وأليم وعذابه وإهلاكه من كان قبلهم من المعاندين الجاحدين، وذلك ترهيباً وتخويفاً وزجراً لهم علّهم ينتهون ويتذكرون، ورغّبهم بعمل الصالحات والإكثار منها، لأن الدنيا زائلة وما عند الله خير وأبقى، وأن جزاء الصالحين والصالحات الجنة يقول تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿**وَقَالَ الَّذِى آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40)**﴾ {غافر}، وبذلك تكون موعظته قد اشتملت على جانبي الترغيب والترهيب وهما العنصران الأساسيان للموعظة الحسنة.

المطلب السادس: الجهر بالحق وعدم الخوف من أحد في تبليغ دعوة الله.

إن الدعوات الربانيّة لا تظهر إلا من خلف رجال أشداء أقوياء لا يعرفون معنى الخوف، ولا يولون للناس أهمية فلا يحسبون لأحد حساب ولا يخشون في الله لومة لائم، يسيرون في طريق الله تبارك وتعالى وهمّهم الوحيد وغايتهم القصوى أن تُرفع كلمة الله فتكون هي العليا، دون أن ينظروا في ما يواجهون من عقبات ومصاعب وجبابرة، ودون أن يأبهوا لرضا الناس أو سخطهم، لأن غايتهم إرضاء الله والفوز بما لديه من أجر وثواب، فيكونوا سبباً بيّناً في إظهار الحق مهما قلّ أتباعه وضعُف جنده، ومهما كثُر أتباع الباطل وقويَ جنده.

وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيّه ﷺ وصحابته الكرام بأن يتبعوا الحق ويعملوه ولا يخشوا بذلك من أحد كائن من كان فخشية المؤمن دائماً تكون من الله جلّ جلاله فيقول تعالى: ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ {البقرة:150}، وقد عاتب الله تبارك وتعالى نبيّه الكريم في قصة طلاق زوج زيد بن الحارثة، وأمر الله له بزواجه منها؛ إذ أنه خشي من كلام المنافقين أن يقولوا تزوج طليقة من تبنى، فعاتبه ربّه وأمره بأن يتبع الحق أنّى كان فإن أمره مفعولاً وقدره مقدوراً[1] يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا**

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص423.

اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ {الأحزاب:37}، يتبيّن لنا من الآيتين السابقتين أنه يتوجب على المسلم أن يجهر بالحق وأن يسير في طريقه دون أن يخشى في ذلك شيئاً، ودون أن يلتفت إلى كلام الناس ورضاهم ومحبتهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ)**[1].

وقد ذكر الله تبارك وتعالى أنه من صفات القوم المؤمنين الذين يحبهم الله ويحبونه أنهم لا يخافون في الحق وقوله والجهر به من أحد أن يلومهم أو يعاتبهم أو ينافرهم يقول تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** {المائدة:54}، فهم قوم وهبوا لله حياتهم فلا يهمهم من هو دون الله، فالله هو القوي، وهو الناصر، وهو السند المتين، وهو مولاهم ووليّهم الذي ينجّيهم من الظلم والظالمين وينصرهم عليهم، فتكون الغلبة لهم بإذن مولاهم تبارك وتعالى يقول تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)﴾** {المائدة}، فمن أقام الحق وجهر به فإن الله ناصره ولو بعد حين، وإن شئت فانظر إلى قصة أصحاب الأخدود، وكيف نصر الله الغلام على الطاغية وجعل الناس يتبعونه، ويؤمنون بدعوته مع العلم أنه قد قُتل[2]، وفي نفس المعنى يقول الشهيد سيد قطب: "إن كلماتنا ستبقى ميتةً لا حراك فيها هامدةً أعراساً من الشموع، فإذا متنا من أجلها انتفضت وعاشت بين الأحياء، كل كلمة قد عاشت كانت قد اقتاتت قلب إنسان حي فعاشت بين الأحياء، والأحياء لا يتبنون الأموات"[3]، وقد كان تقبله الله أنموذجاً واقعياً في جهره للحق وانتصاره له، فقد عاش في سبيل أن يبيّن أن الحكم لله، وأن التحاكم لغير لشرع الله كفر وظلم وضلال، عاش ليبيّن منهج الحق ولم يخش في ذلك أحد، وقد حُكم عليه بالإعدام فلم يرجع عن الحق، ولم يتنازل عنه بل مضى في طريقه غير آبهاً لسطوة أحد وجبروته، وقبل أن يقتل أنشد أبياتاً من الشعر يكتبن بماء الذهب فغرّد قائلاً:

---

(1) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، باب اكتساب رضى الناس في معصية الله(ج122/10)، حكم الألباني:صحيح.

(2) انظر: تفسير القرطبي، أبو عبدالله القرطبي(ج287/19).

(3)الأحكام الشرعية للثورات العربية، علي بن نايف الشحود، ص770.

أخـــــي أنـــــت حـــــر وراء الســــدود	أخـــــي أنـــــت حـــــر بتلـــك القيـــود
إذا كنـــــــت بـــــــالله مستعصـــــــما	فمـــــاذا يضــــــيرك كيــــد العبيـــــد
أخـــــي ســـــتبيد جيـــــوش الظـــــلام	ويشـــرق فـــي الكـــون فجـــر جديـــد
أخـــــي إن نمـــــت نلـــــق أحبابنـــــا	فروضـــــــات ربـــــي أعـــــدت لنـــــا
وأطيارهـــــــا رفرفـــــــت حولنـــــــا	فطـــوبى لنـــا فـــي ديـــار الخلـــود
أخـــــي إن ذرفـــــت علـــــيّ الـــــدموع	وبللـــت قبـــري بهـــا فـــي خشـــوع
فأوقـــد لهـــم مـــن رفـــاتي الشـــموع	وســـيروا بهـــا نحـــو مجـــد تليـــد

وقُتل رحمه الله في سبيل دعوته وفكرته من غير أن يتنازل قيد أُنملة، يقول أحد الشيوعيين: إنني أتمنى أن أُقتل كسيد قطب فيُنشر مبدئي وكتبي كما انتشرت كتبه.[1]

وكذلك كان الأمر في عهد نبينا ﷺ فلم يثن أصحابه الكرماء ما لاقوا من قومهم من تعذيب وزجر، فقد عُذّب ياسر بن عامر وزوجه سمية بنت خياط وابنه عمار ﷺ جميعاً حتى يرجعوا عن أمر محمد ﷺ فصبروا واحتسبوا، وقُتلت سمية فقتلها عدو الله أبو جهل، ثم لحق بها زوجها من شدة العذاب، لكن ذلك لم يثنيهم عن طريق الحق[2]، وهذا عبدالله بن مسعود يخرج إلى الكعبة فيقرأ القرآن أمام صناديد قريش فيضربونه ضرباً شديداً فيستمر في القراءة غير مبالٍ بهم، ثم أراد أن يعاود القراءة غير خائف من أحد فقد هان الكفّار وهان بطشهم في نظره؛ وذلك أنه يسير مع الحق ويعلم أن الله معه وأنه ناصره فنهوه أصحابه عن ذلك[3].

وهذا بلال بن رباح ﷺ يُخرجه سيده أمية بن خلف إذا حميت الظهيرة واشتدت، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمره بشتم محمد والرجوع عند دينه فيقول بلال: أحد أحد، ورغم العذاب والألم كان بلال صابراً جسوراً في سبيل الله والحق وكلما اشتدّ عليه العذاب اشتدّ إيمانه وصاح أحد أحد، وبقي كذلك حتى اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه[4]، وقد كانت حياة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مليئة بالتضحية والفداء في طريق الحق، فتركوا أموالهم وبيوتهم لإظهار الحق ونصر.

---

(1) انظر: بحوث ومقالات حول الثورة السورية، علي نايف الشحود، ص886.

(2) انظر: السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، عَلي محمد الصَّلاَّبي، ص153.

(3) انظر: سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي المدني، ص186.

(4) انظر: فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، ص112.

وقد سُجن الإمام أحمد بن حنبل وقيد بالأغلال وهُدّد بالقتل وعذب عذاباً شديداً وضُرب بالسياط أشدّ ما يكون الضرب، ليرجع عن قوله أن القرآن كلام الله، ويذعن إلى ما قاله الخليفة المأمون[1] ثم المعتصم[2] ثم الواثق بالله[3] وهما من خلفاء الدولة العباسية، ويقول بقولهم الذي زيّفه لهم الجهمية والمعتزلة بأن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام الله، وهذه فتنة عظيمة لم يثبت في وجهها إلا أربعة من العلماء وهم: محمد بن نوح بن ميمون الجند يسابوري[4]، ومات في الطريق، ونعيم بن حماد الخزاعي[5]، وقد مات في السجن، وأبو يعقوب البويطي[6]، وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن، وكان على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل فثبت وصبر حتى أظهر الله الحق في عهد الخليفة المتوكل[7] وكتب في الآفاق أن لا يتكلم أحد في القول بخلق

---

(1) الخليفة المأمون هو عبد الله أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، وقيل: أبا جعفر دعي له بالخلافة بخراسان في حياة أخيه الأمين، ثم قدم بغداد بعد قتله (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج430/11).

(2) المعتصم بالله هو محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج193/2).

(3) الواثق بالله هو هارون أمير المؤمنين الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ويكنى أبا جعفر استخلف بعد أبيه المعتصم وتوفي سنة مئتي واثنين (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج22/16).

(4) محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف والده بالمضروب كان أحد المشهورين بالسنة، وحدث شيئا يسيرا (تاريخ بغداد، أبو بكر البغدادي، ج517/4).

(5) نعيم بن حماد الخزاعي هو أبو عبد الله الفرضي الأعور الحافظ أحد الأئمة الأعلام لكن في حيثه لين (ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، ج267/4)، وقد وثقه أحمد بن حنبل وغيره وابن معين في رواية وقال في رواية أخرى يشبه له فيروي مالا أصل لها وقال النسائي ليس بثقة (المغني في الضعفاء، شمس الدين الذهبي، ج700/2).

(6) أبو يقوب البويطي يوسف بن يحيى صاحب الشافعي منسوب إلى قرية من نواحي مصر يقال لها بويط الثاني لقب محمد بن عمر بن عبد الله بن اللَّيْث أبي عبد الله الشيرازي الْفَقِيه البويطي ذكره أَبو القاسِم الشِّيرَازِيّ فِي تَارِيخ شيراز (المؤتلف والمختلف لابن القيسراني، أبو الفضل القيسراني، ص38).

(7) الخليفة المتوكل هو جعفر أمير المؤمنين المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب خليفة عباسي يكنى أبا الفضل بويع له بالخلافة بعد الخليفة الواثق (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج45/8).

القرآن واندثرت الفتنة بالمطلق، فأعز الله عبده وأظهر الحق، وهذه هي نهاية من يتمسك بدعوته ويتشبّث بها، فلا بدّ من النصر والظفر والظهور لمن دعا إلى الحق وتمسك به[1].

وهذا سلطان العلماء العز بن عبد السلام يقف أمام الملك الصالح إسماعيل عندما والى الصليبين، وسمح لهم بدخول دمشق ليشتروا منها السلاح والعتاد، وقد كان العز إمام المسجد الأموي في دمشق، فاعتلا المنبر وخطب خطبة عصماء وحرّم بيع السلاح للفرنجة، وحرّم الصلح معهم، فسجنه الصالح إسماعيل[2] لكن لم يثنيه ذلك عن قول الحق والجهر به فقد أصرّ على موقفه، ثم هاجر إلى مصر فأكرمه سلطان مصر نجم الدين أيوب[3] وجعله إماما لمسجد عمرو بن العاص، فلم يثنه تودد السلطان له عن قول الحق، فعندما رأى أن هناك حانة لبيع الخمور وقف أمام السلطان وقال له أمام أمرائه من غير خوف وبكل عزة: يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوِّئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور فقال السلطان: هل جرى هذا؟ فقال الشيخ: نعم، فقال السلطان للشيخ: يا سيدي، هذا ما عملته أنا، هذا من زمن أبي فقال الشيخ: أأنت من الذين يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة؟، عندها قام السلطان بإبطال تلك الحانة، وكان قد أفتى بأن الأمراء من المماليك هم ملك الدولة ولا يجوز لهم السيادة ولا الإمارة ولا التحكم بشؤون الدولة حتى أذعن السلطان للحق وابتاعهم ثم أعتقهم، وفي عهد السلطان قطز وفي تجهيزه لمعركة عين جالوت، أراد السلطان المظفر أن يجمع من الناس الأموال لتجهيز الجيش، فما كان من العز إلا أن وقف أمامه وبيّن له أنه يجب أولاً أن تُجمع أموال الأمراء حتى لا يبقى إلا خيولهم وأسلحتهم، فإن بقي للجيش عازة لجأ إلى الشعب، فامتثل السلطان لقوله فقد كان قطز سلطاناً صالحاً، وجمع مال الأمراء ومجوهراتهم وأودعها في خزينة الدولة لتجهيز الجيش، وهكذا كان الإمام العز بن عبد السلام نموذجاً عملياً، وقدوة صالحة للعلماء من بعده فقد جهر بالحق ولم يمنعه مانع من الصدع به، فقد قدم خشية الله على خشية الناس.[4]

---

(1) انظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ج10/365-371).

(2) الصالح إسماعيل هو أبو الفتح اسماعيل بن محمود بن زنكي بن آق سنقر تولى ملك حلب بعد موت أبيه الملك العادل سنة خمسمائة وتسع وستون، وقد كان صبياً لم يبلغ الحلم، توفي في قلعة حلب وعمره تسعة عشر عاماً (بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر العقيلي، ج4/1822-1826).

(3) نجم الدين أيوب هو الملك الصالح نجم الدين بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، سلطان الديار المصرية، وآخر سلطان بني أيوب بمصر القائم بدولة الأتراك، توفي سنة ستمائة وسبع وأربعين (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف الحنفي، ج3/228).

(4) مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، جهاد التُرباني، ص268.

وقد أمر الله تبارك وتعالى موسى وأخيه عليهما السلام بعدم الخوف من فرعون وملئه، فالله ﷻ فوق الجميع وهو دائماً مع عباده الصالحين يقول تعالى: ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)**﴾ {طه}.

وقد اشتملت سورة غافر على مثالين للجهر بالحق، فهذا موسى عليه السلام رغم طغيان فرعون وكبره وجبروته، ورغم علمه بأن فرعون سيكون قاسياً ظالماً إلا أنه لمّا أمره الله بدعوة فرعون وقومه طرح مخاوفه أرضاً وألقى بها في مهب الريح، وذهب إلى فرعون ودعاه إلى الله وجهر بدعوة الله ودعوة الحق، لا يخيفه جمع فرعون ولا قوته ولا جيشه الكبير، يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25)**﴾ {غافر}، ثم إن الرجل المؤمن من آل فرعون رغم حذره من قومه وكتمه لإيمانه إلا أن ذلك لم يمنعه من الجهر بالحق، والذبّ عن موسى عليه السلام، وقد كان معرّضاً لأن يفتك به فرعون ويقتله، أو يسومه سوء العذاب، ومع ذلك لما تطلّب الأمر كان في جانب الحق وجهر به مع حذره وحيطته وحنكته في ذلك، وقد سطر مثالاً رائعاً للداعية المسلم، فكانت حنكته عالية فلم يعلم آل فرعون بإيمانه رغم ما يقول من الخير والحق، وحجته قوية فألجمت فرعون وقللت من حدتّه يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29)**﴾ {غافر}.

أخيراً إن على الداعية المسلم أن يقف موقف الحق لا يداهن الظالمين ولا يمالؤهم في فسادهم، بل عليه أن يبيّن الحق ويجهر به ويأخذ بالعزيمة، فمن ارتضى لنفسه أن يكون داعياً لله عليه أن يتحمّل تبعات ذلك من تضحية وفداء في سبيل الله، وعليه أن يكون قدوة صالحة في إحقاق الحق وإبطال الباطل حتى لو كلّفه ذلك حياته فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ)**(1).

---

(1) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، فضائل الأعمال/الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضل أنواع الجهاد(ج6/432)، حكم الألباني:حسن.

المطلب السابع: إقامة الحجة بالعقل والمنطق.

إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وفضّله على جميع المخلوقات واختصه بنعمة العقل؛ حتى يميّز بين الخير والشر، ويفرّق بين الحق والباطل، ويدرك الصواب ويجتنب الخطأ يقول جلّ جلاله: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ {الإنسان:3} ويقول أيضاً: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ {البلد:10}، وبهذا ميّز الله ﷻ الإنسان عن سائر الخلق، وبهذا جعله مكلفاً مسؤولاً عن أقواله وأفعاله، وقد أقام مؤمن آل فرعون على قومه الحجة بالعقل والمنطق، فقد طرح سؤاله مخاطباً عقولهم، كيف تقتلون رجلاً يقول ربي الله وقد أتى لكم بالدليل والبينة التي رأيتموها بأعينكم؟ هل هذا من المنطق والصواب؟ ثم إن كان موسى كاذباً فسيعاقبه الله ويكون كذبه وبالاً عليه، وما عليكم فيه من وزر فهو الذي يفتري على الله وهو الذي سينال عقابه، أما إن كان صادقاً فيما يقول وقتلتموه فسيصيبكم ما وعدكم به من العذاب والهلاك، ثم إن كان صادقاً بقوله ونبوّته من الذي سينصرنا من بأس الله وعذابه إن جاءنا وأخذ ملكنا وأبدلنا العز ذلاً والملك هلاكاً، وانظروا إلى حال من كان من قبلكم ممن عادوا أنبياءهم وقاتلوهم كيف ذهب الله بهم وأهلكهم فهل ستصيرون إلى ما صاروا إليه وقد علمتم ما آلوا إليه من هلاك وعذاب.

هكذا استخدم مؤمن آل فرعون المنطق والعقل في مناظرته لقومه وقد سطر الله ذلك في كتابه الكريم يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31)**﴾ {غافر}.

ولقد استخدم إبراهيم الخليل عليه السلام المنطق والعقل في دعوته لأبيه وقومه فقد حطّم أصنامهم ثمّ لما سألوه عن تحطيمه لها أنكر وقال: إن الذي حطمها هو هذا الصنم الكبير فاسألوا أصنامكم هذه التي تدّعون أنها آلهة من الذي حطمها إن كانت تستطيع أن تجيب، فبدا لهم ضلالهم وكفرهم فكيف يعبدون أصناماً لم تستطع أن تمنع عن نفسها ولا تستطيع أن تتكلم من الذي فعل هذا بها، ثم عادوا إلى غيهم وباطلهم وأجابوا إبراهيم بأن هذه الآلهة وكما تعلم لا تنطق وتتكلم، فوصل إبراهيم عليه السلام إلى مراده فوبخهم واستنكر عليهم كيف تعبدون آلهة لا تضر ولا تنفع؟ ألا يوجد لديكم عقل تهتدون به؟ يقول تعالى في قصة إبراهيم لمّا حطّم الأصنام: ﴿**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا**

يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)﴾ {الأنبياء}.[1]

وقد ناظر أيضاً من كان يعبد النجوم والكواكب واستخدم العقل في إقناعهم، فلمّا جنّ الليل رأى كوكباً وقيل أنه الزهرة، فلمّا رآه قال هذ الكوكب هو ربي وإني سأعبده، وعندما أفل الكوكب ولم يعد مرئيا استنكر عبادته إذا أنه يزول ويذهب، فكيف أعبد إلهاً يأتي بالليل ويذهب بالنهار، ثم لمّا رءا القمر لامعاً بازغاً منيراً ادّعى أنه ربّه فلما أفل احتج بما احتج به في الكوكب، ثم لمّا رءا الشمس ساطعة كبيرة قال هي ربي لكنها عندما أفلت احتجّ بما احتج به في الكوكب وفي القمر، وبذلك أنكر عليهم عبادتهم للكواكب والنجوم وبيّن لهم أنها غير صالحة للعبادة وأنه لا يستحق العبادة إلا الله تبارك وتعالى الذي خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب[2] يقول تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)﴾ {الأنعام}.

فيحسن بالداعية المسلم أن تكون حجته قوية، وأن يُحسن استخدام العقل في الدعوة إلى الله ﷻ فالمؤمن كيّس فطن، وعليه أن يكثر من طلب العلم حتى يدرك حقائق الأمور ويوظفها في دعوته، ونحن في هذا الزمن الذي تفتحت فيها الحضارات على بعضها، فاختلطت الثقافات وانتشر العلم والمعرفة بشكل كبير بين الناس بحاجة إلى دعاة أولوا بصيرة ثاقبة وعقل راجح، فما كان يكفي بالأمس لم يعد كافياً اليوم، فالعقول تغيرت والحياة تطورت والناس تعلّمت، لذلك على الداعية أن يسعى بجد واجتهاد لتحصيل المعرفة والعلم؛ حتى تكون حجته أقوى وكي يتمكن من دحض الشبهات التي تُعرض عليه، فلا يقع في مواقف محرجة يصعب عليه الخروج منها، والعقل والعلم ملاذ ذلك؛ إذ بهما يكون التميز والتقدم والنجاح وهذا ما نرجوه لدعوتنا.[3]

---

(1) انظر التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود (ج542/2).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ج292/3).

(3) دليل الداعية، ناجي السلطان، ص156.

المطلب الثامن: عدم اليأس في الدعوة إلى الله والمداومة عليها.

لقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان وجعل من فطرته حبّ الخير، وجعل راحة روحه في عبادته والقرب منه، ومع ذلك فإن النفس البشرية على عكس الروح والفطرة تميل إلى الراحة والشهوات وكل ممنوع لها ترغبه وتحبه؛ ولذلك ترى حال أغلب الناس بعيدون عن الله، غارقون في الملذات والمعاصي والشهوات، يشبعون رغبة أجسادهم ونفوسهم ويتركون أرواحهم بلا زاد، وهنا يعاني الداعية ويلاقي قلة استجابة لدعوته، ولربّما يتعرض للسخرية والاستهزاء، وحينها يملّ ولربّما يصيبه الفتور؛ فيسبب ذلك تركه للدعوة واقتصاره على نفسه في عمل الخير.

إن الذي يتوجب على الداعية فعله والقيام به، هو عدم اليأس من دعوة الناس، وأن يحاول إيقاظ الخير في قلوب الناس، وأن يوقد نار الوحشة التي تهبّ في الروح؛ فالروح تحتاج إلى زاد كما يحتاج الجسد كذلك إلى زاد، فإن كان زاد الجسد الطعام فإنّ زاد الروح القرب من الله والأنس به، فعليه أن يضرب على هذا الوتر الحساس، وأن يحفّز في الناس هذا الشعور، وأن لا ييأس منهم مهما لاقى من رفض وإعراض، فلربّما من أعرض اليوم وقسى قلبه يكون في الغدّ من كبار الدعاة إلى هذه الدعوة، فالقلوب بين يدي الرحمن يقلبها كيف يشاء.[1]

وقد دعا نبي الله نوح قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وقد صبر عليهم على الرغم مما لاقى منهم من أذىً وسخرية واستهزاء وإعراض حتى جاء أمر الله، وكذلك سائر أنبياء الله لم ييأسوا من دعوة أقوامهم، بل صبروا واحتسبوا أجرهم على الله ومضوا في دعوتهم غير آبهين لما يصيبهم من أذىً وإعراض، وهذا خير البشر محمد ﷺ يضرب خير الأمثلة في صبره وعدم يأسه من دعوته لقومه، فعن عروة بن الزبير، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ، أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: **(لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قَالَ: " فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ)**، فَقَالَ لَهُ

---

(1) انظر: موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن (ج157/2)، وأصول الدعوة وطرقها 2، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص35.

رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)**[1]، فانظر إلى صبره ﷺ وبُعد نظره وعدم يأسه من دعوته، ويقينه التام بأنها ستؤتي ثمارها ولو بعد حين، وكذلك يجب أن يكون الداعية المسلم صبور على من يدعوهم لا يستعجل قطف الثمرة، وعليه أن يعلم أن الجهد منه والتوفيق من الله، وعليه أن يعلم أيضاً أن أجره قد كُتب له حتى وإن لم يستجيب له أحد فالله تبارك وتعالى لا يضيع أجر العاملين.

إن اليأس مذموم كلّه على أي حال وفي أي مجال، فالمؤمن الحق ثقته بربه كبيرة وظنه به جميل حسن، يعلم علما يقينياً أنه لا يأتي من عند الله إلا الخير ولا يكون في ملكه إلا ما أراد، ثم إن اليأس ليس من صفات المؤمنين الموحدين بل هو من صفات الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ولا يثقون بعطائه يقول تعالى في سورة يوسف على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿**يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ {يوسف:87}، فإذا كان اليأس من صفات الكافرين فمن البديهي أن لا يكون من صفات المؤمنين، فكيف إذا كان المؤمن داعية إلى الله أي أنه زِيد درجة، حينها يجب أن يكون متجرداً تماماً من اليأس.

إن مؤمن آل فرعون الذي ذكر الله لنا قصته في سورة غافر دعا قومه وأصر عليهم ولم ييأس من دعوتهم، بل داوم عليها راجياً بذلك أجر الله وثوابه، وآملاً أن يستجيب له قومه أو بعضهم فيكون سبباً في هدايتهم، وهذا ظاهر لنا من خلال الآيات التي ذكرت قصته، فحاله يدل على أنه كان صبورا في دعوة قومه وحليماً في إيصال دعوة موسى عليه السلام، فنصحهم وناصحهم ورهبّهم وخوفهم وحاججهم وذكّرهم عاقبة من كان قبلهم يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)**﴾ {غافر}.

وبالرغم مما تقدم من دعوة موسى عليه السلام لفرعون وإتيانه الحجج والبينات ثم نصح المؤمن له ومخاطبته إياه باللين والحكمة والموعظة الحسنة، فقد أصرّ فرعون على كفره وضلاله بل زاد في عناده وغيه وظلمه وعدوانه، فأمر وزيره هامان أن يشيّد له بناءً عالياً حتى يرى إله موسى بنفسه وهذا قمة في التكبر والتعجرف والفجور، ثم عاود اتهام موسى عليه السلام بالكذب رغم ما رأى

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الجهاد والسير/ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (ج1420/3)، رقم الحديث:1795.

من الآيات البينات[1] يقول تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37)﴾ {غافر}، وبالرغم مما وصل إليه فرعون من الصلف والكفر والجحود إلا أن الرجل المؤمن لم ييأس من دعوتهم ولم يتركهم لكفرهم وعنادهم، وقد كان في مقدرته أن يتنحّى عن دعوتهم ويتركهم على ما هم عليه، فقد أدى ما عليه من أمانة النصح والتذكير والإرشاد، لكنه لم يفعل ذلك بل عاود النصح والتذكير والإرشاد علّهم يهتدون ويتذكرون، فرغّبهم بالتوبة والرجوع حتى يدركوا نعيم الآخرة وثوابها، وينجوا من عقابها وعذابها، وذكّرهم فناء هذه الدنيا وأنّها مجرد محطة وأنّ متاعها قليل زائل يقول تعالى في دعوة الرجل المؤمن قومه بعد إصرار فرعون على كفره: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40)﴾ {غافر}.

لقد سطر الرجل المؤمن أروع مثال للداعية المسلم في صبره في دعوته ومكوثه عليها، وحلمه على قومه وعدم اليأس منهم مهما صار إليه حالهم، وما زال داعياً إياهم مذكراً لهم يحاجِجُهم في كفرهم ويراجعهم في ضلالهم وينذرهم عذاب الله وعاقبة المسرفين حتى جاء أمر الله ﷻ ووقع عليهم الهلاك والعذاب يقول تبارك وتعالى على لسان الرجل المؤمن: ﴿وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (44) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45)﴾ {غافر}.

وقد تركت نهاية قصة المؤمن مع قومه درساً نافعاً يستفيد منه الدعاة، فقد أدى المؤمن دعوته، ونصح قومه وأرشدهم إلى طريق الهدى والرشاد، إلا أن النتيجة كانت هو عدم استجابة أحد له، فلقد أصرّ قومه على ما هم فيه من كفر وضلال، ورفضوا اتباع طريق الحق والاستقامة والهداية، وهذا درس للداعية، فالداعية عليه أن يدعوَ الناس، ويرغبّهم في الدين، ويحبب إليهم الإيمان، ويقيم عليهم الحجة، من غير أن يأبه للنتائج والمخرجات، فمن اهتدى

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص471.

فهداه لنفسه ومن كفر وضلّ فعليها، لا يضرّ الداعية من شيء، فقد وقع أجره وثبت ثوابه وعظم جزاؤه عند الله تبارك وتعالى.

أخيراً إن في قصة مؤمن آل فرعون عبرةً وعظةً ومثالاً عظيماً للداعية المثالي الذي يحيط بجميع أساليب الدعوة ومواصفات الداعية الناجح، فكان قدوة حسنة لجميع الدعاة من بعده، وعليهم أن يتبعوا هذا المنهج الرائع في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، بل عليهم أن يدرسوا قصته في معاهد إعداد الدعاة والوعاظ فإن فيها نبراساً كاملاً ودليلاً شاملاً ونهجاً مضيئاً للداعية الذي يريد النجاح والتميّز في دعوته.

المبحث الثالث:

الأساليب البلاغية للتوجيهات التربوية الدعوية في ضوء سورة غافر.

المطلب الأول: الأسلوب القصصي

يعد الأسلوب القصصي من أكثر الأساليب تأثيراً في النفوس؛ ذلك أن القصة تعطي دليلاً حسياً ملموساً لمن يسمعها، ثم إن القصة يفهم مقصودها أغلب البشر على اختلاف عقولهم ومداركهم، لذلك نجد أن الأسلوب القصصي يأخذ مكانه وحيزه في القرآن الكريم.

وقد تكرر الأسلوب القصصي في سورة غافر مرتين وهما:

- قصة موسى ﷺ في دعوته لفرعون، يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27)**﴾، {غافر} وقد بين الله سبحانه في هذه الآيات دعوة موسى لفرعون ومن معه، وتكبر فرعون وتجبره ومكره بموسى ومن آمن معه، وثبات موسى على الحق، ومما يستفاد من قصة موسى مع فرعون:

1. الجهر بدعوة الحق وعدم الخوف في الله لومة لائم.
2. كراهية الظالمين وبغضهم لمنهج الله القويم؛ فهو يكشف سوأتهم ويساويهم مع غيرهم من العباد.
3. شدة بطشة الظالمين وقسوة قلوبهم، وتربصهم بأصحاب الدعوات.
4. الثبات على الحق والتمسك بالمبادئ، وعدم الاستسلام إلا لله.

- قصة مؤمن آل فرعون ودعوته لقومه، يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي**

آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (44) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)﴾ {غافر}، وقد استفاضت السورة في ذكر قصة مؤمن آل فرعون ودعوته لقومه، ولفتت الأنظار بشكل دقيق إلى ما تحمل من معان وفوائد، ومنة الفوائد التي تحملها قصة مؤمن آل فرعون:[1]

- القوة والجرأة على قول الحق، فنصح المؤمن لفرعون وقومه دليل على جرأته وشجاعته.
- قتل النفس ليس بالأمر الهيّن، فيستوجب على من أراد قتل أحد أن يوجد مسوّغاً قوياً حتى يقوم بفعلته، وأن يكون المحكوم عليه قد فعل فعلة يستوجب القتل عليها.
- إن من رأى آيات الله وبيناته يجب عليه الإيمان بالله سبحانه، ولا عذر لكفره وتكذيبه.
- مخاطبة الناس بالمنطق البين والحجة الواضحة، وهذا ظاهر بين من خلال هذه القصة.
- حرص الداعية على إيمان قومه، وحبه الخير لهم.
- الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله.

(1) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي(ج118/24).

- يتوجب على الداعية أن يكون حكيماً ليناً في دعوته إلى ربه.
- الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله
- عدم اليأس من الدعوة إلى الله، وأن يستمر الداعية في دعوته إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.
- مهما طال تجبر المتجبرين، ومهما زاد كبرهم وعلوهم فإن عاقبتهم الهلاك والعذاب.

المطلب الثاني: مناسبة فاصلة الآية لموضوعها

الفاصلة القرآنية: هي الكلمة التي تختتم بها الآية القرآنية.[1]

إن المتأمل في الفواصل القرآنية يجدها ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع موضوع الآية التي تتحدث عنه، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكر في سورة غافر:

- يقول تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ {غافر:25}، فلمّا ذكر الله سبحانه مكر آل فرعون بمن آمن مع موسى وتربصهم بهم ناسب أن يبين الله في الفاصلة أن كيد الكافر ومكره مجرد عبث وأنه غير واقع، فلا يحدث في ملك الله إلا ما أراد سبحانه، وقد ذكر الله ذلك لتثبيت المؤمنين وإذهاب الخوف من قلوبهم، فعندما يعلم المؤمن ذلك يمضي لما هو عليه غير آبه بجبروت أحد وسلطانه.
- يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ {غافر:28}، في هذه الآية يخاطب مؤمن آل فرعون قومه بالمنطق القويم، ولما ذكر لهم في هذه الآية مغبة كذب موسى ووباله على نفسه إن كان كاذباً، ومغبة صدقه على قومه إن كذبوه إن كان صادقاً ناسب أن يختم الآية بقوله: إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، فالذي يسرف في الكذب ويفتري على الله لا يهديه الله أبداً.

(1) انظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان زرزور، ص190.

المطلب الثالث: السجع البديع[1]

السجع: هو " وهو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد"[2].

يعد السجع من الأساليب البلاغية، كما أنه يعدّ محسناً للكلام وتجميلاً له، وقد احتوى القرآن على هذا الأسلوب الجميل، ومن هذه الآيات التي اشتملت على هذا الأسلوب في سورة غافر:

- يقول تعالى: ﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)**﴾ {غافر}، لاحظ أن هذه الآيات تختم بألف ودال، وذلك من ألوان السجع، لكن من الجدير بالذكر في هذا المقام أن السجع في الشعر يكون المعنى فيه يتبع السجع، فالشاعر يبحث عن الكلمات التي تشترك بالقافية ثم يبدأ بنظم شعره على ذلك، أما السجع في القرآن فإن القافية هي التي تتبع القرآن، فالسجع في القرآن ليس مقصوداً لذاته، وإنما لتحقيق المعنى المراد.
- يقول تعالى: ﴿ **وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43)**﴾ {غافر}، وفي هذه الآيات من السجع البديع ما يلفت الانتباه ويهز النفس ويؤثر فيها.

---

(1) من العلماء من أنكر وجود هذا اللون في القرآن وتسميته بالفواصل بدلاً من السجع، وتعللوا بأن السجع عيب والفواصل من البلاغة، فالفواصل تابعة للمعاني، أما السجع فالمعاني تابعة لها ومن هؤلاء الرماني، وقد يميل الباحث إلى وجود السجع في كتاب الله، لأنه أُنزل بلسان العرب وبلاغتهم وقد عُرف السجع عند العرب في نثرهم وشعرهم.

(2) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد الشيباني، ص251.

المطلب الرابع: المبالغة

المبالغة: هي "هي أن يدعى بلوغ وصف في الشدة، أو الضعف حدًّا يستحيل، أو يبعد".[1]

ولقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب البلاغي في آياته، ومما جاء في سورة غافر في الآيات التي تتضمن التوجيهات التربوية الدعوية ما يأتي:

- يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24)**﴾، {غافر}، يخبر الله سبحانه في هذه الآية عن تكذيب فرعون ومن تبعه لرسالة موسى ونبوته، وقد ذكر سبحانه وصفهم لتكذيب موسى بصيغة المبالغة " سَاحِرٌ كَذَّابٌ"؛ ليدلل على شدة ما لاقى موسى عليه السلام من تكذيب، وليدلل أيضاً على شدة مقت الظالمين على دعوة الله ورسله، وصدهم عنها، فباستخدامهم لصيغة المبالغة يبينون للناس شدة ثقتهم بأن موسى عليه السلام ليس صادق في ما يدّعي من نبوة ورسالة.
- يقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ {غافر:35}، وكلمة جبّار هي من صيغ المبالغة التي تدل على التعالي والاستبداد والتكبر وبطر الحق، فعندما يصل الإنسان إلى هذه المرحلة يكون جزاء الله له بأن يطبع على قلبه، فيزداد في غيّه وكبره ولا يريه الله الحق، حتى يقضي الله عليه بالهلاك والعذاب.[2]
- يقول تعالى: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ {غافر:44}، يذكر الله سبحانه في هذه الآية على لسان مؤمن آل فرعون علم الله سبحانه بأفعال عباده ورؤيته وإبصاره بكل حركاتهم وسكناتهم، وقد ذكر الله سبحانه ذلك بصيغة المبالغة؛ ليدلل على دقة علمه وشدة إبصاره سبحانه وتعالى، فهو سبحانه يعلم السر وما هو أخفى من السر، وهو سبحانه الذي يبصر ما في القلوب مهما دقّت وخفت.

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني(ج171/1).

(2) انظر: التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود(ج303/3)، وأيضاً: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص737.

المطلب الخامس: المقابلة

المقابلة: هي "إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"[(1)].

وقد ورد هذا الأسلوب ضمن آيات التوجيهات الدعوية في آية واحدة وهي:

يقول تعالى: ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ {غافر:39}، ففي هذه الآية مقارنة بين الدنيا والآخرة، أما عن الدنيا فإنها متاع يذهب ويزول، فما هي إلا لحظات وسويعات وينتهي هذا المتاع ويكأنه لم يكن، وأما عن الآخرة فهي دار البقاء الأبدي والمكوث السرمدي، فمن كانت آخرته جنة عرضها السماوات والأرض فقد فاز وسعد وحاز على المتاع الذي لا يزول ولا يفنى، ومن كانت آخرته ناراً تلظى فقد بؤس وتعس وشقي شقاءً أبدياً، والمقابلة في هذه الآية في قوله: الحياة الدنيا متاع ويقابلها الآخرة دار القرار، فالدنيا تقابلها الآخرة، والمتاع يقابله القرار.[(2)]

المطلب السادس: أسلوب النداء

النداء: هو " هو طلَبُ الإجابة لأمْرٍ ما بحرف من حروف النداء يَنُوبُ مَنابَ أدعو"[(3)]، والنداء تركيب نحوي يتركب من ركنين أساسيين وهما: أداة النداء، والمنادى، وأدوات النداء ثمانية وهن: أ، أي، يا، آ، آي، أيا، هيا، وا.[(4)]

وبعد النظر في آيات القرآن الكريم، وجد الباحث أن القرآن الكريم لم يستعمل إلا أداة واحدة من أدوات النداء وهي أداة النداء "يا".

وقد ورد أسلوب النداء في التوجيهات الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون، وقد تكرر أسلوب النداء في قصة مؤمن آل فرعون ست مرات بنفس الصيغة وهي "يا قوم" في الآيات التالية:

---

(1) الصناعتين، أبو هلال الحسن العسكري، ص337.

(2) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي(ج24/126).

(3) البلاغة العربية، عبد الرحمن الدمشقي(ج1/240).

(4) انظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن الدمشقي(ج1/240).

- يقول تعالى: ﴿ يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ {غافر:29}.
- يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ {غافر:30}.
- يقول تعالى: ﴿ وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ {غافر:32}.
- يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ {غافر:38}.
- يقول تعالى: ﴿ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ {غافر:39}.
- يقول تعالى: ﴿ وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ {غافر:41}.

من خلال هذه الآيات يتبين أن مطلب مؤمن آل فرعون من قومه هو أن ينقذوا أنفسهم من الهلاك والعذاب باتباع الحق وترك الباطل والضلال، فهو يطلب لهم النجاة والفوز والسعادة، وقد تكرر أسلوب النداء بنفس الصيغة وهي "يا قوم"؛ ليدلل على شدة قربه من قومه، وأنه واحد منهم يهمه أمرهم، ويسعده استقامتهم، ويسوئه ضلالهم وغيهم، وأيضاً في ذلك تودد لهم وتحبب، فهو من خلال ذلك يستثير عاطفتهم وشعورهم.

الفصل الثالث

التوجيهات التربوية التعبدية وأساليبها البلاغية المستنبطة في ضوء سورة غافر

المبحث الأول:

العبادة في الإسلام:

المطلب الأول: تعريف العبادة لغة واصطلاحاً

1- العبادة لغة:

العبادة في اللغة تعني التذليل، يُقال طريق معبد: أي طريق مذلل، ومنه أُخذ العبد لذلته لسيده ومولاه، والتعبّد: أي التكليف[1].

والعبادة هي الطاعة والخضوع، وقيل الطاعة المصطحبة بالخضوع، وقيل هي غاية الخضوع والإذعان[2].

والعبد ضد الحر ويجمع على عبيد، وأصل العبودية الخضوع والذلّ، ويأتي التعبيد بمعنى التذليل والاستعباد، والاستعباد يعني اتخاذ الشخص عبدا، والطريق المعبد أي الطريق المذلل والممهد.[3].

2- العبادة اصطلاحاً:

"عبارة عن الاعتقاد والشعور بأن للمعبود سلطة غيبية في العلم والتصرف فوق الأسباب، يقدر بها على النفع والضر؛ فكل دعاء وثناء وتعظيم ينشأ من هذا الاعتقاد: فهو عبادة"[4]، وهي "فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، ابتغاء وجه الله والآخرة"[5]، وقد عرّفها شيخ الإسلام بن تيمية بأنها "اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[6] وهذه التعاريف كلها صالحة لمعنى العبادة في الاصطلاح، وقد رجحت التعريف الثاني؛ لأنه ذكر الائتمار بأمر الله والانتهاء عما نهى، وترك ما نهى الله عنه يعتبر عبادة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ

---

(1) انظر: المخصص، أبو الحسن المرسي(ج62/4)، وأيضاً شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان اليمني(ج4349/7).

(2) انظر: إكمال الإعلام بتثليث الكلام ،محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني(ج404/2)، وأيضاً تهذيب اللغة، محمد الهروي(ج138/2)، وأيضاً الفروق اللغوية، أبو الهلال العسكري، ص221.

(3) انظر: مختار الصحاح، زين الدين الحنفي الرازي، ص198.

(4) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد الأفغاني(ج318/1).

(5) المرجع السابق(ج319/1).

(6) العبودية، لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، ص44.

الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ"؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: "**اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ**"[1]، بخلاف التعريف الأول والأخير فقد اشتملا على فعل الطاعة فقط، وبذلك يكونان غير شاملين للمعنى المراد كله.

المطلب الثاني: العبادة في الإسلام

خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام، وخلق من ضلعه حواء لتكون زوجاً له، وبذلك يكونان أصلاً للبشرية جمعاء، ثم أراد الله تبارك وتعالى، أن يكون آدم عليه السلام وذريته من بعده خلفاء في الأرض، يعمّروها بذكر الله وطاعته وعبادته وإقامة منهجه جلّ جلاله يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ {البقرة:30}، ؛ ولذلك خلق الله تبارك وتعالى الإنسان، ليكون خليفة لله في أرضه فيصلحها بإقامة شريعته ويعمّرها بعبادته وذكره.

كان العرب قبل الإسلام يؤمنون بأن الله تبارك وتعالى خالق كل شيء ومليكه، وأنه هو المتصرف بأمر السماوات والأرض يقول تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**﴾ {الزخرف:9}، ويقول أيضاً: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ {العنكبوت:63}، ومع علمهم وإدراكهم أن الله خالق كل شيء والمتصرف فيها إلا أنهم كانوا يتوجهون بالعبادة لغيره، فقد كانوا يصنعون بأيديهم أصناماً ثم يتوجهون إليها بالعبادة والتزلّف وذبح المواشي والشياه تقرباً إليها، وهذا قمة في الضلال والجهل والتخلّف، فكيف يعبد المرء شيئاً يصنعه بيديه، ولو أنه لم يصنعه ما كان موجوداً أصلاً، فيوجده ثم يتوجه إليه بالعبادة والنسك، وأنى لعاقل فعل ذلك السفه.

أما عن اليهود فقد حرفوا دينهم وغيّروه وابتدعوا فيه ما ليس منه، وكذلك كان أمر النصارى، وأما عن بقية الناس آن ذاك فمنهم من كان يعبد البقر، ومنهم من كان يعبد النار وغير ذلك من المعبودات الباطلة المزيفة، وبذلك تكون الأرض قد غرقت بالفساد والضلال.

---

(1) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الضحاك الترمذي، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس(ج551/4)، رقم الحديث:2305، حكم الألباني:حسن.

أرسل الله تبارك وتعالى نبيه ورسوله محمد ﷺ للناس جميعاً؛ ليخرجهم مما هم فيه من كفر وجهل وضلال، وأمره أن يأمر الناس بعبادة الله وحده لا شريك ولا ندّ له، فجاءهم بما فيه صلاح أمرهم كله في الدنيا والآخرة، ودعاهم إلى ما أمره الله تبارك وتعالى بتبليغه من عبادة الله وحده واتباع شرعه ومنهجه، وترك ما هم فيه من الزيغ والضلال يقول تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ {الأعراف:158}، ثم بيّن لهم أن كلّ دين غير دين الإسلام فهو باطل زائف، وأن من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ {آل عمران:19}، ويقول أيضاً: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ {آل عمران:85}، وبذلك يكون قد نُسخت الديانات السماوية السابقة اليهودية والنصرانية بالمطلق.

إنّ مفهوم العبادة في الإسلام مفهوم شامل وعام، فمن دخل بدين الله وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله كان كل عمل يعمله ابتغاء مرضات الله ﷻ وفي سبيله يُعدّ عبادة لله سواءً كان العمل فرضاً أو نفلاً، وكلّ عمل يكفّ عنه وينتهي عنه ابتغاء مرضات الله تبارك وتعالى أيضاً يعتبر عبادة سواءً كان النهي للتحريم أو الكراهة، وقد تكون المباحات أيضاً عبادة لله إذا ما ابتُغي فيها التقوّي على الطاعات والعبادات، فمن طَعِمَ الطعامَ حتى يقوى على طاعة الله كان طعامه عبادة، وكذلك الأمر في سائر المباحات، ومن ذلك يتبين لنا أن كلّ الأعمال التي يقوم بها المكلّف تعتبر عبادة إذا ابتُغي فيها وجه الله ومرضاته.

أقسام العبادات في الإسلام:

تنقسم العبادة إلى خمسة أقسام وهي:[(1)]

1- عبادات قلبية: وهي العبادات التي يقوم القلب بها وهي أساس العبادات ومنها: الإخلاص، والخشية، والخشوع، واليقين، والتفكر في مخلوقات الله، والتوكل، وحب الله ورسوله ومن والاهما.

---

(1) انظر: التوحيد وأثره في حياة المسلم، حمد الحريقي، ص53، وأيضاً عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد الملكاوي، ص107.

2- العبادات القولية: وهي العبادات التي تتعلق باللسان ومنها: الحمد، والتسبيح، والصلاة على النبي ﷺ، والدعاء، والدعوة إلى الله.

3- عبادات مالية: وهي العبادات التي يدخل المال فيها ومنها: الصدقة، والزكاة، والنفقة، وذبح الذبائح قربة من الله.

4- العبادات الجسدية أو البدنية: هي العبادات التي تؤدى بالجوارح ويقوم بها البدن ومنها: الصلاة، والصيام، والطواف، والسعي في خدمة الناس، وصلة الأرحام.

5- العبادات البدنية المالية: وهي التي تؤدى بالمال والبدن ومنها: الحج، والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، والعمرة.

شروط العبادة في الإسلام:[1]

بعد أن يدخل المرء في دين الله ويصح إسلامه هناك شرطان أساسيان لقبول العبادة وهما:

الشرط الأول: الإخلاص، فلا يُقبل عمل لا يُراد به وجه الله مهما كان العمل عظيماً ونافعاً يقول الله: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ {الكهف:110}.

الشرط الثاني: موافقة العمل لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، فلا يقبل الله صلاة الظهر أن تؤتى عشر ركعات؛ لأن في ذلك مخالفة للشرع، ففي حديث أنس بن مالك ﷺ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**)[2]، فهؤلاء الرهط أرادوا أن يبتدعوا في العبادات وأن يشقوا على أنفسهم فكان جواب النبي ﷺ واضحاً بيناً، والخلاصة أن من ابتدع في الدين شيئاً ليس منه فهذا العمل مردود عليه غير مقبول منه فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**"[3]

(1) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد الملكاوي، ص106.

(2) صحيح البخاري، أبو عبدالله البخاري، النكاح/باب الترغيب في النكاح (ج2/7)، رقم الحديث:5063.

(3) صحيح البخاري، أبو عبدالله البخاري، الصلح/إذا اصطلحوا عل صلحجور فالصلح مردود (ج184/3)، رقم الحديث:2697.

المبحث الثاني:
التوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة غافر

إن المتمعن في سورة غافر يجدها تتضمن العديد من العبادات التي أمرنا الله تبارك وتعالى بها سواءً كان على وجه الخصوص أو العموم وقد بينت ذلك في هذا المبحث.

المطلب الأول: النهي عن عبادة غير الله.

إن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق الكون بما فيه من مخلوقات وعوالم، وهو الذي خلق ما على الأرض من حياة وحيوان وجماد وإنسان، وهو سبحانه الذي أسبغ على بني الإنسان نعمه ظاهرة وباطنة، وسخر له كل شيء لخدمته ومصلحته، فذلّل له الصعب، وألان له الصلب، وكرّمه وأحسن صورته وفضله على العالمين، يقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ {الإسراء:70}.

ولمّا كان الله هو الموجد، وهو المنعم، وهو الرازق، استحق بذلك سبحانه أن يطاع فلا يُعصى، وأن يُعبد فلا يُنسى، وأن يشكر فلا يكفر، كيف لا وهو الذي أوجدنا من العدم، وربّانا بالنعم، فإنه سبحانه هو الجدير بتوجه العباد إليه بالعبادة، وهو الأهل لأن يسلك الناس طرق مرضاته، أما ما دونه فهم مخلوقون غير خالقين، ولا يستحقون أن يتوجه الناس إليهم بالعبادة سواءً كانوا طغاةً أو أصناماً أو نجوماً وكواكب أو غير ذلك، فهم في النهاية كغيرهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً وكلهم إلى فناء، فالله سبحانه وحده الذي بيده كل شيء، وهو وحده من يملك أقدار الناس وما يصيبهم، وهو على ما يشاء قدير، فكيف يُترك من الباقي، ويُعبد الفاني؟، وكيف يُتوجه إلى الضعيف الذي لا يملك أمر نفسه، ويترك من هو على كل شيء قدير؟.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم ﷺ أن يتوجه بالعبادة لغيره تبارك وتعالى، يقول جلّ وعلا: ﴿ **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ {غافر:66}، وهذا النهي يفيد العموم، فكل من دخل في دين الله واتبع منهجه ونبيه منهي عن عبادة غير الله سبحانه، وقد اشتملت هذه الآية على نهي وأمر، أما النهي فهو عن عبادة غير الله، وأما الأمر فهو الانقياد والطاعة والاستسلام لله، والتوجه إليه بالعبادة، فمن فعل ذلك فانتهى عمّا نهى الله وانقاد لما امر سبحانه، فهو على الدين القويم والصراط المستقيم، ومن فعل غير ذلك فليخش على نفسه الهلاك والعذاب الشديد.

المطلب الثاني: الإخلاص لله تعالى.

تعريف الإخلاص لغة واصطلاحاً

الإخلاص لغة:

مادة خلص والمعنى أي صفا وزال عنه شوبه، وأخلص الشيء أي أصفاه ونقاه، وخالصه أي صافاه يُقال أخلصه الود وخالص لله أي صاف ليس فيه شائب، والإخلاص ترك الرياء في الطاعة(1).

الإخلاص في الاصطلاح:

"إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة"(2).

أو هو "تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين"(3).

وقيل الإخلاص "استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن"(4).

ومن أجمل التعريفات لمفهوم الإخلاص "نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط"(5).

ماهية الإخلاص

يُعدّ الإخلاص من العبادات القلبية بل من أهمها؛ إذ أنه شرط في قبول الأعمال قاطبة يقول تعالى مبيناً ذلك في سورة الزمر:﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14)**﴾ {الزمر}، فالله تبارك وتعالى يأمر نبيه الكريم ﷺ أن يخبر الناس بأن الله أمره أن يعبده وحده من غير شريك له ولا صاحب سواءً كان في الظاهر أو في الباطن، كما أن في الآيات دليل واضح على أن شرط قبول العمل والعبادة من العبد هو إخلاصه لله جلّ جلاله في عبادته، فقد قيّد الله سبحانه العبادة بالإخلاص، وبذلك لا يُقبل من المرء عملاً كان لله

---

(1) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(ج249/1)، وأيضاً التوقيف على مهمات التعريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين، ص42.

(2) موسوعة الأخلاق، خالد بن جمعة الخراز، ص163

(3) المرجع السابق، ص163.

(4) المرجع نفسه، ص163.

(5) أصول الدعوة ، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص339.

فيه شريك معه يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ {النساء:48}.

وقد أكد نبينا الكريم ﷺ أن الله ﷻ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خاصاً لوجهه الكريم فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ: "**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**"[1]، ففي هذا الحديث يخبرنا رسول الله ﷺ بأن مردّ الأعمال إلى النيات، فمن كانت نيته صالحة في عمله فأجره على الله، ومن كانت نيته لغير الله سبحانه فليأخذ أجره ممن كانت نيته موجهة له، وفيه أيضاً توجيه للمسلم بأن لا يتوجه بعبادته وعمله إلا لله تبارك وتعالى ، وأن لا يبتغي وجه أحد غيره، فهو سبحانه الذي يستحق العبادة والإخلاص، كونه هو الخالق وهو المنعم وهو الذي يجازي عباده ويحاسبهم على أعمالهم ونواياهم في الآخرة إن خيراً فخير، وإن شراً فالحكم لله العلي الكبير.

لذلك يتوجب على العامل أن يخلص عمله لله؛ كي لا يحبط ذلك العمل، وينقلب الأجر وزراً، فمن قام ليلة كاملة وقد أحسن وقوفها وتمامها ونصبها؛ لكنه لم يكن يرجوا بذلك ثواب الله تبارك وتعالى، فإن ليلته هذه غير مقبولة منه بل وتكون وبالاً عليه، ومن خرج إلى الحج والناس يقصدون البيت العتيق يعظمون شعائر ربهم ومناسكه علّ الله يغفر لهم، وهو يبتغي السمعة والصيت وأن يُنعت بالخير ويقال عنه حاج فذلك عمله مردود عليه، ومن تعلم العلم ثم علّمه ونشره وكان بذلك يرجوا مدح الناس وثناءهم وإجلالهم فعلمه سيكون عليه ناراً تلظى، أما عن حال من سعى بين الناس بالإنفاق فتفقد المسكين وأعطاه، وتحسس اليتيم فكساه، ثم أعطى الفقير، وأعان السائل، وتصدّق على الأرملة لكنه بذلك لا يريد وجه الله ومرضاته، ومن حفظ القرآن الكريم ورتله وجوّده وحبره حتى يقال عنه قارئ، ومن خرج إلى الجهاد الذي هو مظنة الموت ليقال عنه فارس شجاع وأسد مقدام، فأولئك أول من تسعر بهم النار يوم القيامة فعن أبي هريرة ﷺ قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ: رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ:**

---

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الزهد/النية(ج1413/2)، رقم الحديث:4227، حكم الألباني:صحيح.

كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَن يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ) ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ: **(يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**(1)، وهؤلاء كلهم لو أخلصوا لله أعمالهم، وتوجهوا لربهم بعباداتهم، لكان أجرهم عند الله كبير، وجزاؤهم لديه حسن عظيم، ومكانتهم ومقامهم عنده عال رفيع، لكنهم آثروا الزائل على الباقي، وقدموا القليل على الكثير، فسيندمون ندماً شديدا حين لا ينفع الندم.

ليس ذلك فحسب بل إنّ من عمل العمل يبتغي به وجه الله وأمراً آخراً من أمور الدنيا فإن عمله عليه ردّ، حتى وإن كان تسعة أعشار العمل لله وعشر واحد لغيره فإن العمل باطل غير مقبول، فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(لَا شَيْءَ لَهُ)**، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **"لَا شَيْءَ لَهُ"**، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لَهُ ، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)**(2)، فليس للعبد الذي يرجو لعبادته القبول إلا أن يخلص عمله كله لله رب العالمين، وإلا فإن الله ﷻ لا يقبل منه، فهو سبحانه غني عن الشركاء والشرك ففي الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)**(3).

أما من صلُحت نيته فإن الله تبارك وتعالى يكتب له الأجر حتى وإن تخلّف عن فعل العمل، فإن من ينوي قيام ليلة أو صيام نهار أو أي عمل صالح ثم عرض له عارض يمنعه من الفعل، فإن الله تبارك وتعالى يكتب له الأجر والثواب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا**

---

(1) السنن الكبرى، النسائي، كتاب الرقائق(ج395/10)، رقم الحديث:11824، حكم الألباني:صحيح.

(2) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، العقيدة الثاني/الأعمال بالنية(ج313/4)، حكم الألباني:حسن.

(3) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الزهد/الرقائق(ج2289/4)، رقم الحديث:2985.

إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ)[1]، فانظر إلى عظيم فضل الله على عباده، فالحسنة إن هم بها العبد ولم يفعلها كتبها الله له حسنة، وإن هم بالسيئة ولم يعملها لم يكتبها الله له سيئة، هذا من عظيم فضل الله على عباده، و عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: **(مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ)** [2]، وقد يأخذ العبد الأجر الكامل بنيته إن كان يحبسه عذر فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: **(إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ)**[3]، وهذا يدلل على عظيم أمر النية، فقد يكسب العبد من الأجور العظيمة بمجرد أن يوجه نيته لفعل الخير.

وقد تعظم النية عملاً صغيرا، فبالعمل الصالح القليل الذي يصاحبه إخلاص لله سبحانه يتضاعف الأجر والثواب فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)**[4]، وقد دخل رجل الجنة في شجرة قطعها كانت تؤذي المسلمين فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: **(لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ)**[5]، وقد غفر الله لامرأة بغي مومسة لأنها سقت كلباً عطشاً فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: **(غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الإيمان/إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب(ج118/1)، رقم الحديث:130.

(2) السنن الكبرى، النسائي، قيام الليل وتطوع النهار/من أتى فراشه وهو ينوي القيام فنام(ج258/3)، رقم الحديث:1787، حكم الألباني:صحيح.

(3) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، الجهاد والسير/من حبسه العذر عن الغزو(ج26/4)، رقم الحديث:2839.

(4) صحيح البخاري، أبو عبدالله البخاري، التوحيد/قوله تعالى{تعرج الملائكة والروح إليه}(ج126/9)، رقم الحديث:7430.

(5) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، البر والصلة والآداب/النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المسلم(ج2021/4)، رقم الحديث:1914.

لَهُ مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ)[1]، فتأمل كيف أن النية الصالحة ترفع الإنسان إلى درجات لا يكن أبداً يتوقعها، فلا يعرف العبد بأي عمل يدخل الجنة، ولا بأي عمل تُرفع درجته، وملاذ ذلك النية الصالحة، فكلما كان العمل أخلص لله كان ثوابه وأجره أعظم يقول عبد الله بن المبارك: "رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية"[2].

وفي سورة غافر حث الله تبارك وتعالى عباده أن يكونوا مخلصين له في عبادتهم يقول تعالى: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ {غافر:14}، فالله سبحانه يأمر المؤمنين في هذه الآية أن يتوجهوا إلى الله بالعبادة والدعاء، حتى وإن غاظ المشركين ذلك وخالفهم، فالمؤمن الموحد لا يخشى إلا الله ولا يرجوا بعمله أحداً سواه، وقد تكرر الأمر بالإخلاص لله في نفس السورة، ليدلل ذلك على أهمية الإخلاص وعلى أنه أساس في قبول الأعمال والطاعات يقول تعالى: ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ {غافر:65}، فهو سبحانه له الحياة الكاملة، وليس له شريك ولا نظير ولا عديل، فحري على من علم هذا أن يتوجه له بكامل الخضوع في العبادة والإخلاص في المسألة والدعاء[3].

وفي سورة البينة يستنكر الله تبارك وتعالى على أهل الكتاب اليهود والنصارى تفرقهم واختلافهم وانفضاضهم عن دين الله لمّا جاءهم الرسول بالبينة والكتب المطهرة ويتعجب منهم ذلك، بالرغم أن ما جاءهم به النبي وأمرهم به الله هو عبادة الله والإخلاص له في الطاعات والتوجه له في الدين، وذلك هو الدين الصحيح القويم القيّم فكيف يتركوه وينفضوا عنه؟، فلقد كان أحرى بهم أن ينقادوا لأمر الله خالقهم وموجدهم يقول تعالى:﴿ **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)**﴾ {البينة}، فإنهم ما أمروا إلا بما يوافق الفطرة والصواب والعقل السليم، ومع ذلك كان كفرهم وضلالهم.

---

(1) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، بدء الخلق/إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه(ج130/4)، رقم الحديث:3321.

(2) خطوات إلى السعادة، عبد المحسن القحطاني، ص14.

(3) انظر: مختصر تفسير بن كثير، محمد علي الصابوني(ج250/2).

إن أعظم الآفات التي تواجه المسلم في عبادته آفة الرياء، فالشيطان أقسم أن يضل الناس وأن يغويهم، فإذا همّ العبد بعمل صالح خذله الشيطان ما استطاع، فإن هزمه العبد وأصرّ على العمل أخذ الشيطان يوسوس له ويزين له من حوله حتى يدخل الرياء في قلبه فيحبط عمله، ثم إن النفس الإنسانية مجبولة على حب الثناء والمدح، وهذا قد يؤدي إلى وقوع العبد في شراك الرياء، وحتى ينجو العبد من هذا كلّه عليه أن يجاهد نفسه وشيطانه، فإذا ما نزغه الشيطان فليستعذ بالله من نفثه ونزغه، وعليه أن يعلم أنّ الناس لا يضروه ولا ينفعوه فلا يفيده مدحهم له ولا يضرّه ذمهم له، وعليه أن يعلم أنه من عمل العمل ابتغاءً لثناء الناس فضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **"مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ"**[1]، فينبغي على المسلم أن يخشى غضب الله تبارك وتعالى ووعيده، وأن يسعى لطلب محبته ورضاه ففيهما النجاة.

صور من إخلاص الصحابة رضوان الله عليهم:

1- قصة الرجل الذي صدق الله فصدقه الله:

عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ[2]، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: **(قَسَمْتُهُ لَكَ)**، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: **(إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ)**، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(أَهُوَ هُوَ؟)** قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: **(صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ)**، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: **(اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ)**[3].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الزهد والرقائق/من أشرك في عمله غير الله(ج4/2289)، رقم الحديث:2986.

(2) هو شداد بن الهاد الليثي الكوفي من بني عتوراة وهو صحابي وقد روى عنه ابنه عبد الله/انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(ج4/328)..

(3) السنن الكبرى، النسائي، الجنائز/الصلاة على الشهداء(ج4/60)، رقم الحديث:1953، حكم الألباني:صحيح.

2- قصة عمير بن الحمام والتمرات الثلاث:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: **(إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا)**، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: **(لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا)**، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ)**، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)**، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: **(نَعَمْ)**، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟)** قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: **(فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)**، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ[1].

درجات الإخلاص

قد ذكر ابن القيم في مؤلفه مدارج السالكين رحمه الله ثلاث درجات للإخلاص:[2]

1- إخراج رؤية العمل عن العمل والخلاص من طلب العوض عن العمل: ومعناه أن يخرج المرء من قلبه رؤية الناس لعمله وملاحظتهم له، وأن لا يطلب أجر عمله إلا من الله سبحانه.

2- الخجل من العمل مع بذل المجهود: ومعناه أن يبذل العبد جهده في طاعة الله ﷻ وأن يجتهد فيها، ومع ذلك فهو يرى نفسه مقصراً في حق الله تبارك وتعالى، وأنه لم يعبده حق العبادة، فعند ذلك يبقى الإنسان على خجل من عمله أمام الله سبحانه مهما بلغ من الاجتهاد والعمل.

3- إخلاص العمل بالخلاص من العمل: ومعناه أن يكون عملك مبنياً على علم، موافقاً له مؤتماً به، فتسير بسيره وتقف بوقوفه.

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الإمارة/ثبوت الجنة للشهيد(ج1509/3)، رقم الحديث:1901.

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية(ج93/2-96).

مراتب الإخلاص:[1]

1- العمل لله وحده سبحانه من دون طلب لأي أجر سواء كان دنيوي أو أخروي، بل لمجرد الحب لله والامتثال لأمره، وهو إخلاص النبيين والمرسلين.

2- العمل لله وحده؛ حتى يحظى بجنته ومغفرته، وينجوا من عقابه.

3- العمل لله وحده رغبة في الحصول على عرض دنيوي مباح كتوسعة الرزق.

ثمار الإخلاص وفوائده:

للإخلاص ثمرات حميدة ومنافع جليلة أبينها فيما يلي:[2]

- الفوز بالآخرة ورفعة الدرجات فيها يقول تعالى: ﴿**إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ {الصافات}.

- تفريج الهم والغم وتنفيس الكرب فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ "، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا "، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ،**

---

(1) انظر: مكفرات الذنوب وموجبات الجنة، عبد الرحمن بن علي الشافعي، ص99.

(2) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني(ج579/2-581).

فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)[1]

- سبب في قبول الأعمال، فقد بيّنا أن الإخلاص شرط لقبول العمل.
- يكسب العبد محبة الله تبارك وتعالى، فمن كان عمله وسعيه لربه أحبه الله سبحانه.
- إذا اصطحب العمل القليل الإخلاص فإنه يثمر أجر عظيم وثواب كبير.
- يُكتب لصاحب الإخلاص كل عمل يقصد به وجه الله، ولو كان مباحًا.
- يؤجر المرء على ما نوى حتى وإن لم يفعله.
- إذا مرض العبد أو سافر كُتب له بإخلاصه ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا.
- الإخلاص سبب في نصر الأمة على أعدائها فعن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ)**[2].
- اطمئنان القلب والشعور بالراحة والسعادة، وعدم الشعور بالخوف والحزن يقول تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ {يونس:62}.
- الهداية وعدم الوقوع في الضلال والغي يقول تعالى على لسان إبليس: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40)** ﴾ {الصافات}.
- الصيت الحسن والسمعة الطيبة من ثمار الإخلاص.
- إجابة الدعاء مثلما حدث مع أصحاب الغار.
- حسن الخاتمة أيضاً من ثمار الإخلاص لله تبارك وتعالى.

---

(1) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، الإجارة/من استأجر أجيراً فترك الأجير أجر، فعمل فيه(ج91/3)، رقم الحديث:2272.

(2) السنن الكبرى، النسائي، الجهاد/الاستنصار بالضعيف(ج45/6)، رقم الحديث:3178، حكم الألباني:صحيح.

- نعيم القبر بأن روضة من رياض الجنة.

علامات الإخلاص:[1]

- أن يستوي المدح والذم لدى العبد فلا يأبه لذلك ولا يوليه أي اهتمام صغيراً أو كبيراً.
- أن ينسى أن أعماله تُرى من قبل الناس.
- أن يُعمل العمل لا يريد به إلا رضا الله وثواب الآخرة، وأن يُترك الشيء فقط من أجل الله.
- أن يوافق القول العمل، فلا يُعقل أن يدعو المرء إلى قيام الليل وهو لا يقومه، فإن ذلك مدعاة للرياء.
- الفرح بالحسنة وفعلها، والحزن عند عمل السيئة أيضاً من علامات الإخلاص.
- مراقبة نفسك في الخلوات، ومحاسبتها على الزلّات.
- البكاء من خشية الله فيما بينك وبين نفسك علامة بينة للإخلاص.
- أن يرى نفسه مقصراً في جنب الله سبحانه فلا ينظر إلى عمله ويكأنه عظيم.
- استواء الظاهر والباطن.
- المداومة على الطاعات وفعل الخيرات.
- أن يستمر العبد في الطاعة التي يتقاضى عليها أجر دنيوي حتى وإن انقطع ذلك الأجر.

الطرق التي يعالج بها نقص الإخلاص أو فقدانه:

قد يتعرض الإنسان لنقص في إخلاصه أو حتى فقدانه كله؛ وذلك سببه حب الظهور والسمعة، والسبيل إلى الخلاص من هذا فيما يلي:[2]

- أن يطلب العبد العلم ويحرص عليه ويداوم مذاكرته، فمعلوم أن العلم سبيل النجاة.
- أن يستذكر العبد نعمة الله ومنّه وإحسانه وفضله عليه، فلولاه ما وُجد ولا كان.
- تذكير النفس بما أمرها الله من صلاح وإخلاص من خلال قراءة الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الإخلاص وتدبرها فالقرآن والسنة هداية وحكمة ونور وشفاء.

---

(1) انظر: موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز السلمان(ج175/1)، وأيضاً: طريقك إلى الإخلاص والفقه في الدين، عبد الله الرحيلي، ص46-48.

(2) انظر: طريقك إلى الإخلاص والفقه في الدين، عبدالله الرحيلي، ص61.

- الإكثار من العبادات السرية الخفية عن أعين الخلق، كقيام الليل، وصيام الهواجر، وذكر الله تبارك وتعالى، فذلك سبيل لتنمية الإخلاص وتحفيزه.
- مجاهدة النفس مراراً وتكراراً على التخلص من حب الظهور والمدح والثناء.
- أن يتذكر الإنسان الموت وسكرته، والقبر وظلمته وضمته ووحشته، ويوم القيامة وشدته، والصراط وحدته، وعذاب الله الشديد وغلظته.
- أن يستشعر مراقبة الله له واطلاعه على سريرته مهما صغرت، فالله سبحانه يعلم ما في الصدر مهما كان دقيقاً وخفياً.
- الإلحاح على الله بالدعاء والمسألة وطلب الإخلاص، فالله تبارك وتعالى يستجيب من العبد إذا علم منه صدقاً.
- قراءة المؤلفات والقصص والسير التي تعزز هذا الجانب.
- أيضاً سماع الدروس والمواعظ التي تزيد من إخلاص العبد وتحفزه على طاعة الله.
- أن يبقى العبد متذكراً أنه عبد لله، وأنه خُلق من أجل عبادته وإرضاءه وحده، فإن تعارض رضا الرحمن مع رضا أحد من الخلق، قدّم رضا الرحمن حتى لو كان في سخط كل الكون.
- أن يحرص حرصاً شديداً بأن يكون قوله موافقاً لعمله، وسره مساوٍ لعلانيته.

المطلب الثالث: الحث على الصبر

الصبر لغة: هو المنع والحبس، فالصبر أن تحبس نفسك عن الجزع والضجر، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن اللطم وشق الثياب وغيرها، وصبر صبراً أي تجلد ولم يجزع.[1]

الصبر اصطلاحا: "وهو حبس النَّفس عَن محارم الله ﷻ وحبسها على فرائِضه وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره".[2]

(1) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم الجوزية، ص15، وأيضاً القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ص206.

(2) رسالة ابن القيم لأحد إخوانه، ابن القيم الجوزية، ص18.

يقول الراغب الأصفهاني: "الصَّبْرُ: حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه"[1]

والصبر خُلُقٌ قويم من أخلاق النفس الصالحة يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ ويستقيم، وهو قوة من قوى النفس التي يصلح به شأنها ويستقيم به أمرها، وهذه القوة تمكّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب، والآلام، والمشاق.[2]

الدنيا دار ابتلاءات ومحن:

خلق الله سبحانه هذه الدنيا وجعلها دار اختبار وابتلاء، فهي لا تتمّ لعبد مهما بلغ من الرفعة والمقام، ولا تستوي لامرئ مهما بلغ من السعادة والرفاهية، فلا بدّ لكل واحد أن يأخذ نصيبه من هذه الابتلاءات، فقد خلق الله سبحانه الإنسان وجعله في شدة وعناء ومشقة من مكابدة هذه الدنيا وقهرها يقول تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ {البلد:4}، فالفقير في هذه الدنيا يكابد قلة الرزق ومشقة الحصول عليه فتراه في همّ وغمّ، والغني يسعى للحفاظ على ماله وزيادته، والمريض يكابد المرض والألم ويسعى للشفاء والتعافي، والمعافى يخشى أن يصيبه المرض ويحرص على أن تدوم معه صحته، والصغير يتمنى أن يكبر، والكبير يتمنى أن لو ترجع به الدنيا، والعقيم يجول الأرض علّه ينجب، والولود يشكو همّ الأولاد، فلا تكاد تجد أحداً خالي الهموم والأحزان، ففي النهاية هي دنيا وليست جنة، ففي جميع الأحوال سيكون المرء في كدح ونصب حتى يلقى الله فيجازيه بما قدمت يداه فالمحسن له الإحسان، والمسيء أمره إلى الله يقول تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ {الإنشقاق:6}.[3]

وقد أخبرنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه بأنه سيبتلي عباده ويختبرهم؛ ليعلم من كان يعبده على حرف فإن أصابته مصيبة خرّ وسقط وانقلب على عقبيه، ويعلم المؤمن الصادق الذي لا ينتكس مهما كان البلاء عظيماً، ولا يُفتن وإن كان الاختبار صعباً يقول سبحانه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ {محمد:31}.

وأخبرنا سبحانه أيضاً أن الجنة سلعة غالية، وبلوغها ليس بالأمر اليسير الهين ودخولها ليس بالمجان يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص474.

(2) انظر: مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، ص177.

(3) أنظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب، ص750، وأيضاً التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص594.

قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ {البقرة:214}، فلا بدّ للعبد أن يضحي في سبيل الله، وأن يصبر على ما ابتلاه الله مهما كان البلاء عظيماً، فمن أراد سلعة الله الغالية صبر من أجلها، وجاهد وتحمل المشاق لدخولها.

الحث على الصبر:

أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم في سورة غافر بالصبر على مدلهمات الأمور وصعابها يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ {غافر:55}، ففي هذه الآية أمر من الله سبحانه لنبيه بأن يصبر على دعوة قومه وحثهم على الخير، وأن يصبر أيضاً على سفههم وأذاهم وسخريتهم، فالتمكين يكون بعد الابتلاء، والرجال تظهر من بين الشدائد، ومن أراد لفكرته أن تظهر وتنتصر فلا بد له من الصبر عليها، وتحمل المشاق من أجلها، وقد تكرر الأمر بالصبر في خواتيم السورة يقول سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ {غافر:77}، وهذا يدلل على أساسية الصبر في انتصار الدعوات وأهميته في حياة الناس، فلا توجد حياة خالية من الهموم والابتلاءات.

وقد أمر الله سبحانه عباده بالصبر عند الابتلاءات، وحثهم على الاستعانة به في الملمّات، فمن أصابته مصيبة أو حلّ به بلاء فلا يتسنى له إلا الصبر وتفويض الأمر لله حتى ينال الأجر من الله، فالمصيبة واقعة على أي حال، فمن صبر وتحمل وفوض أمره لله كانت مصيبته له خير، فإن الله مثيبه عليها ومخلفه خيراً منها، ومن تضجر ولم يصبر كانت مصيبته مصيبتين، فقد وقعت المصيبة وكُتب الوزر فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: **(عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ)**[1]، فلا بد للعبد أن يربي نفسه على الصبر والتحمل عند وقوع المصائب والشدائد يقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ {آل عمران:200}، والأمر في هذه الآية كما هو ملاحظ يتضمن المؤمنين فقط، وذلك لأنهم آمنوا بالله ورضوا بقضائه وحكمه، والمراد من ذلك النداء أن أثبتوا صدق إيمانكم بالصبر على كل ما ينبغي له الصبر مما تكرهه النفوس وتعافه، وصابروا في مقارعة أعدائكم، فكونوا أجلد

---

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الفتن/الصبر على البلاء(ج1338/2)، رقم الحديث:4031، حكم الألباني:حسن.

منهم وأشدّ احتمالاً للحرب وتبعاتها[1]، فلا بدّ للعبد المسلم أن يعوّد نفسه على الصبر في جميع الأحوال والحالات، سواءً كان الابتلاء في ماله، أو جسده، أو صحته، أو عياله، أو زوجته، فالصبر منزلته من الإيمان رفيعة وعالية يقول علي ﷺ: "الصَّبْر من الْإِيمَان بِمَنْزِلَة الرَّأْس من الْجَسَد فَإِذا انْقَطع الرَّأْس بار الْجَسَد أَلا لَا إِيمَان لمن لَا صَبر لَهُ"[2]، وعليه أن يستعين به كما أمر الله تبارك وتعالى، فالصبر يخفف من حدة البلاء ويقلل من شدة الألم، فالرضا بالقضاء والصبر على البلاء أفضل دواء لراحة البال، وطمأنينة القلب وهدوء النفس، وانشراح الصدر، يقول تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ {البقرة:153}، فمن أصابته مصيبة فاستعان بالصبر وهرع إلى الله بالصلاة صبّره الله مهما عظمت مصيبته واشتدت بليته.

وقد أخبرنا نبينا ﷺ أن من صفات المؤمنين الصبر على ما أصابهم من لأواء وضراء فعن صهيب بن سنان ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)**[3]، فالمؤمن كل حياته خير وثواب، فهو بين نعمة يشكر الله عليها، وبين مصيبة يصبر عليها، فهو الرابح على أي الجهتين يكون، وليس ذلك لأحد غير المؤمن؛ والسبب في ذلك أن المؤمن يعلم حقيقة هذه الدنيا وفنائها وعدم ديمومتها، ويعلم أنه ملاقٍ ربّه ليجازيه على صبره وإحسانه، أما غير المؤمن فلم تتحق في كينونته هذه المفاهيم الراقية، التي تسمو بالإنسان ليعيش كل حياته راضياً بما يصيبه من خير أو شر، فيكسب الرضا والراحة في الدنيا، والجنة ورضا الرحمن في الآخرة.

<u>أقسام الصبر باعتبار محله:</u>

ينقسم الصبر باعتبار موقعه ومحله إلى قسمين:[4]

<u>القسم الأول:</u>

صبر بدني: وهو الصبر على ما يصيب الجسد من شدة وتعب وألم، وهو ينقسم إلى نوعين:

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي(ج168/5).

(2) جامع الرسائل، تقي الدين بن تيمية(ج81/1).

(3) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الزهد والرقائق/المؤمن أمره كله خير (ج2295/4)، رقم الحديث:2999.

(4) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ص22، ومختصر منهاج القاصدين، نجم الدين أبو العباس المقدسي، ص269.

1. صبر بدني اختياري: وهو الذي يكون باختيار المرء كتحمل الأعمال الشاقة والتمارين المرهقة.
2. صبر بدني اضطراري: وهو لا يكون باختيار المرء بل يكون راغماً عليه كالصبر على ألم المرض أو العذاب أو الحر أو البرد.

القسم الثاني:

صبر نفسي: وهو الصبر على جراحات النفس ومتاعبها وآلامها، وهو أيضاً ينقسم إلى نوعين:

1. صبر نفسي اختياري: وهو التي تكون النفس قادرة على تحصيله، لكنها تمتنع عن ذلك لامتناع الفعل في الشرع أو العقل، كالصبر على غض البصر والبعد عن الفاحشة.
2. صبر نفسي اضطراري: وهو التي تُكره النفس عليه على خلاف إرادتها، كالصبر عن البعد عن المحبوب إذا حيل بينها وبينه قهراً.

أقسام الصبر باعتبار متعلقه(1):

ينقسم الصبر باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

الصبر على طاعة الله وأداء أوامره: وهو تصبير النفس والجسد على أداء حقوق الله وأوامره التي أمر بها عباده وذلك من خلال أدائها من غير تقصير فيها، واستحضار النية، وحضور القلب، ومن ذلك:

1. الصبر على أداء الصلوات الخمس: يقول تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ {طه:132}، أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم ﷺ أن يحث أهله على إقام الصلاة وأدائها؛ لأن بها صلاح الحال واستقامة الأمر، كما أمره أن يصطبر على أدائها بحقها؛ وذلك لأن فيها شيئا من المشقة والتعب، فهي تحتاج إلى طهارة الجسد والثوب المكان، بالإضافة إلى الوضوء أيضاً، كما أنها تتكرر في اليوم خمس مرات في أوقات مختلفة، وبعض هذه الأوقات تكون محطة راحة المرء، وذلك يحتاج مجاهدة من المرء لأدائها في وقتها، فهي بحاجة إلى أن يصطبر المرء على أدائها،

---

(1) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ص28، وأيضاً تزكية النفوس، أحمد فريد، ص81.

وقوله سبحانه واصطبر عليها دليل على مشقتها فالاصطبار أعلى درجة من الصبر، ذلك أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.[1]

2. الصبر على الصيام: فالنفس تشتهي الطعام والشراب أثناء فترة الصيام، كما أنها ترغب الوصال، والصوم ينهى عن ذلك كله فهو إمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الشمس وحتى غروبها، وهذا يتطلب من المرءِ الصبر على ترك ما يحب ويشتهي من أجل الله تبارك وتعالى.[2]

3. الصبر على أداء الزكاة والتبرع بالصدقات: والزكاة هي التعبد لله تعالى بإخراج حق الله في مال معين، لطائفة أو جهة مخصوصة[3]، وكما هو معلوم أن النفس البشرية مجبولة على حب المال حباً كثيراً يقول تعالى في وصفه لطبيعة البشر: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ {الفجر:20}، فلا بدّ للعبد أن يصبر على الإنفاق في سبيل الله، سواءً كان مفروضاً عليه أو تطوعاً منه، وعليه أن يعلم أنه سيُسأل عن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، فإن أنفقه في الخير والصلاح كان له رفعة في الدرجات والجنات، وإن كان غير ذلك فسيُكوى به في نار جهنم.

4. الصبر في الجهاد في سبيل الله: إن المتأمل في آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، يجد أنهما يوليان الجهاد أهمية كبيرة، وأجراً عظيماً؛ ذلك أن فيه بذل النفس والجهد في سبيل الله، ومن خلاله يُنشر دين الله، ويُحقّ الحقّ، ويُبطل الباطل، وبه ترجع الحقوق إلى أصحابها، فمظنة الجهاد في سبيل الله هلاك النفس أو تلف بعضها، وهذا يتطلب من العبد تضحية وفداءً وشجاعة وصبراً على القتال وتبعاته؛ حتى يفوز برضوان الله وما أعدّه للمجاهدين من رفعة وثواب.

5. الصبر في الدعوة إلى الله: قد يلاقي الداعية إلى الله في طريق دعوته العديد من الصعوبات والالتواءات، فقد يلاقي عدم استجابة له من الناس في دعوته، ولربما نفوراً منها، وقد يتعرض للتعريض والسخرية والانتقاد، وكلّ ذلك يتطلب منه صبراً في دعوته وأدائها، وعليه أن يستحضر في فكره وقلبه أجر الدعاة إلى الله وعظيم منزلتهم، وأن يستذكر حال الأنبياء في دعوة أقوامهم وما تعرضوا له من أذىً وسخرية، وقد ذكر الله لنا

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي(ج9559/15).

(2) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الشافعي(ج151/3).

(3) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري(ج8/3).

في سورة غافر صبر مؤمن آل فرعون في دعوته لقومه، رغم مماطلتهم وعدم استجابتهم له، إلا أنه داوم على دعوتهم وإرشادهم إلى سبل الخير، وفي ذلك أنموذجاً للداعية المسلم في الصبر والمثابرة في دعوة الآخرين وهدايتهم.

القسم الثاني:

الصبر عن الآثام والمنهيات والمحرمات: ومعناه أن يمنع العبد نفسه من فعل المحرمات والمنهيات، متحملاً ذلك من أجل الله وابتغاء رضوانه ومحبته، وهذا الصبر يحتاج إلى مجاهدة كبيرة؛ لأن النفس مجبولة على حب الشهوات ومعاقرتها، وهنا يتوجب على العبد الثبات أمام المغريات والشهوات التي يتعرض لها، والصبر على تركها وعدم الوقوع فيها ومن ذلك:

1. الصبر عن النظر إلى المحرمات (غض البصر): إن النظرة سهم مسموم، بل هي من أعظم المنافذ إلى القلب التي تسبب باسوداده وموته، وهو أول خطوة في الطريق إلى الوقوع في الفاحشة؛ لذلك يجب على العبد أن يُحاذر من بصره، وأن يغضّه عن النظر إلى المحرمات التي قد تكون سبباً لهلاكه وانتكاسته عن طريق الحق.
2. الصبر عن أكل المال الحرام: إن من أكثر ما تعشقه النفس البشرية تملك المال وحيازته، فهي فتنة في تحصيلها وتصريفها، إلا أن الإسلام سمح بذلك، بل وندب إلى ذلك، فالغني يكفي نفسه مؤونة الناس وسؤالهم، كما أنه يكون يداً في سدّ حاجات المسلمين بالتبرع والإنفاق فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ، وَالتَّعَفُّفَ، وَالمَسْأَلَةَ: **(اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، فَاليَدُ العُلْيَا: هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى: هِيَ السَّائِلَةُ)**[1]، وتملك المال يكون بطرق مشروعة شرعها الإسلام، لا عن طريق الحرام والشيطان، لأن أخطر ما يأكله المرء هو المال الحرام، وكل ما ينبت عنه فهو إلى النار، ومن هذه الطرق المحرمة في كسب المال:

- السرقة: وعقوبته في الدنيا قطع يده جزاءً له على شره يقول تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ {المائدة:38}.
- أكل مال اليتيم: إن أخبث الناس وشرهم هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً وعدواناً، فقد ائتمنوا على أموال الضعفاء فخانوهم وسرقوهم وأكلوا حقهم، فاستحقوا عذاب الله الشديد يقول

(1) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، الزكاة/لا صدقة إلا عن ظهر غنى(ج112/2)، رقم الحديث:1429.

تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾ {النساء:10}.

- الربا بجميع أنواعه: وقد حارب الله تبارك وتعالى في كتابه أهل الربا ومن يتعامل به يقول تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279)**﴾ {البقرة:278–279}.

- الرشوة: وهي التي تُعطى من أجل إبطال حق أو إحقاق باطل[1]، وقد لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي)**[2].

- بيع المحرمات والإتجار بها: إن حكم بيع المحرمات والمتاجرة فيها محرّم في الشريعة الإسلامية، فكلّ ما نصّ الإسلام على حرمته، حرمّ أيضاً بيعه وشراءه فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ)**[3].

- الغش في البيع: إن الغش ليس من صفات أمة محمد ﷺ، بل هو من صفات من يحملون في نفوسهم الدناءة والخسّة، فمن غشّ الناس بإخفاء عيوب المباع، أو تجميله على غير حقيقته، فإن في بيعه حرام، وقد نهى النبي ﷺ عن الغش فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: **(مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**" قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)**[4].

إن مما ينبغي على العبد المسلم أن ينتهي عن أكل مال الحرام، مهما كثرت مرابحه ووفرته.

---

(1) انظر: التعريفات الفقهية، محمد عميم الاحسان البركتي، ص104.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الأحكام/التغليظ في الحيف والرشوة(ج2/775)، رقم الحديث:2313، حكم الألباني:صحيح.

(3) سنن الدارقنطي، أبو الحسن علي بن عمر الدارقنطي، كتاب البيوع(ج3/388)، رقم الحديث:2815، حكم الألباني:صحيح.

(4) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الإيمان/قول النبي ﷺ: "من غشنا فليس منا"(ج1/99)، رقم الحديث:102.

القسم الثالث:

الصبر على قضاء الله وقدره وحكمه: ومعناه أن يصبر العبد على ما نزل به مما يكره، ومما لا دخل له فيه، فالفقير يجب عليه أن يصبر على فقره وقلة رزقه ويحتسب أجره وثوابه عند الله سبحانه، ومن أصابته علة في جسده من مرض أو سقم فعليه أن يصبر على ذلك ويحتسب صبره عند الله، ومن مات له حبيباً أو ولداً فعليه بالصبر والاحتساب، وكذلك من ابتلي بعيب في خلقته أو نقص فيها، وغير ذلك من المصائب والابتلاءات التي تصيب الإنسان في حياته.

أحوال الناس في المصائب:

يختلف الناس بعضهم عن بعض حال وقوع المصيبة ونزول البلاء، فهم ينقسمون إلى أربعة أقسام:[1]

- التسخط وعدم الرضا بقضاء الله وقدره، ويكون ذلك بالقلب كأن يحمل الإنسان على ربه، أو يظن به ظن السوء، أو باللسان وذلك بالنوح، أو التلفظ بألفاظ قبيحة، أو الدعاء بالويل والثبور والهلاك، أو بالجوارح بشق الثياب، أو اللطم على الخدود، أو فعل مالا يحسن، وهؤلاء الفئة خسارتهم فادحة، ومغرمهم كبير، فقد ذاقوا طعم المصيبة وسيقع عليهم الوزر والعقاب.
- الصبر على قضاء الله وابتلائه: ويكون ذلك بمشقة وعناء، فهو يرى ثقل المصيبة وشدّتها، لكنه مع ذلك يصبر ويتحمل ذلك من أجل الله ، فإيمانه بالله يحميه من السخط والتضجر.
- الرضا في جميع الأحوال: وهذه مرتبة أعلى من الصبر، فالعبد في هذه المرتبة تستوي لديه النعمة مع المصيبة، فهو راضٍ عن الله في جميع الظروف والأحوال، وهذه مرتبة راقية لا يصل إليها إلا من جدَّ واجتهد في طاعة ربّه، وسلك طرق الصلاح والإستقامة.
- الشكر: وهذه هي أعلى مراتب الصبر، فالعبد يشكر ربّه على ما أصابه من مصيبة وابتلاء، لأنه يعلم أن ذلك سبباً في تكفير السيئات، ونيل الحسنات، وارتفاع الدرجات، ولأنه يعلم أن المؤمنين أشدّ بلاءً فإن زِيد إيمانه زِيد في بلائه، فهو ولعلمه بذلك يشكر مولاه تبارك وتعالى على ما أنزل عليه من مصيبة وابتلاء.

(1) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري(ج1021/1).

أجر الصابرين:

يعدُ الصبر على المصائب من الأعمال العظيمة التي يحبها الله سبحانه ويرتضيها، فقد امتدح الله الصابرين وأثنى عليه ووعدهم بالأجور العظيمة في كثير من المواضع والآيات، فالذين يصيبهم الله بشيء من الابتلاء، فيصبرون ويسترجعون عند المصيبة ويحتسبون ابتلاءهم عند الله ﷻ ، يبشرهم الله بالرحمة والمغفرة والرضوان، وبأنهم هم المهتدون الذين هداهم الله سبل السلام يقول تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ {البقرة}، فمن صبر على ما نزل من البلاء نال عند الله حسن الجزاء.

ثم إن الصابرين أجرهم عند الله كبير، ومغنمهم عظيم، وفوزهم مبين، فقد استثناهم الله تبارك وتعالى من بين حالات الإنسان الكفور الجزع القنوط إذا أصابته مصيبة أو مسّه بلاء، الهلوع البطِر المتكبر إذا انصرف عنه السوء، وانكشف عنه البلاء، وعمّته نعمة من الله أو فضل يقول تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11)**﴾ {هود}، فهؤلاء الصابرون حالهم ليس كحال الناس، فكما أنهم اختلفوا عن الناس في الدنيا وتميزوا عنهم بالصبر والصلاح، فإنهم سيكونون كذلك في الآخرة، وسيميزهم الله سبحانه بالمغفرة الواسعة، والأجر الكبير، والفوز المبين، والخير العميم يقول تعالى في جزاء الذين آمنوا بربهم وأطاعوه وصبروا على ذلك رُغم ما تعرضوا له من أذى وسخرية: ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ {المؤمنون:111}.

وقد أخبر الله تبارك وتعالى أيضاً بأنه سيجزل في عطاء الصابرين، وسيعظم في جزائهم، وليثيبنّهم أجورهم من غير حد ولا مد ولا مقدار، فسيكرمهم وسيجازيهم بأكثر مما تزن أعمالهم يقول تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ {الزمر:10}، بل إنه سبحانه سيجازيهم على أقل أعمالهم ما يجازيهم على خيرها وأحسنها، إجلالاً وتكريماً لهم، وتقديراً منه سبحانه على صبرهم وتحملهم واحتسابهم يقول تعالى: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ {النحل:96}.[1]

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص495.

وقد حثنا النبي ﷺ على الصبر، وأخبرنا أن الصبر على آلام الدنيا ومشاقّها ومصائبها كفارة للسيئات فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)**[1]، وأخبرنا أيضاً ﷺ أن الله لا يزال يبتلي المؤمن حتى يُذهب خطاياه فيلقاه من غير ذنب ولا عيب، فيجازيه على صبره بأن يكفر عنه سيئاته كلها حتى لا يبقى عليه منها شيء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)**[2]، فهذه الابتلاءات التي يصيب الله بها عباده، هي كفارة لما يقترفون من ذنوب وآثام.

وقد أخبر ﷺ أن الصبر على المصائب التي تصيب العبد في محياه طريق له إلى الجنة، فهذا الذي ابتلاه الله بفقد عينيه فصبر على ذلك، عوضه الله عنهما بالجنة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ)**[3]، وهذا الذي صبر على فراق ولده وفلذة كبده وزهرة فؤاده، ثم حمد الله واسترجع، بشره رسول الله ﷺ ببيت في الجنة اسمه بيت الحمد فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ)**[4].

إن فضل الصبر عند الله كبير، وأجره عظيم، فمن علم ذلك وأيقن به كان أيسر له أن يصبر على ما يصيبه من ضر وأذى، لأنه يعلم أن الله أعدّ للصابرين أجوراً عظيمة، ومنازل كريمة، ولأنه يعلم أن الله ﷻ لا يقدّر لعبده إلا الخير، فلربما كان في الضرّ نفعا، ولربما كان في الشر خيراً، فأقدار الله كلّها خير، فما يراه العبد مصيبة وابتلاء قد يكون في حقيقته غير ذلك يقول تعالى: ﴿**فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا**﴾ {النساء:19}.

---

(1) صحيح البخاري، أبو عبدالله البخاري، المرضى/ما جاء في كفارة المرض(ج114/7)، رقم الحديث:5641.

(2) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبواب الزهد/ما جاء في الصبر على البلاء(ج602/4)، رقم الحديث:2399، حكم الألباني: حسن صحيح.

(3) صحيح البخاري: أبو عبد الله البخاري، المرضى/فضل من ذهب بصره(ج116/7)، رقم الحديث:5653.

(4) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبواب الجنائز/فضل المصيبة إذا احتسب(ج332/3)، رقم الحديث:1021، حكم الألباني:حسن.

<u>ثمار الصبر وفوائده:</u>

للصبر فوائد جلية وجليلة نبينها فيما يلي:[1]

- الصبر يضبط النفس عن السأم، والملل، والعجلة، والرعونة، والغضب، والخوف، والطمع، والسعي خلف الأهواء والشهوات.
- الصبر يعلم النفس ويؤهلها لتحمل المشاق والآلام النفسية والجسدية.
- الصبر دليل على صدق إيمان العبد، وتفويضه أمره لله وتوكله عليه.
- يعدّ الصبر من أسباب التمكين في الأرض يقول تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ {السجدة:24}.
- الصبر يورث القوة ورباطة الجأش، كما أنه يعدّ مظهراً من مظاهر الرجولة.
- كما أن الصبر يورث القلب الهداية والصلاح والاستقامة.
- الفوز بمحبة الله تبارك وتعالى، يقول الله سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ {آل عمران:146}.
- الظفر بمعية الله وتوفيقه، يقول تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ {البقرة:153}.
- الصبر من أعظم الطرق التي توصل العبد إلى الجنة وتبعده من النار يقول تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ {الإنسان:12}.
- تفريج المصائب، وتنفيس الكروب، واندثار الهموم والملمّات.

المطلب الرابع: الحث على الاستغفار من الذنوب والمداومة على ذكر الله.

<u>فضل عبادة الذكر والحث عليه:</u>

تعدّ عبادة ذكر الله من أيسر العبادات التي أمر بها عباده، فهي عبادة لا تحتاج إلى طهارة ووضوء أو استقبال قبلة، ولا تحتاج إلى تعب ونصب ومشقة، فهي متاحة للعبد في جميع

---

(1) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد(ج2471/6).

الأوقات والأماكن عدا الخلاء، كما أنها متاحة له في جميع حالاته، سواءً كان ماشياً، أو واقفاً أو جالساً، أو متكئاً، أو مضطجعاً، فلا حرج في أن يذكر الله سبحانه في أي وقت أو مكان أو حال، ولذلك يعدّ ذكر الله سبحانه من أيسر العبادات وأسهلها على العبد المسلم.

كما أن ذكر الله سبحانه يعدّ من أجلّ الأعمال، وأعظم الطاعات، وأفضل القربات، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟)** قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **(ذِكْرُ اللَّهِ)**[1]، ففي هذا الحديث نص صريح على أن المداومة على ذكر الله خير الأعمال والطاعات، وقد فضله رسول الله ﷺ على الإنفاق والجهاد والاستشهاد، والسر في ذلك أن في المداومة على ذكر الله دليل واضح على قوة إيمان العبد ومتانة ارتباطه به، ودليل على حبّه سبحانه والرضا عنه، فمن أحب أحداً أدام ذكره وتذكّره، والذين آمنوا أشدّ حباً لله، فهم على الدوام يذكرونه ويستغفرونه.

ذكر الله تبارك وتعالى في أوائل سورة غافر حال حملة العرش ومن حوله من الملائكة، وحالهم أنهم يذكرون الله سبحانه، ويسبحون بحمده، ويعظمون شأنه، إضافة إلى أنهم يستغفرون للمؤمنين، ويطلبون من الله أن يرحمهم، وأن لا يعذبهم يقول سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ {غافر:7}، وفي ذلك إشارة من الله لعباده المؤمنين بأن يتشبهوا بهؤلاء الكرام، وأن يسعوا لكي يتقارب حالهم مع حال المقرّبين من الملائكة، وذلك بالتشبه بهم، والتقرب منه سبحانه بكثرة ذكره واستغفاره والتسبيح بحمده.

وبعد أن حثّ الله عباده على الذكر والاستغفار والتسبيح بالتعريض والاشارة وإثارة الهمم في بداية الآيات من خلال ذكر حال المقربين من الملائكة، توجّه إليهم بالأمر المباشر بأن يكثروا من ذكره واستغفاره في أواسطها يقول تعالى مخاطباً نبيّه: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾ {غافر:55}، والأمر في هذه الآية يفيد العموم والشمول لا الاختصاص والقصر، فالخطاب هنا للنبي الكريم ﷺ ولأمته من بعده، والآية واضحة في دلالتها، فهي تحثّ على الاستغفار من الذنوب أولاً بأول، والإكثار من ذكر الله وتسبيحه والثناء عليه، فقوله سبحانه: بالعشي والإبكار، يدلّ على المداومة والإكثار من ذلك.

---

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الأدب/فضل ذكر الله(ج1245/2)، رقم الحديث:3790، حكم الألباني:صحيح.

وقد حث الله سبحانه عباده المؤمنين في كتابه المكنون على الإكثار من ذكره وتسبيحه يقول جلّ ذكره: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43)**﴾ {الأحزاب}، فالله سبحانه يستحق من عباده ذلك، فهو الموجد لهم، وهو صاحب التفضل والإحسان، وهو الذي ذلّل لهم الأرض، وسخر لهم ما في السماوات والأرض، وهو المنعم على عباده بكل ما يعيشوه من نعم، وهو صاحب الفضل في هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال والغي إلى الهدى والرشاد، فمن كان هذا إحسانه وتفضله حُق له أن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُعبد فلا يُقصى جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه سبحانه تنزه عن النقائص والعيوب.

وقد بيَّن سبحانه وتعالى في كتابه أنه يرفع شأن الذاكرين ويُعلي مقامهم يقول سبحانه: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ {البقرة:152}، وفي الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)**[1]، وأي رفعة أرفع من أن يذكر اللهُ عبده في نفسه أو أمام ملأ، فمن وصل إلى هذا المقام وهذه المرتبة ، فقد نال رفعة عالية، ودرجة قاصية، وحاز على مرتبة أجلّ من مراتب الملوك والأمراء، كيف لا والله سبحانه مع عظيم قدره وجليل سلطانه سيد الوجود وصاحب الملك يشرفه بذكره، لذلك إن من أعظم ما يفتح الله به على عبده ويمنّ به عليه أن يحُلّ عقدة لسانه ويطلقه في ذكره وتسبيحه واستغفاره، فإن ذلك لهو الفوز العظيم.

إن الحياة الحقيقية هي التي يعيشها العبد في ذكر ربه، فما دام ذاكراً لربه كان في عداد الأحياء، فإن فتر لسانه وتوقف ذكره لربه كان في عداد الموتى فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **(مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ)**[2]، فالذي يذكر ربه وجهه مشرق منير تبدوا عليه مظاهر الحياة، وقلبه حي يقظ بنور العلم واليقين والإيمان، وروحه مفعمة بالحيوية والنشاط، وأما الذي لا يذكر ربه فقد جفّت روحه، ومات قلبه،

---

(1) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، التوحيد/قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه}(ج121/9)، رقم الحديث:7405.

(2) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، الدعوات/فضل ذكر الله ﷻ (ج86/8)، رقم الحديث:6407.

وانطفأ نور وجهه، ليس للحياة في نظره أي معنى سوى أن يلهث خلف ملذاته وشهواته، فيتمتع فيها كما تتمتع الأنعام والبهائم.

إنّ مما يدلل على أهمية الذكر وفضله، ورود الأحاديث العديدة التي تبيّن عظيم أجر الذكر والذاكرين، ومن هذه الأحاديث:

1. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: **(مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِك)**(1).
2. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ)**(2).
3. عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)**(3).

هذه الأحاديث غيض من فيض وقليل من كثير لما ورد في الأذكار وفضلها وأجورها.

الذكر عبادة جميع المخلوقات والكائنات:

إنّ عبادة الذكر تجتمع فيها جميع الخلائق من كائنات وجمادات، فالسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والحجر والطير والدوابّ، جميعهم يذكرون الله ﷻ ويسبحون بحمده جلّ جلاله يقول تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾ {النور:41}، ويقول أيضاً: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ {الإسراء:44}، وهذا يدلّ على مدى عظمة الله سبحانه،

---

(1) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، بدء الخلق/صفة إبليس وجنوده(ج126/4)، رقم الحديث:3293.

(2) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/فضل التهليل والتسبيح والدعاء(ج2072/4)، رقم الحديث:2694.

(3) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الطهارة/فضل الوضوء(ج203/1)، رقم الحديث:223.

وهيبته، وعلو شأنه، وارتفاع مقامه، فكل المخلوقات تصدح له بالذكر والتسبيح، وتذعن له بالذل والضعف والانكسار.

أنواع الذكر:

ينقسم الذكر إلى نوعين:[1]

- ذكر مطلق: وهو الذي ليس له وقت أو مكان محدد أو سبب معين: كالتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير في سائر اليوم والليلة.
- ذكر مقيد: وهو الذي قُيّد بزمان أو مكان أو سبب أو عدد مثل: أذكار الصلاة، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار دخول المسجد، والبيت، والسوق، والخلاء، وأذكار الخروج منها.

أحوال الناس في ذكر الله:

إن أحوال الناس في ذكرهم لربهم تنقسم إلى أربعة طبقات:[2]

1- من يذكر ربه بقلبه ولسانه، وهو أرفع المراتب وأعلاها.

2- من يذكر الله في قلبه فقط، فهو مستحضر عظمته وقدرته والخوف منه في قلبه، وهذه هي المرتبة الثانية.

3- من يذكر الله بلسانه فقط، وهذه تأتي دون مرتبة ذكر الله في القلب.

4- عدم ذكر الله لا بالقلب ولا باللسان، وهؤلاء هم الغافلون الذين لا تقدر خسارتهم بثمن أو عوض.

ثمار الذكر وفوائده:

إن لذكر الله سبحانه فوائد كثيرة وثمارا عديدة نجملها فيما يلي:[3]

- ذكر الله مرضاة للرحمن سبحانه، مطردة للشيطان، فالذاكر يرضي ربّه ويعظمه، ويطرد الشيطان ويحقره.
- ذكر الله يجلي ما في القلب من هم وكدر وغم، ويجلب له الفرح والسرور والطمأنينة، فلا تهمه زعازع الدنيا ومخاوفها، فقد سكن القلب واطمأن بذكر الله يقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**

---

(1) انظر: الغفلة، سعيد القحطاني، ص47-49، وأيضاً ذكر وتذكير، صالح السدلان، ص13.

(2) انظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس بن تيمية(ج566/10).

(3) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، ص41-77،

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ {الرعد:28}، فهو دواء للقلوب وشفاء لها، بخلاف الذي يعرض عن ذكر الله، فإن حياته مليئة بالضنك والكدر والهم يقول تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ {طه:124}، فمن أراد الراحة والسعادة والأمان فعليه بذكر الله جلّ جلاله.

- ذكر الله نور للقلب، ونور للوجه، ونور في القبر، ونور على الصراط، كما أنه يضفي قوة في القلب، فلا يخشى أحداً إلا الله، وأيضاً يورث قوة في البدن والجسم.
- ذكر الله يجلب البركة في الرزق، والأموال، والأولاد، فقد جار رجل إلى الحسن البصري وشكى له جدبة أرضه فقال له: أكثر من الاستغفار، ثم شكى إليه آخر جفاف بستانه فقال له: استغفر الله، ثم جاء رجل آخر وشكى له من الفقر فقال له: استغفر الله، ثم قال له آخر ادع الله أن يرزقني الولد فقال له استغفر الله، فسأله من كان عنده عن ذلك فقال ما أتيت من عندي بشيء بل هو قول الله[1] يقول تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)**﴾ {نوح}.
- ذكر الله يكسو الذاكر بالمهابة والجمال والنضارة، ويكسبه محبة الله سبحانه وقبول الناس له.
- ذكر الله يربي في النفس شعور المراقبة، أي مراقبة الله للأقوال والأفعال، وهذا يدخل العبد في مرتبة الإحسان، وهي أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، أما الغافل عن الذكر فأنى له الوصول إلى هذه المرتبة، كالجالس يريد الوصول إلى المنزل.
- ذكر الله يورث الإنابة إلى الله والقرب منه، فيرجع إليه في خطأه، وفي خوفه ومصائبه، فيجده قريباً منه ملاذاً له.
- ذكر الله يوقظ في القلب الخشية والهيبة من الله سبحانه، وهذا يجعل العبد قليل المعاصي والآثام.
- الفوز بمرتبة ذكر الله للذاكر، فالله ﷻ يذكر من يذكره.
- ذكر الله حياة للقلوب، وغذاء للروح وقوت له، فالذي لا يذكر الله قلبه ميت، وروحه نحيفة جائعة.

---

(1) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى الجزائري(ج441/5).

- ذكر الله جلاء للقلوب من الذنوب والآثام فعن أبي الدرداء ﷺ قال: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءً، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ ﷻ"[1].
- ذكر الله يذهب السيئات، فالحسنات يذهبن السيئات، وذكر الله من أعظم الأعمال والحسنات.
- أنه يزيل ما في قلب العبد من وحشة وبعد عن ربه، فذكر الله أُنسٌ للعبد بربه.
- ذكر الله سبب في معية الله في الشدائد والكربات، فمن تعرف على الله في الرخاء تعرف الله عليه في الشدة، ومن أقبل عليه في اليسر، كان له ذخراً في العسر.
- ذكر الله من أهم أسباب النجاة من النار ومن عذاب الله يقول معاذ بن جبل ﷺ: "مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ"[2].
- ذكر الله سبب في الانشغال عن المحرمات من غيبة وكذب وغير ذلك، فمن لم يشغل نفسه بالطاعة، شغلته بالمعصية، فالنفس بطبيعتها أمارة بالسوء مريدة له، فإذا لم يشاغلها المرء بالطاعات زيّنت له المعاصي وشغلته بها، لذلك يعدّ ذكر الله مشغلة للنفس عن المعاصي والآثام.
- الخروج من عموم اللعنة التي تعمّ الدنيا وما فيها، فعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَقُولُ: **(الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا)**[3].
- النجاة من الحسرة يوم القيامة، ففي ذلك اليوم يندم المرء على كل مجلس وكل ساعة مرت لم يذكر فيه اسم الله، فلربّ تسبيحة واحدة في ذلك اليوم تكون سبباً في النجاة أو الرفعة، وقد حقّر النبي ﷺ كل مجلس لم يُذكر فيه اسم الله، ووبّخ جالسيه، وبيّن أن ذلك حسرة ووبالاً عليهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا لَمْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ)**[4]

---

(1) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، (ح63/2).

(2) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة، صهيب عبد الجبار، (ج4/5).

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الزهد/مثل الدنيا(ج1377/2)، رقم الحديث:4112، حكم الألباني:حسن.

(4) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح(ج669/1)، رقم الحديث:1811، حكم الألباني:صحيح.

- ذكر الله سبباً في ترقيق القلوب، فمن أكثر من ذكر الله لان قلبه، ومن لان قلبه دمعت عيناه، وذلك صنف من العباد يفوزون يوم القيامة بظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله سبحانه، فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله، رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.[1]

- ذكر الله غراس الجنة، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ)**[2].

- إن ذكر الله سبباً في تحصيل الأجور العظيمة يوم القيامة، والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد ذكرت ذلك في فضل عبادة الذكر والحث عليه.

- ذكر الله أمان من النفاق، فمن صفات المنافقين أنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، يقول تعالى في وصفه للمنافقين: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ {النساء:142}.

- ذكر الله يفتح على الإنسان أبواب المعرفة، والعلم، والعلاقة في ذلك طردية، فكلما ازداد ذكراً زاده الله علماً، ومعرفة.

- أنه يؤمن الذاكر من أن ينساه ربه، فإذا نسيه سلك مسالك الشقاء والتعاسة يقول تعالى:﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ {الحشر:19}.

- إن الله تبارك وتعالى يفاخر بالذاكرين، ويباهي بهم ملائكته، فعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: **(مَا أَجْلَسَكُمْ؟)** قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: **(آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟)** قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: **(أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنّ اللهَ عز وجل يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ)**[3].

---

(1) انظر: صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، الزكاة/الصدقة باليمين(ج111/2)، رقم الحديث:1423.

(2) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبواب الدعوات(ج510/5)، رقم الحديث:3462، حكم الألباني:حسن.

(3) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر(ج2075/4)، رقم الحديث:2701.

- أنه من أعظم أسباب الثبات والنصر عند ملاقاة الأعداء، يقول سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ {الأنفال:45}.
- أن ذكر الله سبحانه من أعظم أسباب التيسير، فإنه يسهل الصعب، وييسر العسير، ويعين على تحمل المشاق، ويخفف من حدّة الآلام.

المطلب الخامس: عبادة التفكر في مخلوقات الله.

التفكر لغة: (فكر) أي تردد القلب بالتدبر في الأشياء، والنظر والتأمل في المعاني، يقال: رجل فكير: أي كثير التفكر.[1]

والتفكر يعني التأمل، والاسم منه الفِكْرُ بفتح الفاء، والفِكْرة بكسرها، ومصدره الفَكْر بفتحها، وأفكَر وتفكّر وفكّر بمعنى واحد.[2]

التفكر في الاصطلاح: هو تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لنيل المراد وإدراك المطلوب، وهو نور القلب الذي يضيء له الطريق، فيرى خيره وشره، ومحاسنه ومساوئه، والقلب الذي ليس فيه تفكر هو قلب مظلم عتم.[3]

الفرق بين التفكر والتدبّر:

الفرق بين التدبر والتفكر هو أن التدبر تصرف القلب بالنظر بعواقب الأمور ونهاياتها، وما تؤول إليه، أما التفكر فهو تصرف القلب بالنظر في الدلائل والبراهين والمعاني.[4]

الفرق بين النظر وبين الفكر:

الفرق بينها هو أن النظر أعمّ من الفكر، فالنظر قد يكون فكراً، وقد يكون بديهة، أما الفكر فلا يشمل البديهة.[5]

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس(ج446/4)، وأيضاً: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد الفيومي(ج479/2)، وأيضاً: التعريفات الفقهية، محمد البركتي ص167.

(2) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الفارابي (783/2).

(3) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص63.

(4) انظر: الفروق اللغوية، الحسن العسكري، ص75.

(5) انظر: معجم الفروق اللغوية، الحسن العسكري، ص544.

ماهية التفكر وحقيقته:

خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض وما بينهما من كواكب ونجوم ومجرات، ومخلوقات وكائنات، بإتقان رهيب، وإبداع عجيب، فجعل السماء سقفاً للكون، وزيّنها بنجوم وكواكب وأفلاك، تجري فيها بمسارات ومدارات محددة ومعينة، فلا يصطدم بعضها ببعض، يقول تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ {الأنبياء:33}، وخلق الأرض وثبتها بالجبال الراسيات، ثم ألقى فيها ما يصلحها للحياة من ماء وهواء وزرع، ومخلوقات تكمّل بعضها بعضاً، فاجتماعها معاً يخلق توازناً بيئياً يحافظ على سير هذه الحياة بشكلها الصحيح المتكافئ، وفقدان أحدها يؤدي إلى خلل في هذا التوازن، ثم خلق الإنسان محطّ التكليف ومناطه فأبدع سبحانه في خلقه وتقويمه، وسخر له كل ما خلق في السماوات والأرض؛ ليحيا حياة قويمة سليمة سهلة.

ابتعث الله الرسل والأنبياء، يتبع أحدهم الآخر؛ ليدلُّوا الناس على ربهم، ويقودوهم إلى طريق الخير والرشاد والنجاة، وهذا يعدّ كافياً لإقامة الحجة على العباد حتى يؤمنوا بخالقهم وينقادوا إليه، إلا أن الله سبحانه لم يكتف بابتعاثهم عليهم السلام، وما ساقوا من معجزات عظيمة، وما بلغوا من رسالات ربهم، وما أمروا به من طاعة وإذعان لله، بل ترك مجالاً للعقل الذي وهبهم إياه أن يُعملوه بالنظر والتفكر في خلقهم وما حولهم، فالناظر إلى آيات القرآن الكريم يجد أنه أنزل العقل الذي اختص الله به الإنسان عن سائر الخلق منزلة رفيعة وكريمة، فأمره بالنظر والتفكر في ما خلق الله سبحانه وتعالى مما يعاينه بنفسه، ويعايشه بجسده، ويلامسه بجوارحه، ويشاهده بعينيه؛ ليكون ذلك سبباً في هدايته وإقناعه بخالقه، فالعقل إن أُنزل منزله، وأُعمل بشكل سليم من غير مؤثرات داخلة، فإنه يقود إلى الحق والصواب، ولذلك أمر الله سبحانه عباده بالتفكر في أنفسهم، والتأمل في مخلوقاته يقول تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾ {الروم:8}، فالإنسان في كل أطواره ومراحل عيشه، دليل واضح على وحدانية الله وقدرته، ولو أن من كفر بالله تفكر في نفسه وعيشه وخلقته، ما كفر تجرأ على أن يكفر بخالقه.[1]

إن من لم تكفه نفسه وما فيها من إتقان وإبداع للاستدلال على وحدانية الله، جعل الله له في كل شيء يراه مما خلق سبحانه آية وعلامة، فإن كل شيء خلقه الله تعالى فيه إبداع وإتقان

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ج1947/4).

يلفت الأبصار والأذهان، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾ {الغاشية}، فالله سبحانه يطلب من عباده في هذه الآيات التفكر في مخلوقاته التي تحيط بهم، فلربّما قادهم ذلك التفكير إلى خير ورشاد، أما الإبل فهي من أكبر المواشي حجماً وقوة، إلا أنها تلين للإنسان وتحمل أثقاله ومتاعه، فمن الذي طوعها للإنسان وأرغمها له حتى إنها لتنقاد مع الفتى الصغير؟، ثم إن الله سبحانه خلق الإبل متكافئة متناسبة لطبيعة الصحراء، فخفيها تستطيع المشي على الرمال المتحركة، والأماكن الصلبة أيضاً، وهي تستطيع تحمل فقدان الماء والطعام لعدة أيام من غير أن تهلك، فمن الذي وازن بينها وبين بيئتها التي خلقت فيها؟، وأما عن السماء فكيف رفعت وعلت من غير عمد ولا مدد؟، ومن الذي رفعها وأعلاها، وأمسكها من أن تقع على ما دونها؟، وهذه الجبال الشواهق بعظمتها وهيبتها كيف استقرت في الأرض مع عظم حجمها وطولها؟، ومن الذي جعلها أوتاداً للأرض تحفظها من الزوال والتيه في الكون؟، والأرض من الذي بسطها ومهدها للعيش وذلّلها للإنسان وطوّعها له؟، إن من أعمل عقله وبصيرته بالفكر السليم، والنظر الصحيح، حتماً سيقوده تفكيره إلى أن هناك خالقاً مبدعاً قادراً على ذلك(1).

لقد امتدح الله سبحانه في كتابه الكريم الذين يتفكرون في ما حولهم من مخلوقات ودلائل وكائنات، بل ووصفهم بأنهم أولوا العقول والألباب الراجحة يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)﴾ {آل عمران}، فالله سبحانه في خواتيم سورة آل عمران يحث الناس على التفكر والنظر والاستدلال بآيات الله لتكون شاهدةً بصدق وحدانيته وربوبيته، ويصف من امتثل لأمره بالتفكر بأنه هو العاقل الراشد، لأنه سيصل بهذا التفكر والاستدلال إلى مكتمل الإيمان، وبذلك يطمئن قلبه لربه وخالقه، فيعبده ويذكره ويناجيه ويدعوه، وبذلك يكون قد سار على الطريق المستقيم الذي سيكون نهايته رضا الله ودخول جنته.

إن السبب الرئيسي في الحث على التفكر في مخلوقات الله والنظر في دلائله؛ هو أن التفكر من أعظم الأسباب التي توصل العبد إلى مرحلة الاطمئنان بالإيمان، فلا يبقى لديه ريب

---

(1) انظر: التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود(ج858/3)، وأيضاً: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي(ج214/30).

ولا شك في وجود الله وقدرته، وهذا أبو الدرداء ﷺ قد فهم هذا المعنى الراقي، وفهم ما لهذه العبادة من أثر بليغ في زيادة إيمان العبد فتجده يقول: "التَّفَكُّرُ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ"[1]، فلربّ ساعة في التفكر تورث إيماناً عظيماً، فيبعث ذلك همة في العمل ودأب فيه، ولربّما يقوم العبد ليلة كاملة، فلا يجد ما وجد صاحب التفكر من لذة إيمان واستشعار بوجود الله سبحانه.

إن نعمة العقل التي أنعم الله بها على الإنسان، ومن بها عليه، ليست للتفكير في أذى الناس، والتخطيط لكيدهم، وليست للتفكير في سلوك مسالك المعصية وتيسير السبل لذلك، وليست للتفكير في كيفية التربع على عرش الثراء والغنى، بل إن الله وهبها للإنسان حتى تكون دليلاً له إلى طريق الحق والهدى، ونوراً ونبراساً تنير له هذا الطريق، فيميز الخبيث من الطيب، ويُفرّق الحق من الباطل، فبالنظر إلى الآيات الباهرات، وبالتفكر في خلق الأراضين والسماوات، وبالتأمل في البراهين والدلالات، يرتقي العبد بدينه وإيمانه وتقواه، ويتحقق بداخله حسن مراقبة الله له، وهذا قد يوصله إلى مرتبة الإحسان في العبادة وهي أعلى مراتب الإيمان.

فيم يجب للإنسان التفكر فيه؟:

إن التفكر المحمود المطلوب الذي تحث عليه آيات الله ﷻ هو التفكر في خلق الله ﷻ من سماوات، وأراضين، وجبال، وبحار، ورياح، وسحاب، وأمطار، وفلك تجري في البحر، وأنفس، وكون، ونجوم، وشمس، وقمر، وكواكب وإلى آخره من مخلوقات الله ﷻ .

أما ما لا يجوز التفكر فيه ولا إعمال العقل فيه لأنه لن يستطيع الوصول إلى ماهيته وحقيقته هي عدة أمور:

1. كنه الذات الإلهية فإنه من المحال الوصول إلى عظمته ﷻ وكنهه وماهيته سبحانه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ)**[2]
2. موضوع تعلق المشيئة الإلهية بالخلق قال الله ﷻ : ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ {آل عمران: 40} فقد كانت الإجابة متعلقة بمشيئة الله.

---

(1) الزهد لأبي داود، سليمان السجستاني، ص191.

(2) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الإيمان/بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها(ج119/1)، رقم الحديث:134.

3. البحث عن جوهر الروح قال الله ﷻ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ {الإسراء: 85}.

4. محاولة معرفة الغيب قال الله تبارك وتعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (الجن:26).

5. معرفة علم الساعة قال الله جل شأنه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ .... ﴾. {الأعراف: 187}

فهذه الأمور مما يجب عدم التفكر فيها؛ لأن الله ﷻ اختصها بذاته العلية؛ ليكتمل امتحان الإنسان وابتلائه في الدنيا، فهل سيؤمن لما يرى من آيات بينات أم أنه سيجحد بهذه الآيات ويكفر كما كفر الذين من قبله ويقول كما قال قوم موسى ﷺ: نريد أن نرى الله جهرة، فيكون قد حقق العذاب والهلاك لنفسه، أو يذهب مذهب الملاحدة في السؤال عن الله وكنهه، فيكون قد أصاب الهلاك نفسه فيقع في الكفر والضلال نسأل الله العافية.

<u>التفكر في سورة غافر:</u>

إن المتأمل في آيات سورة غافر، يجد أن السورة أولت لعبادة التفكر أهمية كبيرة، فتجدها تحدثت في عدة آيات عن آيات الله الكونية، وقد اشتملت السورة على نوعين من التفكر والنظر:

النوع الأول: التفكر في أحوال الأمم السابقة التي كذبت رسلها وعادتهم وقعدوا لهم كل مقعد صادّين عن طريق الله ودعوة الرسل، والنظر في عاقبة أمرهم، وما صاروا إليه من هلاك ودمار، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾{غافر:21}، فالله سبحانه يأمر الذين يكذبون برسالة محمد ﷺ ودعوته، أن يتدبروا في حال من كان قبلهم من المكذبين، فرغم قوتهم وشدتهم وبطشهم، إلا أن مصيرهم كان الهلاك، ونهايتهم الدمار والاندثار، فلم يبق منهم غير بعض آثارهم التي تدل على هلاكهم ليكونوا عبرة لمن خلفهم، وفي ذلك تحذير من الله للمشركين والمكذبين من أن يغتروا بقوتهم وعدّتهم، فإن هذه الآية تحمل في طيّاتها التهديد والوعيد لمن كفر واستقوى وتكبّر.

النوع الثاني: التفكر في مخلوقات الله سبحانه الحسية المشاهدة، التي تدل على وحدانيّته وعظمته وحكمته وقدرته، وقد اكتظت السورة بالشواهد من مثل هذا النوع، وذلك يدلل أن السورة اعتمدت على المنهج العقلي في إثبات قضايا العقيدة عن طريق المشاهدات الحسية الملموسة، وفي ذلك احترام للعقل البشري وتعزيز له.

على الرغم من أننا لم نرى الله سبحانه، إلا أن شواهد وحدانيته، ودلائل ألوهيته، ومظاهر قدرته تدلّنا عليه، وتجعلنا نؤمن أنه رب كل شيء ومالكه علماً يقينياً وكأننا نراه، وقد ذكر الله سبحانه بعضاً من هذه الشواهد والمظاهر والدلائل في سورة غافر، يقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ**﴾ {غافر:13}، فالله سبحانه يظهر للناس قدرته بما يرون ويشاهدون من إبداع ومهارة في ما خلق الله سبحانه، وهذه الآيات تدل على كمال الخالق وحسن إبداعه وإنشائه، والمطر من هذه الآيات العظيمة، فلولا مطر السماء لجفت الأرض من الماء، ولو جفّ الماء لما وجدت حياة على وجه الأرض، فبالماء يربو الزرع والثمر، ومنه يشرب الإنسان والحيوان فيستمران في الحياة والتناسل، فتأمل معي كيف أن اختفاء نعمة واحدة من نعم الله وهي نعمة المطر، تسبب في هلاك كوكب الحياة، أليس ذلك مؤشراً لوجود خالق يدبر شئون عباده ويحافظ على وجودهم واستمرايتهم وبقائهم؟، أليس ذلك دليلاً على أن الوجود لم يكن عبثاَ، ولم يُخلق صدفة؟، وبالرغم من كثرة الأدلة والشواهد وعظمتها، إلا أن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرن.[1]

ومن آياته سبحانه أنه جعل الليل هادئاً ساكناً ليرتاح فيه المرء من أتعابه وأشغاله، فينام فيه ليجدد نشاطه وحيويته، ثم يستيقظ في النهار فيكون قد استرد قوته وحيويته فيمارس مهامه وأعماله، وجعل النهار سبحانه مضيئاً حتى يتسنى للناس القيام بأعمالهم دون مشقة ونصب، يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ {غافر:61}، والليل يدلّ على النوم، والنوم من الآيات البديعة، فهو يريح الجسد والعقل من ضغوطات الحياة، ويخفف عنه من آلامها، ولولا النوم لما استطاع الإنسان أن يواصل الحياة، والنهار يدلّ على اليقظة، وفيها يحقق الإنسان مصالحه، ويقضي حاجته، ويعيل نفسه وأسرته، فالحياة تتوازن بالليل والنهار، والنوم واليقظة، ثم إن تعاقب الليل والنهار من أعظم آيات الله، فدخول الليل وسواده وكأنه لم يكن قبله ضوءً ونهاراً، ودخول النهار وإضاءته وكأنه لم تكن قبله عتمة وسواد بهذه الصورة الحسية المشاهدة يدلل على وجود

(1) انطر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ج134/7).

من يدبّر هذا الأمر وينسقه ويوازنه، وإنه لمن عجب العجاب أن يرى الناس يد الله في كل شيء، وقدرته وحكمته في كل أمر، ثم يتولون عن ذلك معرضين جاحدين.(1)

إن الله ﷻ يحب لعباده أن يطيعوه ويؤمنوا به فينقذوا بذلك أنفسهم من الهلاك، ويفوزوا بجنته ورضوانه، لذلك لم يدع سبحانه طريقاً يكون سبباً في هداية الناس وإيمانهم إلا وضحه لهم، فأرسل الرسل بالبينات، وأقام الحجج الواضحات، واستفزّ العواطف والمشاعر، وخاطب العقول والألباب، فالعقول مظنة الحكمة، ودليل الرشد، وبها يدرك الإنسان الصواب، ويعلم الحقيقة من السراب.

ثم تواصل سورة غافر مخاطبة العقل، وتستمر بحديثه، فتعرض له صورة أخرى من صور قدرة الله ووحدانيته، يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ {غافر:64}، فانظر أيها الإنسان إلى الأرض من الذي أصلحها لك؟، وهيأ لك فيها كل مقومات الحياة من هواء، وماء، ونار، وزروع، وثمار، وأنعام؛ حتى تقدر على مواصلة العيش والحياة؟، وذلّل لك جميع ما عليها تستخدمه في راحتك وحياتك؟، ثم انظر إلى السماء، ذلك البناء العظيم، والصرح القويم، من الذي بناه ورفعه من غير عمد؟، ومن الذي جعله سقفاً للأرض وزيّنه بالكواكب والنجوم؟، ثم انظر في نفسك كيف أحسن الله في خلقتها، فأتمّ جمال الصورة، وكمال وظائف الأجزاء والأحشاء وتكاملها، فلو تأمل الإنسان في خلقته ونفسه لخرّ ساجداً معظماً لجلال الله مقدساً قدرته، فمن الذي أبصر للإنسان عينيه وجعل له القدرة على النظر بهما؟، ولولا ذلك لما استطاع بنوا الإنسان فعل شيء في حياتهم، فهب أن الإنسان خُلق في أصل خلقته من غير عينين، فكيف سيكون حاله، وكيف سيرى؟، وكيف سيمارس مهامه؟، ومن الذي خلق السمع واللسان وعلّم الإنسان الكلام حتى يسهل تواصلهم ببعضهم بعضاً؟، ثم تخيل أن الإنسان خُلق من غير يدين وقدمين، كيف ستكون حياته؟، وكيف سيتحرك؟، وكيف سيعمل؟، هذا كله ونحن نتكلم في ظاهر الإنسان ليس في باطنه، وما خفي كان أعظم وأدقّ، وفوق كل ذلك فإنه سبحانه قد رزق الناس من الخيرات والطيبات وصنوف الشراب ولذيذ الطعام ومختلفه، بعد كل هذا ألا يدلّ ذلك على الله؟، ألا يبين ذلك قدرة الله؟، ألا يوحي ذلك على وجود حكيم قدير متصرف؟، بلى والله إن ما ذكرت الآية من دلائل وبينات لأعظم ما يُدلّ به على الله سبحانه وقدرته، فسبحانه جلّ جلاله وتبارك أحسن الخالقين ورب العالمين.

ثم يوجه الله سبحانه العقل ليتفكر في كيفية وجود صاحبه، أي الإنسان، والنظر في أصله وأطواره ومراحله، وكيف ينمو الإنسان وينتقل من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة،

---

(1) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي(ج306/12)، وأيضاً: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج3094/5).

وكيف تبدأ الحياة وكيف تنتهي، ومن هو السبب في الحياة والموت، يقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) هُوَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68)**﴾ {غافر}، إن الأصل في خلق أبينا آدم هو التراب، ثم بعد ذلك تكون النطفة التي أصلها تراب هي الأصل في وجود الإنسان، والنطفة هي الماء الذي يخرج من الإنسان عقب شهوته وتُعرف بالمني، فانظر كيف أن نطفة واحدة تتعلق ببويضة واحدة فينتج منهما خليط ينتج عنه إنسان حي، له روح، وسمع، وبصر، ويدان، وقدمان، وعظام، وأحشاء، فمن الذي واءم بين الخليطين وناسب بينهما؟، ومن الذي أخرج منهما إنساناً مستوياً في خلقته متكاملاً في أوصافه، مكافئاً للبيئة التي سيخرج إليها ومتكيف معها؟، ثم ينموا ذلك الإنسان من طفل صغير ضعيف إلى شاب فتي قوي جلد، فتكبر أعضاؤه وتختلف أوصافه، فمن الذي جعل جسده قابلاً للنمو والزيادة؟ وأوصافه للتغير والنضوج؟، ومن الذي أبدل حاله من قوة إلى ضعف، ومن جهل إلى علم؟، ثم إن استمرت حياته ومدّ الله له في عمره ولم يكتب له الفناء شاخ وهرم، فانكمشت عظامه، وخارت قوته، وذهب عزمه، وضعفت حواسه، فيصير من قوة إلى ضعف، ومن كمال إلى نقص، ومن هيبة إلى هوان، ثم نهاية ذلك الموت، فلو تأمل الإنسان في حياته من الذي أحياه وخلقه، ومن الذي وهبه الروح التي عجز العلم عن معرفة ماهيتها وحقيقتها؟، فجعل لجسده قيمة ما دامت ملتصقة فيه، فإذا خرجت منه أصبح جسده كالدمية لا حراك فيه ولا قدرة، من الذي أنشأ ذلك كله؟، ومن الذي وهب ذلك بإتقان وإبداع عجيبين لا مثيل لهما؟، مطلقاً وقولاً فصلاً إنه الله تبارك اسمه ذو الجلال والإكرام.[1]

ثم يضرب الله للإنسان مثلاً على نعمة من نعمه سبحانه، التي تُيسر للإنسان حياته وتُعينه عليها من غير مشقة أو تعب، يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (80)**﴾ {غافر}، إن هذه الآية تشتمل على جانبين، وتلعب على وترين حساسين، فالأول: هو إثارة العاطفة في الإنسان، وذلك من خلال تذكير الله لعباده بنعمه وتمننه عليهم بها، فالذي سخر لكم الأنعام تأكلون من لحومها، وتشربون من ألبانها، وتحملون متاعكم عليها، والذي جعل الماء يحمل الفلك التي تحملكم فلا تهوي غارقة، ألا يستحق منكم الشكر والعبادة والإذعان بذلك الفضل، أما الثاني: فهو مخاطبة العقل وإقناعه، فمن الذي ذلّل لكم هذه الأنعام

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج3096/5)، وأيضاً: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص742، وأيضاً: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي (ج158/24).

حتى لانت بين أيديكم تفعلون بها ما تشاؤون؟، فإن أردتم ذبحتموها فطعمتم من لحومها، واستفدتم من أوبارها وأشعارها، وإن شئتم حلبتموها فسقيتم من ألبانها، وإن شئتم أبقيتموها لتحمل متاعكم، وتفلح أرضكم، وتستعينون بها على السفر للأقطار البعيدة، ومن الذي جعل الماء يحمل السفن الكبيرة العملاقة فلا تغرق؟، بالرغم من أنه لا يستطيع عمل مسمار صغير، أليس في ذلك قدرة وإعجاب؟.[1]

إن من تأمل في آيات الله سبحانه وهو يريد الهداية ويسعى إليها، فإن الله سيوسع مداركه، ويفتح على بصيرته، وسيوفقه إلى مراتب الإيمان العليا، وبذلك يدرك رحمة الله ورضوانه، ومن أعرض عن آيات الله، وتغافل عن ما تحمله من إبداع، وتحتويه من إتقان، وتجاهل ذلك، فقد طُبع على قلبه، وغُشي على بصره وبصيرته، فيتمادى بالكفر والفجور والطغيان، إلى أن يصل إلى حتفه وهلاكه، وبذلك يكون قد وصل إل عذاب الله وسخطه وعقابه، فانظر نفسك في أي الفريقين تحب أن تكون؟، أتحب أن تكون في فريق الجنة أم فريق السعير؟.

<u>الآثار المترتبة على التفكر في خلق الله.</u>

إنَّ لعبادة التفكر في مخلوقات الله ﷻ أثراً كبيراً في حياة الإنسان المسلم فهي تعود عليه بفوائد وآثار جليلة منها:[2]

1. طريق إلى بلوغ الهداية، وزيادة الإيمان، والوصول إلى رضا الرحمن.
2. يفتح بصيرة الإنسان؛ فهي تتقوى عندما يزداد الإنسان في تفكره وتأمله فيما حوله من طبيعة وأشياء.
3. التفكر سبب في انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، فهو يطمئن قلب العبد بأن الله هو خالق كل شيء والمتصرف فيه فيكون ذلك سبباً في عدم تخوفه وجزعه، وكذلك يطمئن العبد بصحة إيمانه ومعتقداته.
4. التفكر يورث الحكمة والخشية من الله، كما أنه يحي القلب ويوقظه.
5. توسيع مدارك العقل ومخرجاته الفكرية والعلمية والنظرية.

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، 743.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص358، وأيضاً: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح حميد(ج1078/4).

6. زيادة اليقين والإيمان بالله ﷻ ؛ فإن المرء عندما ينظر في دقة خلقه، ووظيفة كل عضو في جسده، والخلق المتقن لجسمه، فضلاً عن النظر في خلق السماوات والأرض؛ لأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس؛ فإن ذلك من شأنه زرع الإيمان في النفس وتقويته.
7. تقوية القريحة والملكة لدى الإنسان.
8. وتحرر العقول والأفكار من الموروثات والأهواء والأغراض الفاسدة.
9. إثبات صفات الكمال للخالق نتيجة للنظر في هذا الكون، فالله موصوف في الإسلام بالوجود، وبالعلم، وبالقدرة، وبالحياة، وبالسمع، وبالبصر، وبالجمال، وبالحكمة، وبالإرادة الخ، مع الإقرار بأن كيفياتها وحدودها مجهولة ضرورة الجهالة بذات الله تعالى، ولكنا نعلمها علم اليقين من وضوح آثارها في هذا الكون البديع الصنع، فالخالق حكيم لما يتجلى في كونه من أسرار حكمته، وقادر وعالم بأجمع معاني العلم والقدرة، لأن هذا الكون البديع لا يكون إلا عن علم واسع وقدرة محيطة وهكذا.
10. نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق.
11. الحث على عمل الصالحات، والمسارعة في الخيرات، والسعي إلى القربات، وكثرة ذكر الله ﷻ فهو قد تعرف على الله من خلال خلقه العظيم.

أما الآثار على عدم التفكر فهي:[1]

- إغلاق زيادة الإيمان بل ربما نقصانه.
- التهاون بأوامر الله ومناهيه.
- جمود الذهن والقريحة.
- التراخي في الأعمال التي تقرب إلى الله.
- الوقوع في الغفلة، التي ينتج عنها التمادي في المعاصي، والسيئات، التي تنتهي بالإنسان إلى قسوة قلبه، وشدة إعراضه.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص358.

فلا بدّ للإنسان أن يعمل عقله الذي هو هبة الله إليه، متفكراً في نفسه وخلقه، ناظراً متأملاً في ما حوله من مخلوقات؛ فإن لذلك عظيم الأثر في نفس الإنسان، وفي سيره إلى ربه سبحانه.

المطلب السادس: الحث على الدعاء.

الدعاء لغة: الابتهال والطلب[1]، والدعاء: "ما يدعى به الله من القول"[2]، يقول الفيروز آبادي: "الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى"[3].

الدعاء في الاصطلاح: هو التَّوجُّه إلى الله بالسؤال بالتذلل والافتقار، وبالرغبة إليه فيما عنده من الخير، إما للثناء عليه، وإما الابتهال إليه بالسؤال لدفع ضرّ، أو جلب نفع.[4]

أهمية الدعاء:

إن العيش في هذه الحياة الدنيا يخلو من الكمال، ويفتقر إلى السعادة المطلقة، فلا بدّ لأن يتعرض الإنسان إلى منغصات ومكدرات وابتلاءات، فقد يُصاب بالمرض، أو الفقر، أو الحاجة الشديدة الماسة لشيء ما، حينها يحتاج إلى مأوىً يلجأ إليه، ومكان يلوذ إليه، وأحد يستغيث به.

وقد حث الله عباده بأن يتوجهوا إليه بالمسألة والتضرع والدعاء، إذا ما أصابهم ضر، أو تعرضوا لحاجة: يقول تعالى في سورة غافر: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ {غافر:14}، ويقول أيضاً: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ {غافر:60}، فالله سبحانه يأمرنا بالدعاء، ويخبرنا بأننا سنجده حين ندعوه، وأنه سيستجيب للدعاء، ويحقق مراد الداعي، ويفرج ما به من هم، وينفس ما به من كرب، ثم إن الآية الكريمة تدلل على أن الله سبحانه يحب أن يتوجه إليه عباده بالطلب والمسألة، فهو أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، يحب العطاء والكرم، فعجيب أمر من يتوجه

---

(1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي(ج194/1).

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص287.

(3) القاموس المحيط، الفيروز آبادي(ج1282/1).

(4) انظر: موسوعة الأخلاق، خالد الخراز، ص60، وأيضاً: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، ص5، وأيضاً: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إشراف صالح الحميد(ج1901/5).

إلى المخلوق بالتذلل والسؤال، وقد يتعرض للطرد أو الذل، ويترك التوجه إلى الله المعطي الجواد، الذي يعطي بلا سؤال، ويمنح بلا دعاء، فكيف يرد من توجه إليه، سبحانه حاشاه أن يرد من دعاه.[1]

ليست الحاجة لأمر من أمور الدنيا فقط هي الداعي إلى أن يتوجه المرء بالدعاء إلى الله، بل هناك الأهم والأولى ، فالمرء بحاجة إلى أن يصلح الله له دينه وآخرته، فلا بدّ أن يتوجه إلى ربه بسؤاله الهداية والثبات على أمر الدين في الدنيا، والنجاة من سخط الله وناره والفوز برضوانه وجنته في الآخرة، وقد كان معظم دعاء النبي ﷺ من هذا القبيل، فالدنيا فانية لا محالة، زائلة بلا شك، أما الآخرة فحياتها لا تنتهي إما نعيم أو جحيم.

وخلاصة القول لا بدّ للعبد أن يطلب التوفيق في دنياه وأخراه، وأن يجمع فضل الدنيا والآخرة، فقد كان من دعاء النبي ﷺ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي)**[2]، وهذا يدلل أن على العبد أن يسأل الله الخير لأمور دنياه وأخراه، وذلك أحرى أن تعتدل أمور دنياه، وأن ينجو بأخراه ويعلوا فيها ويرتفع.

إن الله سبحانه قريب شديد القرب من عباده إذا أقبلوا عليه بالدعاء، بل هو أقرب إليهم من حبل الوريد، ينتظر منهم رجوعهم ودعاءهم ليكرمهم ويستجيب لهم يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ {البقرة:186}، وفي هذه الآية ما يدلل عل شدة قرب الرحمن من عباده، فقد أسقط الله سبحانه واسطة الإخبار التي كان يوليها نبيه عندما يتعرض للسؤال، فلما سئل عن الروح والمحيض والساعة كان هناك واسطة كلامية يقول تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ**﴾ {البقرة:222}، ويقول أيضاً: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ**﴾ {الأعراف:187}، ويقول أيضاً: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ {الإسراء:85}، فقد كان سبحانه بعد كل

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير (ج153/7)

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الدعاء/ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى(ج1273/2)، رقم الحديث:3871، حكم الألباني:صحيح.

سؤال يذكر كلمة قل، فإذا سألوك يا محمد عن المحيض فقل لهم أنه أذى، وإذا سألوك عن الساعة فقل لهم أن علمها عند الله، وإذا سألوك عن الروح فقل لهم وأخبرهم أن الروح من أمر ربي لا يعلم ماهيتها إلا الله سبحانه، أما في آية الدعاء فإنه أسقط سبحانه هذه الواسطة، وبالمباشرة من نفسه أخبرنا بأنه قريب، إذا دعاه الداعي فإنه يجيبه، فشرط الإجابة هو الدعاء، فليس على المرء إذا أراد من ربه شيء إلا أن يتوجه إليه بالدعاء، وها يدلل على شدة كرم الله ورحمته وجوده، وفيض عطائه سبحانه جلّ في علاه.[1]

وقد منن الله سبحانه عباده بهذه النعمة العظيمة التي أنعم بها على عباده، ففي خضم الآيات التي ذكر الله بها نعمه على عباده، ذكر سبحانه نعمة إجابة دعاء المضطر يقول تعالى: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ {النمل:62}، فالمضطر يكون في شدة حاجته لله، فيدعو بلسانه وقلبه وجسده، فيجيب الله دعاه، ولا يخيب رجاه، فيكشف ما به من سوء، ويرفع ما به من أذى، وقد أخبر سبحانه أنه يجيب دعاء المشركين إذا توجهوا إليه بالتضرع والدعاء مع علمه سبحانه أنهم سيرجعون إلى كفرهم وسيعودون إلى غيّهم وضلالهم وعنادهم بعد أن يستجيب الله لهم يقول تعالى: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ {العنكبوت:65}، فإن المشركين إذا هاج بهم البحر وظنوا أنهم هالكون لا محالة، توجهوا إلى الله بخالص الدعاء أن ينجيهم من الهلاك والغرق، ويأخذوا على أنفسهم العهود والمواثيق أن يكونوا من الصالحين إذا ما أنجاهم الله، ثم إذا أنجاهم مما هم فيه رجعوا إلى ما هم عليه من كفر وضلال، يقو تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)**﴾ {يونس:22-23}، وهذا ديدن الكافرين في كل مصائبهم، فكلما تعرض أحدهم لمصيبة أو بلاء لجأ إلى الله بكل حواسه، فإذا ما كشف الله ما به من كرب رجع إلى ما كان عليه من فسق وفجور، وإني قد ذكرت ذلك لكي أقول: إن الذي أجاب المشركين والفاسقين عند دعائهم وتوجههم إليه مع علمه سبحانه بأنهم سيكفرون فضله،

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي (ج3/70-71)، وأيضاً: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ج2/780-781).

وسيجحدون نعمته، سيجيبك أنت إن دعوته، فأنت عبده المطيع، المؤمن به وبقضائه، الصابر عند ابتلائه، الشاكر لفضله ونعمائه، فلا تيأس ولا تقنط وتوجه إليه فإنه معطيك وكافيك، ومفرج لما بك من هم وغم، فإنه سبحانه يستحي من أن لا يجيب دعاء عبده فعن سلمان الفارسي ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: **(إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا)**[1].

وقد أخبر النبيﷺ أن الدعاء هو العبادة، فَعنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ)**[2]، وفي ذلك إعلاء لشأن الدعاء وتعظيم له، فالدعاء دليل على توجه العبد إلى الله وتركه ما سواه، كما أن دعاء العبد دليل على إيمانه بالله وحسن ظنه به، فالعبد إذا رفع يديه ودعا ربه فإنه يقرّ بذلك على قدرة الله وعظمته، وضعف نفسه وافتقارها إلى الله تعالى.

مظان إجابة الدعاء:

ثمة أوقات وأزمنة وأوضاع وأماكن وأحوال يرجى فيها استجابة دعاء العبد ومن ذلك:[3]

- الدعاء في السجود، إن الدعاء في السجود من المواطن التي يرجى بها إجابة الدعاء، فإن العبد يقترب من الله عند سجوده له سبحانه، بل أقرب ما يكون إلى الله يكون وهو ساجد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)**[4].
- الدعاء في الثلث الأخير من الليل، وهو من أكثر أوقات الدعاء التي يستجيب الله فيها دعاء عباده، فالله سبحانه يتنزل إلى السماء الدنيا ويقول: هل من داع فأستجيب له، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)**[5]، فحري على

---

(1) سنن أبي داود، سليمان السجستاني، باب الدعاء(ج78/2)، رقم الحديث:1488، حكم الألباني:صحيح.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الدعاء/فضل الدعاء(ج1258/2)، رقم الحديث:3828، حكم الألباني:صحيح.

(3) انظر: جوامع الدعاء، خالد الجريسي، ص37-48.

(4) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الصلاة/ما يقال في الركوع والسجود(350/1)، رقم الحديث:482.

(5) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، التهجد/الدعاء في الصلاة من آخر الليل(ج53/2)، رقم الحديث:1145.

أصحاب الحاجات أن يستثمروا هذا الوقت بالتوجه إلى الله واللجوء إليه، وجدير بأصحاب الذنوب الذين يريدون أن يتحللوا منها أن يلجئوا إلى الله في هذا الوقت، فإنه وقت عظيم.

- الدعاء يوم عرفة يقول النبي ﷺ: **(خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ)**[1].
- دعاء المضطر، وقد تقدم الحديث فيه.
- دعاء المظلوم، إن دعوة المظلوم ليس بينه وبين الله حجاب، فقد كان من وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل أن يتقي دعوة المظلوم ففي الحديث الذي رواه ابن عباس أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: **(وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)**[2].
- الدعاء باسم الله الأعظم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ: **(لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ)**[3].
- الدعاء في ليلة القدر، وقد أخبر الله سبحانه أن تلك الليلة هي الليلة التي أنزل فيها القرآن، وأنها خير من ألف شهر، فإنه ولما حازت عليه من خيرية وفضل، فهي من مظان إجابة الدعوات يقول تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)**﴾ {القدر:1-3}، وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: **"تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي"**[4].
- الدعاء بين الأذان والإقامة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ)**[5].

---

(1) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبواب الدعوات(ج572/5)، رقم الحديث:3585، حكم الألباني:حسن.

(2) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، المغازي/بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع(ج162/5)، رقم الحديث:4347.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الدعاء/اسم الله الأعظم(ج1268/2)، رقم الحديث:3858، حكم الألباني:صحيح.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، الدعاء/الدعاء بالعفو والعافية(ج1265/2)، رقم الحديث:3850، حكم الألباني: صحيح.

(5) سنن أبي داود، سليمان السجستاني، الصلاة/ما جاء في الدعاء بين الأذن والإقامة(ج144/1)، رقم الحديث:521، حكم الألباني:صحيح.

- ساعة الإجابة من يوم الجمعة، إن في يوم الجمعة ساعة لا يدعو الله فيه عبد وهو يصلي إلا واستجيب له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: **(فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)**[1].

- الصائم حتى يفطر، فقد ذكر الله آية إجابة الدعاء بين آيات الصيام يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ {البقرة:186}، فالآيات التي قبله وبعد تتحدث عن الصيام وأحكامه، وقد وردت هذه الآية بين تلك الآيات، وهذا يوجه الصائم لاستحباب الدعاء أثناء صومه.

- الدعاء عند الأذان وعند الجهاد، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)**[2].

شروط الدعاء وآدابه:

لقد خلط العلماء بين شروط الدعاء وآدابه، فمنهم من عدّ بعض الشروط آداباً، ومنهم من عدّ بعض الآداب شروطاً، وقد اجتهدت في التفريق بينهما على ما يلي:

شروط الدعاء:[3]

- التوحيد، فيجب على من يدعو الله ويستغيث به أن يكون موحداً لله في ربويته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

- الإخلاص لله تعالى في الدعاء، فكيف يرجى إجابة دعاء العبد، والعبد يشرك في نيته مع الله غيره، فلا بدّ لمن يدعوا الله أن يكون متوجهاً إليه بقلبه ونيته، وأن لا يشرك معه أحداً.

- أن يكون طعامه وشرابه ولباسه طيباً من حلال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ**

---

(1) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، الجمعة/الساعة التي في يوم الجمعة(ج13/2)، رقم الحديث:935.

(2) سنن أبي داود، سليمان السجستاني، الجهاد/الدعاء عند اللقاء(21/3)، رقم الحديث:2540، حكم الألباني:صحيح.

(3) انظر: جوامع الدعاء، الجريس، ص25-26، وأيضاً: الاعتداء في الدعاء، العقيلي، ص20-23، وأيضاً: شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، ص19-26.

يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)[1].

- تجنب الاعتداء بالدعاء، وقد عرّف ابن القيم الاعتداء بالدعاء بأنه: "كل سؤال يناقض حكمه الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره أو يتضمن خلاف ما أخبر به"[2]، وقد ذكر ابن الجوزي أنّ الاعتداء في الدعاء في ثلاثة أقوال:[3]

1. الدعاء على المؤمنين بالشر، كالدعاء عليهم بالخزي واللعنة وعدم التوفيق، وغير ذلك من الأدعية التي تحمل السوء والضر.
2. أن يدعوا بما لا يستحق من منازل الأنبياء ودرجاتهم.
3. رفع الصوت والجهر والصياح بالدعاء.

- المتابعة، والمتابعة شرط في جميع العبادات، والطاعات.
- ألا يلهيه الدعاء عن أمر واجب، كصلاة، أو تلبية حاجة الوالدين، أو إهمال ضيف، أو جهاد أعداء.
- الخشوع واستحضار القلب عند الدعاء، فلا بدّ للداعي أن يكون واعياً بما يقول، معظماً لله مدركاً قدرة الله على إجابة دعائه.
- أن تكون ثقة الداعي بالله كبيرة، وظنه به حسن، وأن يكون موقناً بإجابة الله سبحانه لدعائه، فكلما كان اليقين بالله أكبر، والظن به حسن، كانت إجابة الدعاء أسرع.
- أن يسأل الداعي ربه بعزم وجزم وجد، كأن يدعوا ويقول: اللهم أعطني ولا تنقصني، وأكرمني ولا تهنّي، لا أن يقول: اللهم إن شئت فأكرمني، وإن شئت فأعطني.

آداب الدعاء:[4]

- أن يبدأ دعاءه بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على نبيه، وأن يختتم بذلك دعاءه.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الزكاة/قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها(ج703/2)، رقم الحديث:1015.

(2) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية(ج13/3).

(3) انظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي(ج130/2).

(4) انظر: من عجائب الدعاء الجزء الأول، خالد الربعي، ص13-17، وأيضاً: الأذكار، محي الدين النووي، ص396-397.

- الاكثار من الدعاء في الرخاء، فمن تعرف على الله بالرخاء تعرف الله عليه بالشدة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ)**[1].

- أن يخفض صوته بالدعاء، فكما قلنا إن رفع الصوت أثناء الدعاء من الاعتداء فيه، يقول تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ {الأعراف:55}.

- التضرع إلى الله في الدعاء، وإظهار الحاجة له، والبكاء بين يديه.

- الإلحاح على الله في الدعاء، فمن أحب أن يختم له بالشهادة في سبيله، فليكثر من الدعاء لذلك، وأن يلحّ على الله في سجوده وركوعه وقنوته.

- سؤال الله بأسمائه وصفاته، كأن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تحقق أمنياتي، يقول تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ {الأعراف:180}.

- أن يستهل دعاءه باعترافه بذنوبه، وإقراره بنعم الله سبحانه عليه.

- عدم التكلف في الدعاء، وتجنب الاكثار من السجع، فعن ابن عباس أنه قال: "فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ"[2] يَعْنِي لاَ يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الِاجْتِنَابَ.

- يستحب لمن يريد الدعاء أن يستقبل القبلة، فالقبلة مكان توجه المسلمين في صلاتهم، وقد جعلها الله مثابة للناس وأمناً، و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ:"اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الكَعْبَةَ، فَدَعَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ: عَلَى شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى، قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْسُ، وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا"[3].

- أن يرفع يديه عند الدعاء، فالله سبحانه يستحي من أن يرد يدي عبده صفرا إذا ما رفعهما.

---

(1) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبواب الدعوات(ج5/462)، رقم الحديث:3382، حكم الألباني:حسن.

(2) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، الدعوات/ ما يكره من السجع في الدعاء(ج8/74)، رقم الحديث:6337.

(3) صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، المغازي/دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش(74/5)، رقم الحديث:3960.

- الإجمال في الطلب والدعاء، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **(أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ)**[1].
- الدعاء بجوامع الدعاء، وبما ورد في القرآن، وصح في السنة من أدعية النبي ﷺ.
- أن تقوم بعمل صالح قبل الدعاء من صلاة أو صدقة أو صيام أو غير ذلك من أعمال صالحة.
- التوبة، ورد المظالم إلى أهلها، والإقبال على الله تعالى.
- أن يكرر الدعاء ثلاث مرات، فقد أخبر ابن مسعود ﷺ عن النبي: " وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا"[2].

<u>فوائد الدعاء:</u>

إن من يدعوا ربه لا بد له أن يجني من دعائه ثمار وفوائد عديدة ومنها:[3]

- أن الدعاء سبب في تفريج الهموم، ودفع الابتلاءات.
- أن الدعاء أعظم سلاح يواجه العبد به عدوه، وما كُتب له من ابتلاء.
- أن الدعاء يجلب الخير ويدفع السوء.
- رفعة العبد وعلو شأنه عند ربه، فإن الدعاء من العبادات التي يحبها الله سبحانه، ويثيب عليها ثواباً حسناً.
- الدعاء يُشعر الإنسان بضعفه وحاجته إلى الله تبارك وتعالى.
- يجعل العبد في معية الله وحفظه.
- الدعاء يحقق في العبد حسن اللظن والاتكال على الله.

---

(1) سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، التجارات/ الاقتصاد في طلب المعيشة(ج2/725)، رقم الحديث:2144، حكم الألباني:صحيح.

(2) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الجهاد والسير/ ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين(ج3/1418)، رقم الحديث:1794.

(3) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إشراف صالح الحميد(ج5/1944).

المطلب السابع: المسارعة إلى عمل الصالحات واجتناب السيئات.

يقول تبارك وتعالى في سورة غافر: ﴿ **مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ {غافر:40}، إن هذه الآية تحفّز المؤمن وترغبه في عمل الصالحات، والإكثار منها، والمسارعة فيها، والسبق إليها، فالله عنده حسن الجزاء، وأجزل الأجر، وخير العطاء، كما أنها تنفره من فعل المعاصي والآثام؛ حتى لا تتراكم عليه فيُجزى بها جزاءً لا يحبّه ولا يرضاه، وبذلك تكون هذه الآية بين ترغيب المؤمن في المسارعة إلى الخير، وترهيبه من فعل الشر.

وقد أمر الله سبحانه عباده وحثهم على المسارعة إلى عمل الصالحات، والسباق فيها، فقال سبحانه: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ {آل عمران:133}، ويقول أيضاً: ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ {الحديد:21}، فالجنة التي عرضها السماوات والأرض تستحق من العبد أن يبذل كل ما بوسعه، وأن يستنفذ كل طاقته حتى يحظى بالظفر بها والتمتع فيها، فإن أوصافها التي ذُكرت لنا لتدل على أنها غاية الروعة، ومنتهى الجمال، وقمة الراحة والاطمئنان، فحري بالعبد أن يمتثل لأمر ربّه الذي في مصلحته وسعادته المطلقة.

لذلك لا بد للعبد المؤمن أن يبلغ أقصى جهده في العمل الصالح، فيحرص على أن لا يفوته الصف الأول في الصلاة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فإن لم يستطع فليس أقل من أن يحافظ على تكبيرة الإحرام، وكذلك عليه أن يحرص على صيام الهواجر والنوافل قدر الإمكان، وعليه أن يكثر من الصدقات، ويقوم الليل، ويبرّ والديه وأهله، ويجمّل خلقه، ويجاهد في سبيل الله، ويميط الأذى عن الطريق، ويجتهد في كل أمر يحبه الله، ويبتعد عن كل شيء يبغضه الله؛ فالأجل مهما طال فهو قريب، والعمر مهما طال فهو قصير، فحري على العبد أن يغتنم سائر وقته وكل جهده في عمل الصالحات، واستباق الخيرات؛ حتى يرضى عنه الله ويُرضيه في الآخرة ويُسعده.

المبحث الثالث:

الأساليب البلاغية للتوجيهات التربوية التعبدية في ضوء سورة غافر.

المطلب الأول: أسلوب الأمر

الأمر: هو " هو طلَبُ تحقيق شيْءٍ ما، مادّيٍّ أو معنويّ"[1].

وقد ورد أسلوب الأمر في التوجيهات التربوية التعبدية في الآيات التالية:

- يقول تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ {غافر:14}، في هذه الآية يأمر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يتوجهوا إليه بالدعاء والعبادة، وأن يكونوا مخلصين لله سبحانه في ذلك، والأمر في هذه الآية على وجه الإلزام والاستعلاء؛ لأن الله سبحانه هو الذي يوجه الأمر في هذه الآية، ثم إن هذا الأمر يحقق للعباد السعادة الدنيوية والأخروية.
- يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ {غافر:55}، هذه الآية تتضمن ثلاثة أوامر وهي:

1. أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بالصبر على ما يواجه من صعوبات ومشاق في دعوته.
2. وأمره أيضاً لنبيه بأن يكثر من الاستغفار.
3. والأمر الأخير هو الاكثار من التسبيح بحمد ربه سبحانه.

وقد جاءت هذه الأوامر على جهة الاستعلاء فهي موجهة من الله العلي العظيم، كما أنها ملزمة للنبي ﷺ، فعليه أن يمتثل لأمر الله سبحانه ويلتزم بما يأمره به.

- يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ {غافر:60}، يأمر الله سبحانه عباده بأن يتوجهوا إليه بالدعاء؛ لأن الدعاء دليل على إيمان العبد واعترافه بقدرة الله سبحانه، وقد وعد الله سبحانه عباده أن يجيب دعاءهم إذا ما دعوه، والآية واضحة الدلالة.

المطلب الثاني: أسلوب التوكيد

التوكيد: هو " تمكين الشيء في النفس وتقويته، لإزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه"[2].

---

(1) البلاغة العربية، عبد الرحمن الدمشقي(ج228/1).

(2) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد المراغي، ص52.

وقد ورد أسلوب التوكيد في التوجيهات التعبدية في الآيات التالية:

- يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ {غافر:55}، يأمر الله سبحانه نبيه الكريم بالصبر على ما يلاقي من أذىً حتى يظفر بالنصر، ثم يؤكد الله سبحانه على أن وعده لنبيه بنصره وإعلاء كلمته ورفع رايته واقع لا محالة، وقد تحقق ذلك فقد نصر الله تعالى نبيه محمد ﷺ على جميع أعدائه، وأظهر دينه على الأديان كلها، وقد جاء التوكيد في هذه الآية لغرس اليقين في قلب النبي ﷺ وأصحابه الكرام بأن الله سيحقق لكم النصر والتمكين.[1]
- يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ {غافر:60}، بعد أن أمر الله عباده في هذه الآية بالتوجه إليه بالدعاء والعبادة أخبر بأنه سيدخل الذين ينفرون عن عبادته ودعائه كبراً وبطراً نار جهنم أذلاء صاغرين محتقرين، وقد جاء التوكيد في هذه الآية وعيداً لكل من يستكبر عن عبادة الله وتأكيداً بأن مآلهم سيكون إلى النار.[2]
- يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ {غافر:61}، يذكر الله سبحانه في هذه الآية بعض نعمه وآلائه التي منّ الله بها على عباده، ثم أكد سبحانه على عميم فضله وعظيم إحسانه بمؤكدين وهما: إن التوكيدية، ولام التوكيد؛ وذلك لإثبات فضل الله سبحانه على عباده وتأكيده لهم بأنه لولا فضله سبحانه عليهم لكان حالهم في أسوأ ما يكون.

المطلب الثالث: الطباق

الطباق: هو الجمع بين ضدين أو نقيضين أو متنافيين في الجملة، وقد يكون المتناقضين اسمين مثل: الليل وضده النهار، وقد يكونان فعلين مثل: يأتي وضده يذهب، كما تكون بين نوعين مختلفين مثل: ميتاً فأحييناه فالأول اسم والثاني فعل، وقد تكون بين حرفين مثل: له وضده عليه.[3]

---

(1) انظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب، ص578.

(2) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص474.

(3) انظر: فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك الثعالبي، ص275، وأيضاً: المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني(ج163/1)، وأيضاً: تحقيق الفوائد الغياثية، محمد الكرماني(ج793/2).

وقد ورد الطباق في آيات التوجيهات التعبدية في آية واحدة:

يقول تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ {غافر:55}، يأمر الله سبحانه نبيه الكريم بأن يكثر من ذكره والتسبيح بحمده في جميع الأوقات، وقد ورد الطباق في الآية بين العشي والإبكار، ودلالة ذلك وفائدته أن يداوم العبد على ذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأوقات والساعات، وذكر الصباح والمساء إما كناية عن الوقت كله، وإما لكون ذلك الوقت أصفى للقلب وأنقى للفؤاد.[1]

المطلب الرابع: الاستفهام

الاستفهام: هو "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة"[2].

وقد ورد أسلوب الاستفهام في آيات التوجيهات التعبدية في آية واحدة:

يقول تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ {غافر:81}، بعد أن ذكر الله سبحانه الآيات التي تحفز النفس على التفكر في ما خلق الله سبحانه وتدل على وحدانيته وقدرته، استتنكر إنكار أولئك الذين ينكرون آيات الله وقدرته العظيمة التي تظهر بتلك الآيات بشكل ملحوظ وملموس، فالاستفهام في هذه الآية إنكارياً، فهو سبحانه يستنكر على الكفار إنكارهم وكفرهم بآيات الله سبحانه.

المطلب الخامس: مناسبة الفاصلة القرآنية لموضوع الآية

الفاصلة القرآنية: هي الكلمة التي تختتم بها الآية القرآنية.[3]

تُختم الآيات في كتاب الله سبحانه بما يتناسب مع فحوى ومضمون الآية ومن الأمثلة على ذلك:

- يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ {غافر:61}، في هذه الآية الكريمة يظهر جلياً تناسب فاصلة الآية مع محتواها، فبعد أن ذكر الله سبحانه في موضوع الآية شيئاً من نعمه

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(ج3087/5).

(2) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص88.

(3) انظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان زرزور، ص190.

على بني البشر وتفضله عليهم ، بيّن سبحانه في فاصلتها أن أكثر الناس غير شاكر لله على تلك النعم؛ وفي ذلك بيان لكرم الله جلّ جلاله ولطفه بعباده، فهو بالرغم من تفضله على عباده وإحسانه إليهم، وبالرغم من كفر أكثر الناس وإعراضهم عن الحق، فهو سبحانه لا يستعجل عليهم بالعقوبة، بل يمهلهم علّ منهم يتذكر أو ينيب.

- يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ {غافر:64}، يذكر الله تبارك وتعالى بعضاً من آياته العظيمة ونعمه الجليلة وإبداعه في خلقه وإحسانه وكرمه على العباد، ثم يختتم الآية الكريمة بالثناء على نفسه العلية العظيمة، وفي ذلك تناسب واضح بيّن، فالذي خلق وأبدع في خلقه، وصوّر فأحسن في تصويره، يستحق الثناء والتباهي والتعالي سبحانه ما أعظمه.

المطلب السادس: السجع البديع[1]

السجع: هو " وهو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف واحد"[2].

يعد السجع من الأساليب البلاغية، كما أنه يعدّ محسناً للكلام وتجميلاً له، وقد احتوى القرآن على هذا الأسلوب الجميل، ومن هذه الآيات التي اشتملت على هذا الأسلوب في آيات التوجيهات التعبدية:

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (62) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (63)﴾ {غافر:61-63}، إن الناظر إلى فواصل الآيات السابقة يجدها تنتهي بواو ونون، وذلك من أضرب الفصاحة والبلاغة عند العرب، والسجع في هذه الآيات يلفت انتباه السامع ويجعله يصغي إلى بديع هذا الكلام فيؤدي ذلك إلى الخشوع والراحة والطمأنينة.

---

(1) من العلماء من أنكر وجود هذا اللون في القرآن وتسميته بالفواصل بدلاً من السجع، وتعللوا بأن السجع عيب والفواصل من البلاغة، فالفواصل تابعة للمعاني، أما السجع فالمعاني تابعة لها ومن هؤلاء الرماني، وقد يميل الباحث إلى وجود السجع في كتاب الله، لأنه أُنزل بلسان العرب وبلاغتهم وقد عُرف السجع عند العرب في نثرهم وشعرهم.

(2) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد الشيباني، ص251.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بفضله وكرمه أعانني ووفقني بأن أكملت هذا العمل، فإنَّها نعمةٌ عظيمة، وهبةٌ ثمينة بأن أكرمني الله ﷻ، أن أجول في بستان القرآن العظيم، لاستخلص منه موضوع التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة في ضوء سورة غافر، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يعين به الموحدين على الثبات في وجه الظالمين. وهذه خلاصة لأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أولاً: أهم النتائج

1. إن القرآن الكريم لهو غذاء للروح وهداية للعقل وراحة للجسد.
2. سورة غافر هي سورة مكية على راجح الأقوال ولها عدة أسماء، كما وتشتمل سورة غافر على الكثير من التوجيهات التربوية والأساليب اللغوية، وأن هدفها الرئيس هو زرع الإيمان في نفوس المؤمنين بأن الغلبة لله ورسله وأتباعهم في الدنيا والآخرة، وحث المؤمنين للسعي الى ذلك بالدعوة والإيمان والإصلاح، ومجابهة أي قوة مهما عظمت وعلت.
3. يتوجب على العبد المسلم أن يكون دائماً بالقرب من ربه وخالقه، وذلك بالتزامه أوامره واجتنابه نواهيه.
4. اهتمام القرآن المكي بمسائل العقيدة، وتصحيح ما انحرف منها.
5. القرآن كلام الله سبحانه؛ معجز في معناه وبيانه وأسلوبه، كما أن أثره في النفوس بالغ.
6. إن مرتكز العقيدة الإسلامية وأساسها يقوم على توحيد الله سبحانه توحيداً مطلقاً شاملاً لأنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات.
7. صفات الله لا يعتريها نقص، ولا يتخللها عيب، كما أننا نشتق من كل اسم من أسمائه صفة من صفاته، ولكن لا يشتق من الصفات أسماء.
8. إن الله سبحانه مهلك الظالمين والمجادلين والمكذبين، وإنهم لن ينالوا من عداوتهم لله ولمن تبعه إلا شراً وتباراً، وأن كيدهم سيكون في نحورهم وتدبيرهم في تدميرهم.
9. خلق الله سبحانه الخلق وتكفل برزقهم، فإنه سبحانه يرزق الطير في أوكارها والحيتان في بحارها والوحوش في قفارها، فعلى العبد أن لا يخشى من قضية الرزق فإنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها.

10. إن الله سبحانه عالم بدقائق الأمور وخفاياها، وفي ذلك تربية للعبد المسلم على مراقبته لله في السر والعلن.

11. إن عدل الله سبحانه مطلق فسبحانه لا يظلم مثقال ذرة، كما أن قضاءه سبحانه يكون بالحق.

12. يتوهم كثير من الناس أن عذاب القبر خيال غير واقع وهذا من تلبيس إبليس عليهم، فعذاب القبر حقيقة قرآنية نبوية.

13. قد رغب الله المؤمنين بالأجر والنعيم والجنة، ورهب الكافرين والعصاة وخوفهم بأهوال يوم القيامة وبالنار وما فيها من عذاب وهوان، وقد ركزت سورة غافر على جانب الترهيب والتخويف من مشاهد وعذاب أهل النار.

14. المستقبل للإسلام، والعاقبة لله ولرسوله وللمؤمنين طال الزمان أم قصر.

15. خلق الله سبحانه عباده ليعبدوه ويقيموا نهجه وأمره؛ ولذلك أرسل الرسل والأنبياء بالحجج والبينات الواضحات.

16. الدعوة إلى الله طريق الأنبياء والمرسلين ومهنتهم، فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتشبه بهم ويقتفي أثرهم ويسير بين الناس داعياً إلى الله.

17. أجور الدعاة إلى الله عظيمة فمن دعا إلى شيء كان له أجر من استجاب لا ينقص من ذلك شيئاً.

18. يتوجب على الداعية أن يتحلى بصفات كريمة يجذب الناس من خلالها إلى قبول دعوته وتعظيمها؛ لذلك فالداعية على ثغر عظيم فلا يكون سبباً في تشويه حقيقة الإسلام.

19. يتوجب على الداعية أن يكون صبوراً حكيماً في دعوته إلى الله، وأن لا ييأس ويسأم من دعوته الناس إلى الله مهما كانت النتيجة، وعليه أن يعظ الناس بالموعظة الحسنة.

20. إن من أعظم صفات الداعية شجاعته في الحق وعدم خوفه في الله من أحد.

21. يتوجب على الداعية أن يمتلك الحجة وحسن البيان في دعوته إلى الله.

22. أمر الله سبحانه عباده بعبادته وحده، وأن لا يتوجهوا لأحد غيره سبحانه بالعبادة، فمن فعل ذلك فقد أشرك بالله.

23. الإخلاص لله سبحانه أساس قبول العبادة، فمن أشرك مع الله أحد في عبادته فإن عبادته مردودة عليه غير مقبولة منه.

24. عبادة الصبر من أعظم العبادات، فإنها تدلل على رضا العبد بقضاء ربه وحكمه، لذلك كانت أجور الصابرين عظيمة.

25. إن ذكر الله أعظم العبادات قاطبة ودلالات الآيات والأحاديث واضحة.

26. التفكر في مخلوقات الله سبيل إلى زيادة الإيمان واليقين في القلب.

27. إن الله سبحانه قريب من عباده سميع لدعائهم، فمن التجأ إليه آواه ومن توجه إليه بالدعاء أجاب له دعواه.

28. على المسلم أن يعلم أن هذه الدنيا فانية، وعليه أن يسارع في الخيرات ويسابق في الطاعات، وأن يجتنب المحرمات ويكون وقّافاً على حدود الله، فالعمر محدود ولقاء الله قريب.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. يوصي الباحث بضرورة العناية بموضوعات القرآن المتعددة، فالقرآن جاء هداية للناس وإصلاحاً لدينهم ودنياهم، وما ترك شيئاً فيه صلاح الفرد والمجتمع إلا وتحدث عنه.

2. يوصي الباحث طلبة العلم والباحثين بالتنقيب والبحث في التوجيهات القرآنية لسور القرآن حسب منهجية التفسير الموضوعي.

3. يوصي الباحث المربين والدعاة والوعاظ والعلماء بغرس العقيدة السليمة عقيدة السلف التي جاء بها النبي ﷺ في نفوس الجيل وتربيتهم على ذلك، والاستفادة من الأبحاث والرسائل العلمية بهذا الخصوص.

4. الإقبال على كتاب الله ﷻ قراءةً وحفظاً وعلماً وعملاً، ففيه سعادة الإنسان في الدارين.

5. يوصي الباحث من قرأ هذه الرسالة بأن يعمل بما فيها فإن مقتضى العلم العمل، فالعلم من غير عمل كوعاء لا طعام فيه.

6. أوصي الباحثين بأن يُوجهوا بوصلة بحثهم نحو الدراسات التي تُعين الأمَّة وتساعدها على النهوض، والرجوع في مقدمة الأمم.

أخيراً أسأل الله العلي القدير أن يتقبل عملي وينفعني بعلمي، وإنه ما كان من صواب فبتوفيق الله وعونه، وما كان من خطأ وتقصير فمن نفسي ومن الشيطان، والله المستعان وعليه التُكلان ومنه القبول وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله ومن تبعه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. *الأحكام الشرعية للثورات العربية*، علي بن نايف الشحود، السعودية، (د.ن)، ط1، 1432هـ.
2. *أحكام القرآن*، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، محمد صادق القمحاوي عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1405هـ.
3. *أدب الموعظة*، محمد بن إبراهيم الحمد، مؤسسة الحرمين الخيرية، ط1 1424هـ.
4. *الأذكار*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، 1414 هـ.
5. *أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم*، أبو المجد سيد نوفل، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (د.ت).
6. *أساليب بلاغية: الفصاحة – البلاغة – المعاني*، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات – الكويت، ط1 1980 م.
7. *الإسلام أصوله ومبادؤه*، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1 1421هـ.
8. *أصول الدعوة وطرقها 1*–2، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ط1، (د.ت).
9. *أصول الدعوة*، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، السعودية، ط9، 1421هـ.
10. *أصول الدعوة*، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ط1، (د.ت).
11. *أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة*، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي – المملكة العربية السعودية، ط1، (د.ت).
12. *الاعتداء في الدعاء (صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح)*، سعود بن محمد بن حمود العقيلي، دار كنوز اشبيليا.

13. *إكمال الأعلام بتثليث الكلام*، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة – المملكة السعودية، ط1 1404هـ.

14. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1 1418.

15. *أوضح التفاسير:* محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، د.م، 1383 هـ – 1964م.

16. *إيجاز البيان عن معاني القرآن*، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم نجم الدين، تحقيق الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1 1415هـ.

17. *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5 1424هـ.

18. بحر *العلوم :* تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان، 1413هـ – 1993م.

19. بحوث *ومقالات* حول *الثورة السورية*، علي بن نايف الشحود، ط1 1433 هـ .

20. *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1 1408 هـ.

21. *بدائع الفوائد*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت).

22. *بغية الطلب في تاريخ* حلب، عمر بن أحمد ابن العديم، تحقيق: سهيل زكار، (د، ط)، بيروت، دار الفكر، (د، ت).

23. *البلاغة 1 – البيان والبديع*، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ط1، (د.ت).

24. *البلاغة 2 – المعاني*، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ط1، (د.ت).

25. *البلاغة العربية*، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ.

26. *بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسُّنَّة*، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، إشراف: سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، مطبعة سفير، الرياض، 2004م.

27. *تاريخ بغداد*، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ.

28. *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

29. *تحقيق الفوائد الغياثية*، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ط1، 1424 هـ.

30. *التدرج في دعوة النبي*، إبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1417هـ.

31. *تزكية النفوس*، أحمد فريد، دار العقيدة للتراث – الإسكندرية، 1413 هـ.

32. *التعريفات الفقهية*، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ.

33. *تفسير أسماء الله الحسنى*، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1421هـ.

34. *تفسير الثوري*، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1403هـ.

35. *تفسير الجلالين*، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، ط1، 2000م.
36. *التفسير الحديث*، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط1، 1383 هـ.
37. *تفسير الشعراوي= الخواطر*، محمد متولي الشعراوي، ط1، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.
38. *تفسير القرآن (تفسير السمعاني)*، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط1، 1418هـ.
39. *تفسير القرآن العظيم*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ.
40. *التفسير القرآني للقرآن*، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، 1997م.
41. *تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)*، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1426هـ.
42. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط2، 1418 هـ.
43. *التفسير الميسر*، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط2، 1430هـ.
44. *تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)*، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ.
45. *التفسير الواضح:* محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، ط10، بيروت، 1413 هـ.
46. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، 1393-1414هـ.

47. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، 1997-1998م.

48. *التفسير الوسيط*، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط1 – 1422 هـ.

49. *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط1، 1421 هـ.

50. *تفسير مقاتل بن سليمان*، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

51. *تهذيب اللغة*، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

52. *التوحيد وأثره في حياة المسلم*، حمد بن إبراهيم الحريقي، دار الوطن، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، 1414 هـ.

53. *التوضيح والبيان لشجرة الإيمان*، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ط1، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

54. *التوقيف على مهمات التعاريف*، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط1، 1410هـ.

55. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :* العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ط، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1404هـ.

56. جامع *البيان في تأويل القرآن*، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مصر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ.

57. جامع *الرسائل*، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، ط1، 1422هـ.

58. *الجامع الصحيح للسنن والمسانيد*، صهيب عبد الجبار، ط1، (د.م)، (د.ن)، 2014م.

59. *الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور*، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ.

60. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)*، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ.

61. جهود *علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية*، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، دار الصميعي ط1، 1416هـ.

62. *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ.

63. جوامع *الدعاء*، د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، تقديم العلامة الشيخ د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، ط1، (د.م)، (د.ن).

64. *الحديث في علوم القرآن والحديث*، حسن محمد أيوب، دار السلام – الإسكندرية، ط1، 1425 هـ.

65. *الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى*، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.

66. خطوات *إلى السعادة*، عبد المحسن بن محمد بن عبد الرحمن القاسم القحطاني، (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)، ط4، 1427 هـ.

67. *دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه*، إسحاق بن عبد الله السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط1، 1434هـ.

68. *الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة*، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط4، 1423هـ.

69. *دليل الداعية*، ناجي بن دايل السلطان، دار طيبة الخضراء، ط1، (د.ت).

70. *ذكر وتذكير*، أ. د صالح بن غانم بن عبد الله بن سليمان بن علي السدلان، ط1، السعودية، (د.ن)، (د.ت).

71. *رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، عبد الله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط – الرياض، ط،1، 1420هـ.

72. *الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، (د.ت).

73. *زاد الداعية إلى الله*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1412هـ.

74. *زاد المسير في علم التفسير*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1422هـ.

75. *الزهد*، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ط1، 1414 هـ.

76. *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415هـ–1422هـ.

77. *سنن ابن ماجه:* أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلامة الألباني، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، 1417هـ.

78. *سنن أبي داود*، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين، ط1، (د.م): دار الرسالة العالمية، 1430هـ.

79. *سنن الترمذي*: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، مصر، 1395 هـ – 1975 م.

80. *سنن الدارقطني*، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط1، 1424 هـ.

81. *السنن الكبرى*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1421 هـ.

82. *سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)*، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ)، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1398هـ.

83. *السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث*، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط7، 1429 هـ.

84. *شرح العقيدة الطحاوية*، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1418 هـ.

85. *شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة*، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ط1، (د.ت).

86. *شعب الإيمان*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق ومراجعة الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423 هـ.

87. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت573هـ)، المحقق، د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، ط1، 1420 هـ – 1999 م.

88. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي*، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407 هـ.

89. *صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

90. *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

91. *صفوة التفاسير*، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417 هـ.

92. *الصناعتين الكتابة والشعر*، أبو هلال العسكري، تحقيق: منية قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1981م.

93. *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، المكتبة العنصرية – بيروت، ط1، 1423 هـ.

94. *طريقك الى الإخلاص والفقه في الدين*، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، دار الاندلس الخضراء، ط1، 1421هـ.

95. *العبودية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط1، 1426هـ.

96. *عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1409هـ.

97. *العرش*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1424هـ.

98. *عقيدة التوحيد في القرآن الكريم*، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، مكتبة دار الزمان، ط1 1405هـ.

99. *عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك*، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، السعودية، دار الأضواء، ط1، (د.ت).

100. *عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة – المفهوم*، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، مطبعة سفير – الرياض، ط1، (د.ت).

101. *العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة في ضوء الكتاب والسنة*، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ط1، 1432هـ.

102. *علم المعاني*، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1 1430 هـ.

103. *علوم البلاغة «البيان*، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ – 1946م.

104. *علوم القرآن الكريم*، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق، ط1 1414هـ.

105. *غرائب القرآن ورغائب الفرقان(تفسير النيسابوري)*، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1416.

106. *الغفلة – مفهومها*، وخطرها، وعلاماتها، وأسبابها، وعلاجها، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير – الرياض، ط1، (د.ت).

107. *فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام*، شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي الخزرجي، تحقيق لشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ.

108. *فتح القدير*، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1423هـ.

109. *الفروق اللغوية*، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، (د.ت).

110. *فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري*، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1421هـ.

111. *فقه السيرة*، محمد الغزالي السقا، دار القلم – دمشق، محمد ناصر الدين الألباني، ط1، 1427 هـ.

112. *فقه اللغة وسر العربية*، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ.

113. *الفوائد*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1393 هـ.

114. *في ظلال القرآن*، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – بيروت، القاهرة، ط17، 1412 هـ.

115. *القاموس المحيط*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426 هـ.

116. *قواعد العقائد*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، موسى محمد علي، عالم الكتب – لبنان، ط2، 1405هـ.

117. *القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، ط3، 1421هـ.

118. *قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة*، عادل بن محمد بن علي الشيخاني، دار أضواء السلف – الرياض، ط1، 1426هـ.

119. *كتاب التعريفات*، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ.

120. *لباب التأويل في معاني التنزيل*، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن، تحقيق تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ.

121. *اللباب في علوم الكتاب*، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ.

122. *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.

123. *مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ*، جهاد التُرباني، تقديم الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط1، 1431 هـ.

124. مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1416هـ.

125. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(تفسير ابن عطية)*، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ.

126. مختار *الصحاح*، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ.

127. مختصر *تفسير ابن كثير:* اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، ط7، بيروت – لبنان، 1402هـ – 1981م.

128. *مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ*، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تقديم الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، ط1، 1398 هـ.

129. *المخصص*، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1417هـ.

130. *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1416هـ.

131. مدخل *إلى تفسير القرآن وعلومه*، عدنان محمد زرزور، دار القلم، دار الشاميه – دمشق، بيروت، ط2، 1419 هـ.

132. *المستدرك على الصحيحين*، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ.

133. *المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة*، صهيب عبد الجبار، ط1، (د.م)، (د.ن)، 2013م.

134. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت 770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

135. *معاني القرآن وإعرابه*، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبد شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408هـ.

136. معجزة *القرآن*، محمد متولي الشعراوي، المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1398هـ.

137. *المعجم الوسيط* ، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (د.ط)، (د.م)، دار الدعوة، 2004م.

138. معجم *مقاييس اللغة:* أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، د.م، 1399هـ – 1979م.

139. *المغني في الضعفاء*، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله، تحقيق: نور الدين عتر، (د.ط)، (د.ت).

140. *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420 هـ.

141. *مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط3، 1409هـ.

142. *المفردات في غريب القرآن*، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.

143. *المفيد في مهمات التوحيد*، الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، دار الاعلام، ط1، 1422هـ.

144. *مقدمة في التربية الإسلامية*، د. محمود أبو دف، الجامعة الإسلامية، غزة، ط1، (د.ت).

145. *المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ط1، 1407هـ.

146. *مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم*، ونظر، وتطبيق، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ط1، (د.ت).

147. *مكفرات الذنوب وموجبات الجنة*، عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي، وجيه الدين، المعروف بابن الديبع، هذبه وزاد عليه عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط1، (د.ت).

148. *مِنْ عَجَائِبِ الدُّعاء – الجزء الأول (قِصَصٌ لِقَوْمٍ دعوا اللهَ فَاسْتَجاب لَهُمْ مِن المُتقدِّمينَ والمُعاصِرين)*، خالد بن سليمان بن علي الربعي، دار القاسم للنشر، الرياض، ط1، 1423 هـ.

149. *مناهل العرفان في علوم القرآن*، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، دمشق، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، (د.ت).

150. *المنهاج الواضح للبلاغة*، حامد عونى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط2، (د.ت)

151. *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، تحقيق دكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، (د.ت).

152. *موارد الظمآن لدروس الزمان*، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان، ط30، 1424 هـ.

153. *المؤتلف والمختلف لابن القيسراني = الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط*، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1991م.

154. *موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق*، ياسر عبد الرحمن، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1428 هـ.

155. *مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ*، خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1430 هـ.

156. *موسوعة الفقه الإسلامي*، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط1، 1430 هـ.

157. *الموسوعة الفقهية الكويتية*، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط1، 1404-1427هـ.

158. *الموسوعة القرآنية*، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ط1، 1405هـ.

159. *موسوعة فقه القلوب*، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط1، (د.ت).

160. *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1382 هـ.

161. *نبذة في العقيدة الإسلامية*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثقة للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، ط1، 1412هـ.

162. *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم* – ﷺ ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4.

163. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط1، (د.ت).

164. *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره*، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ.

165. *الوابل الصيب من الكلم الطيب*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، ط3، 1999 م.

166. *الوجيز في عقيدة السلف الصالح*، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ.

167. *الوحي والإنسان – قراءة معرفية*، محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والتشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (د.ت).

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
124	85	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
74	104	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
175	133	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾
101	138	﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾
148	146	﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾
101	159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
158	191-190	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا ... ﴾
139	200	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
		النساء
144	10	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾
147	19	﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
33	40	﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
128	48	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ... ﴾
50	57	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾
1	82	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
155	142	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
100	165	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾
		المائدة
77	6	﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
81	16-15	﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ ... ﴾
143	38	﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
33	54	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ... ﴾
103	56-55	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ... ﴾
90	115-112	﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ... ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ... ﴾	38	28
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	62	135
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) ﴾	63-62	33
هود		
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ... ﴾	6	40
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ... ﴾	11-9	146
﴿افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ... ﴾	13	28
﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا ... ﴾	37-36	37
﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ... ﴾	60-58	57
﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) وَأَخَذَ الَّذِينَ ... ﴾	67-66	37
﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	88	ج
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	102	39
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ... ﴾	119-118	76

طرف الآية	رقمها	الصفحة
يوسف		
﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا... ﴾	**37-36**	**84**
﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ ... ﴾	**41**	85
﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا... ﴾	**49-47**	**85**
﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ ... ﴾	**87**	**111**
﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ... ﴾	**44−43**	**85**
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	**103**	**57**
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... ﴾	**108**	**75**
الرعد		
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	**28**	**153**
إبراهيم		
﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... ﴾	**1**	**80،77**
الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	**9**	**90**

الصفحة	رقمها	طرف الآية
51	19	﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾
151	44	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا... ﴾
126	70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾
167،160	85	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ... ﴾
28	88	﴿اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
83	101	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا﴾
		الكهف
50	29	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا ...﴾
125	110	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ ... ﴾
		مريم
51	39	﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
101	45-41	﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
33	96	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾
		طه
29	14	﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾
83	20-17	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى ... ﴾
93	39-37	﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ... ﴾
107	46-42	﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى... ﴾
153	124	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ... ﴾
141	132	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾
35	7	﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾
42	98	﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
		الأنبياء
31	22	﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما ...﴾
46	23	﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾
77	25	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ...﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	33	157
﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ... ﴾	67-62	109
﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)﴾	69-68	86
﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ... ﴾	88-87	86
المؤمنون		
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	51	171
﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾	108	56
﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ... ﴾	100-99	45
﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾	111	146
النور		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ... ﴾	41	151
الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾	1	80

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	56	50
لقمان		
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ... ﴾	12	خ ، 97
﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي... ﴾	16	34
﴿.إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ... ﴾	34	43
السجدة		
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾	24	148
الأحزاب		
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾	21	50
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ... ﴾	37	103
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾	40	78
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً ... ﴾	43-41	150
﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46)﴾	46-45	72

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾	54	96
سبأ		
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11)﴾	11-10	87
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ ... ﴾	12	89
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ... ﴾	13-12	88
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	28	78
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	36	41
فاطر		
﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ... ﴾	25	57
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ ... ﴾	45	35
يس		
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ... ﴾	52-51	46

الصفحة	رقمها	طرف الآية
94	82	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
		الصافات
135	40-39	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) ﴾
134	42-40	﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾
86	148-139	﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ... ﴾
		ص
51	16	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾
87	19-18	﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ... ﴾
87	20	﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾
88	35-34	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ ... ﴾
89	36	﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الريح تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾
88	37	﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾
87	42-41	﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42)﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		الزمر
146	**10**	﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
18	**6-5**	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ﴾
82	**7**	﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا ... ﴾
127	**14-11**	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ ... ﴾
18	**64**	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ ... ﴾
17	**70-67**	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ... ﴾
17	**72-71**	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ... ﴾
		غافر
66	**3-1**	﴿ حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ... ﴾
27	**2**	﴿ حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) ﴾
16	**3-2**	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
11	3	﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾
13	4	﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾
36	6-4	﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ... ﴾
14	5	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾
52	6	﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾
53	7	﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾
65	9-7	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ... ﴾
68	8	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
68	9	﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
68	10	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ ... ﴾
62،53	11	﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ... ﴾
69،30	12	﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ ... ﴾
40	13	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
81	14-13	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14)﴾
131	14	﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
67	16-14	﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي ... ﴾
17	18-15	﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ...﴾
42	16	﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ...﴾
69	17	﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
51	18	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾
42	19	﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾
43	20	﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
58	21	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا... ﴾
82،37	22-21	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا... ﴾
67	22	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ... ﴾
82	23	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾
107،58	25-23	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ... ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾	25	116
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ ... ﴾	28	96
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ ... ﴾	33-28	99،59
﴿ يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾	29	101
﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾	30	120
﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ ... ﴾	33-30	111
﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ... ﴾	33-31	117
﴿ وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾	32	51
﴿ وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (33)﴾	33-32	54
﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾	34	84
﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	35	118
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ ... ﴾	37-36	112،32

الصفحة	رقمها	طرف الآية
120	38	﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
112،102	40-38	﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ... ﴾
119	39	﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾
175	40	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
120	41	﴿ وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾
117	43-41	﴿ وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ ... ﴾
118	44	﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾
47	45	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾
47	46-45	﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ... ﴾
61	46	﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾
63	47	﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا ... ﴾
55	50-47	﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47) قَالَ الَّذِينَ... ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾	49	66،63
﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾	50	**66،63**
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾	51	**60**
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ... ﴾	54-51	**59**
﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾	55	149،139،59
﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾	58	**69،62،50**
﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	59	**68،55،51**
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	60	**176،166،41**
﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو... ﴾	61	**177**
﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ... ﴾	62-61	**30**
﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	65	**131،30**

الصفحة	رقمها	طرف الآية
126	66	﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
163،31	68-67	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ ... ﴾
62	68	﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
64	69	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾
56،38	76-69	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ... ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾
64	74-73	﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ ... ﴾
139	77	﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ ... ﴾
163،31	80-79	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ...﴾
178،64	81	﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾
18	82	﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن ...﴾
38	85-82	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا ... ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ ... ﴾	85-84	17
﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾	85	70
فصلت		
﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾	13	18
﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ... ﴾	17-15	19
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	33	73
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا... ﴾	42	29
الشورى		
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	11	36
الزخرف		
﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75)﴾	75-74	37
﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾	9	123

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾	5	75
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... ﴾	8-7	33
الزلزلة		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)﴾	8-7	45
القارعة		
﴿ الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ ... ﴾	4-1	52
المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2)﴾	2-1	98

ثانياً: قائمة الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً: قائمة الأعلام